د. عبد الغفار هلال: انسجام بين الأدب الإسلامي والفطرة الإنسانية

الوعي الإسلامي

تأسست عام 1385 هـ 1965 م
العدد 476 - السنة (42)
ربيع الاخر 1426 هـ
مايو / يونيو 2005 م

هل تصلح الدراما أن تكون وثيقة تاريخية؟

نحو نظرية إسلامية لتفسير التخلف في العالم الإسلامي

تحت رعاية سمو رئيس مجلس الوزراء

الشيخ/ صباح الأحمد الجابر الصباح

يقام

منتدى قضايا الوقف الفقهية الثاني

تحديات عصرية
واجتهادات شرعية

الكويت 8 - 10 مايو 2005 م

فندق شيراتون الكويت

هل يصبح الأدب الإسلامي دعامة من دعائم التنمية؟

في زمن التحديات، من المؤمل أن تستجمع الأمة كل طاقاتها وإمكاناتها لتسجل حضورها الفاعل في الاستجابة لمنطق التدافع الحضاري، والاستباق إلى احتلال المواقع الأمامية في عالم يموج بالرؤى والأفكار والمشاريع، ويقصي، في المقابل، من يركن إلى العطالة والانتظار.

وفي هذا السياق، يحسن بالأمة أن تلتفت إلى موقع الآداب والفنون من خريطة تشكيل البنية النفسية والوجدانية والخبرة الذوقية والجمالية لإنسانها الذي ينتمي إلى مواقع حضارية امتزج فيها التوجيه الإسلامي والتهذيب النبوي بخصوصياته الحضارية، فجاء عطاؤه ثراً ومتنوعا يوازي عطاء حضارته العلمي والاجتماعي.

إن إقدام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت على عقد ملتقى للأدب الإسلامي، خلال شهر أبريل ٢٠٠٥م بتنسيق مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية ليمثل وعيا متقدما بشمولية الفعل الإسلامي واستيعابه لمختلف جوانب حياة الأفراد والأمم، ووعياً يأتي في سياق مفارقات وتناقضات قيمية وفكرية للتذكير بالثوابت والحقائق التالية:

- العلاقة بين الأدب والاستهتار ليست علاقة قوية، وإنما الأصل في الأدب، لغة ودلالة، أن يكون راعيا لقيم التوازن والخير والجمال.
- الأدب وسيلة فاعلة لتنمية الذوق وتهذيب المشاعر والرقي بالقيم والأفكار.
- الأدب ميدان لترسيخ قيم الوسطية والاعتدال والقبول بالآخر عبر وسائط فنية مثل الحوار والمسرح والتمثيل.
- الأدب إغناء لتجربة الإنسان وإضاءة متواصلة لجوانب وآفاق تظل مستعصية على المداخل الفكرية والتربوية المباشرة.
- الأدب دعامة من دعائم التنمية، إذ هو مدخل لغرس قيم القراءة والمطالعة وتنمية مهارات البحث والاطلاع ثم الإبداع، وهو قضاء متدرج على مظاهر التهميش والإقصاء التي يعرفها الكتاب في عصر متعدد الوسائط التعليمية والترفيهية.

إن وعي وزارة الأوقاف بقيمة الآداب والفنون ودورها في تشكيل البنية الذوقية والجمالية والقيمية يمثل دعوة إلى أن تتضافر جهود المبدعين والنقاد والمؤسسات التربوية والفنية لإنجاز مشروعات تهدف إلى إحلال الآداب والفنون مكان الصدارة في وسائل النهوض بالأمة نحو حال تؤتي فيها أكل النمو والازدهار كل حين بإذن ربها.

الوعي الإسلامي

الافتتاحية

الوعي الإسلامي
إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد 476
العام الثاني والأربعون
ربيع الآخر 1426 هـ
مايو / يونيو 2005 م

المراقب الإداري والمالي
خالد عبد اللطيف بوقماز
إدارة التحرير
تمام أحمد الصباغ
التحرير
أحمد توفيق هلال
الإخراج والتنفيذ
أشرف عبيد عبد المنعم
المراسلات
وليس التحرير مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ .
الصفاة 13097 .
الكويت
هاتف:
٥٣٤٨٩٧٤ / ٨٤٤٠٤٤
فاكس:
٥٣٤٨٩٥٤ (١٩٦٥)
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

كلمة العدد

تساؤلات تحتاج إلى معالجة

حملة من التساؤلات تطرح نفسها بقوه في عالمنا الإسلامي لعل أبرزها على سبيل المثال لا الحصر يكمن فيمايلي:

ما حال سلاحنا الثقافي والفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي في عالم متغير متحول يموج من حولنا يومياً بالأفكار والاكتشافات والتحديات؟

وهل نستطيع محاورة الحضارات الإنسانية الأخرى من دون مراجعة متأنية لتراثنا نتفق من خلالها على الأصول مهما اختلفنا حول الفروع والجزئيات؟

وهل القطيعة بين النموذج والتطبيق أو بين المثل الأعلى والواقع المعاش هي السبب الرئيس فيما آلت إليه أوضاعنا من تأخر عن الركب الحضاري .. وتهميش وابعاد عن صناعة القرار؟

وهل حضارتنا أعطت كل مالديها ثم جفت منابعها ولم تعد قادرة على العطاء والإبداع والابتكار.. هذه التساؤلات وغيرها حاولنا الإجابة عليها من خلال عدد من الموضوعات المنشورة في ثنايا هذا العدد منها:

«نحو نظرية إسلامية لتفسير التخلف في العالم الإسلامي، الرؤية الإسلامية للنشاط التعاوني، منهجيات الإصلاح والتجديد، مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر، البعد العالمي في الخطاب القرآني.....

وختاماً يظل الباب مفتوحاً لإثراء هذه الموضوعات حتى نصل الى رؤية إسلامية إيجابية لكل قضايا العصر .

التحرير

التوزيع : وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٩٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦ - ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان - الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١٢١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٣٠) ف ٧٩٣٩٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - صنعاء - ص.ب ٩٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٩ سبتمبر • الردن - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠٦ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨١/٢٥ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (٠٠٩٦٣ ١١) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٤ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٩٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٩٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الحلاء - رمز بريدي ١١٥١٩ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٢٤٩٥٥٧ (٠٠٢١٢٢٠٠) ف ٢٤٤٠٠٢٢٣ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عمان - مسقط - ص.ب ٤٦٣ العذيبة، رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٩٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو مايعادلها)
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (أو مايعادلها)
• للمؤسسات : ٢٥ دينارا كويتيا (أو مايعادلها)

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان: ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات او مايعادلها.

موضوع الغلاف

عمارة الأرض وفقاً للمنهج الرباني تستلزم الأخذ بالأسباب العلمية، والمادية فلا يكفي الاستغفار والدعاء لجلب الأرزاق لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة...

في هذا العدد

٣- الافتتاحية: هل يصبح الأدب الإسلامي دعامة من دعائم التنمية — التحرير
٤- كلمة العدد: تساؤلات تحتاج إلى معالجة — التحرير
٦- بريد القراء — التحرير
٧- أنشطة الوزارة — التحرير
١٢- حوار/ د. عبدالغفار هلال: انسجام بين الأدب الإسلامي والفطرة — أحمد مصطفى
١٦- من نوادر المخطوطات الكويتية — إدارة المخطوطات
١٧- اقتصاد/ الرؤية الإسلامية للتضامن التعاوني — عبدالحافظ الصاوي
٢٠- اقتصاد/ نحو نظرية اسلامية لتفسير التخلف في العالم الإسلامي — مصطفى محمود عبدالسلام
٢٤- شخصيات/ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط محدث الشام — د. محمد حسان الطيان
٢٥- شعر/ تريد الماء — محمد أحمد أبوديه
٢٦- دعوة/ الأزمة ليست في الدعوة ولكن في الدعاة أنفسهم — د. محي الدين عبدالحليم
٢٨- دعوة/ محاولة لرسم سمات ومعالم ثقافة الداعية ١/٢ — د. أحمد عساوي
٣٢- فكر/ العلو في الدين وأثره السلبي في حياة الفرد والمجتمع ٢/٢ — د. أحمد العمراني
٣٨- استشراق/ السيرة النبوية في دراسات المستشرقين ٢/٢ — د. حسن عزوزي
٤٠- فكر/ منهجيات الإصلاح والتجديد الإسلامي ٢/٢ — شاكر عبدالقادر
٤٢- قراءة في كتاب: الحوار آدابه وأهدافه — د. إسماعيل عبدالكافي
٤٤- فكر/ مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر في التعامل مع الحضارة الغربية — فهمي هويدي
٤٧- فكر/ الأمن الشامل في الإسلام — د. حسن أبوغدة
٤٨- دراسات قرآنية/ البعد العالمي في الخطاب الإسلامي — عبدالكريم حامدي
٥١- دراسات قرآنية/ جولة فكرية في سورة الماعون — عبدالهادي صافي
٥٢- طب/ تحسين النسل جينياً باختيار الأزواج الحاملين لصفات وراثية — د. عبدالفتاح ادريس
٥٤- دراسات أدبية/ أثر القصة في الأطفال — يحيى حاج يحيى
٥٦- قضايا أدبية/ تجربة النضال باللغة العربية في أفريقيا — الخضري عبدالباقي محمد
٥٨- شخصيات/ العقاد وعبقرية الصديق — كمال عبدالوهاب أحمد
٦٠- فن/ هل تصلح الدراما أن تكون وثيقة تاريخية؟ — حسين منصور السخاوي
٦٢- فن/ جماليات الفن الإسلامي في الحرف والزخارف والفاشاني — د. بركات محمد مراد
٦٨- البيت المسلم/ حين يصبح الكمبيوتر أخطر معاول الهدم الاجتماعي — محمد عبدالشافي القوصي
٧٠- البيت المسلم/ لغة الحوار بين الزوجين — منى السعيد الشريف
٧٢- البيت المسلم/ التدخين عند النساء خطر اجتماعي وإسلامي! — د. نادية محمد السعيد
٧٦- البيت المسلم/ المرأة كيف نتجاوزها بنجاح؟ — حسام فتحي أبو جبارة
٧٩- البيت المسلم/ ملكات لعرش الجمال (شعر) — علي محمد محاسنة
٨٠- البيت المسلم/ عندما تكتئب البراعم! — إيمان القدوسي
٨٢- البيت المسلم/ الفنق عند الأطفال — د. نهلة محمد عبدالهادي
٨٤- الوعي دوت كوم — وائل عبدالرحمن
٨٦- في الساحة الأدبية — محمد هاني
٨٨- نافذة على العالم — التحرير
٩٠- تقارير وتراجم — عبدالمنعم أحمد
٩٢- الوعي الاقتصادي — حسن خليل
٩٣- اسألوا الأطباء — د. عبدالحي البهنساوي
٩٤- قطوف إسلامية — أحمد عبدالجبار
٩٦- الفتاوى — إدارة الإفتاء
٩٨- الناقدة الأخيرة/ طوفان العصر الحديث — عبدالستار خليف

26

دعوة

الأزمة ليست في الدعوة ولكن في الدعاة أنفسهم

لماذا يعاني العمل الدعوي من الركود والتحجر والجمود مع أن أبرز ما يميز دعوة الإسلام ارتباطها بالعقل واحترامها له وتوجيهه نحو التفكير الحر ... ترى أين تكمن الأزمة وما سبل العلاج؟

44

فكر

مبادئ الخطاب الإسلامي في التعامل مع الحضارة الغربية

إذا كان من المهم والضروري السعي حثيثا للإسهام في حوار الحضارات فما الأسس التي يجب أن يركز عليها خطابنا الإسلامي ليكون أكثر تجاوبا وملاءمة للتطورات الغربية في عالم يموج بالمتغيرات والأفكار؟

60

فن

هل تصلح الدراما أن تكون وثيقة تاريخية؟

هل يجوز لمؤلف الدراما أو مخرجها أن ينقطع عن سياق التاريخ ليؤكد وجهة نظره واتجاهه الفكري الذي قد لا يتطابق والرؤية الإسلامية الصحيحة؟!

الوعي الإسلامي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

Al-Waei Al-islami
P.o. Box 23667 Safat
13097 Kuwait
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX: (965) 5348954

Adm. & Fin. Controller
Khaled A. Buqammaz

Editing Director
Tammam A. Al-Sabbagh

Editor
Ahmad T. Helal

Art Designer
Asharf Abed

اقرأ في العدد القادم

- **المعرفة أساس رقي المجتمعات**
د. أحمد عبدالرحيم السايح
- **المسلمون والتسامح .. موقف متميز**
د. بركات محمد مراد
- **الدواء المخزون خرافة موت في المنازل!!**
د. عبدالرحمن النمر
- **العربية في سوق اللغات**
د. جمال الحسيني أبو فرحة
- **الاختلاف وقبول الآخر**
د. حسن عبدالغني أبو غدة

ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء، وتنشر منها في ملتقى القراء ما يتوافق وسياسات النشر لديها بما لايتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي، وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها

ملتقى القراء

اليهود ... عُقَدٌ وتاريخ مزيف

عُقَدٌ كثيرة تحكم علاقة اليهود بشعوب العالم، وهذه العقد تضاف إلى الموروث الهائل من العقد التي ارتسمت في شخصيتهم المريضة الأنانية التي لا تعترف بالآخر الذي لا يستحق حتى العيش في نظرهم وربما تكون هذه العُقَدُ هي البداية الحقيقية لمشروع صهيوني متكامل الجوانب، عملت عليه الدوائر الصهيونية المتطرفة، والجدير ذكره هنا أن نذكر بعض العُقَدُ الحديثة نسبياً التي ساهمت في زيادة حجم الحقد، والكراهية للآخرين، ومنها عقدتهم تجاه الروس بعد الاضطهاد الروسي ضد اليهود خلال ١٩٥٠ وما قبلها، ومن ثم عقدتهم تجاه «هتلر» ومعسكرات الاعتقال التي أقامها لليهود خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، وقد عمل اليهود على الاستفادة من ذلك، وحصلوا على التعاطف الذي لزمهم في تلك الفترة.

ولأنها لا تقبل الآخر ولا تعترف بوجوده فهي من خلال المنظمات الصهيونية المتطرفة، والمنظمة في جميع أنحاء العالم تقوم بتهويد المقدسات الإسلامية، والتاريخ العربي، فهي تأخذ من الكنعانيين، والسومريين، والمصريين، وتنسبه إلى نفسها رغم عمرها «القصير» في المنطقة، فهي ترجع لغتها العبرية إلى عهود قديمة لم يكن لها أي وجود.

● محمود عبدالرحمن عثمان

وسام شرف

عندما تصفحت العدد/٤٧٢ لسنة /٤١/ ذو الحجة ١٤٢٥هـ ص٩ . وتحت عنوان: «إمرأة لمنصب قيادي في وزارة الأوقاف» فرحت كثيراً وغمرتني البهجة والسرور، واعتبرت ذلك وسام شرف للأخت إيمان محمد الحميدان لتحمل هذه المسؤولية.. ومع كل التوفيق..

● ليلى محمد محمد - سوريا

القَتْلُ الرَحِيم .. بِيَدِ الشَيطَان الـ

إنَ الحق في الحياة من أسمى حقوق البشر ولا يحق لأي إنسان أن يقتل إنساناً لإزاحته من عذاب المرض، فلقد تفشت أخيراً ظاهرة (القتل الرحيم) كما يسمونها في أوروبا - حيث قام منذ نحو عشر سنوات أحد علماء (استراليا) باختراع حبة قاتلة تُنهي حياة من يتناولها، أطلق عليها (حبة الموت الرحيم) !!!!

وتكونت في (استراليا) جماعة أطلقت على نفسها (جماعة القتل الرحيم) تطالب باستخدام تلك الحبة لإنهاء حياة المرضى اليؤوس من شفائهم وبعد ذلك أصدرت (هولندا) قانوناً يبيح إنهاء حياة المرضى اليئوس من شفائهم!

هكذا وبكل بساطة تُنهى حياة المريض !!! وهو الذي خلقه الله ليعيش حياته وتُقبض روحه طبقاً لقوانين والهية وتقديرات ربانية تتعلق بمولده وحياته ووفاته، وبدأت هذه الجماعات تطبيق قانونها الخاطئ على الأمريكية التي تدعى: (جانيت أوكينس) التي كانت تعاني من مرض (الزهايمر) وتولى دكتور (جاك - كيفور كيان) الأميركي إنهاء حياة هذه المريضة بمادة (كلوريد البوتاسيوم) وتعود للفكرة عينها وهي إنهاء حياة المريض الذي ممكن أن يشفى من مرضه بإذن الله تعالى وتستمر حياته إلى أن يحين أجله بإذن الله. وهذه الظاهرة ظاهرة ابتدعها الإنسان بإيحاء من الشيطان الرجيم، إذ هذا الموت الرهيب يعد قتلاً لنفس حرم الله قتلها وهو أمر مرفوض تماماً وهذه الدعوات الغربية

صرخة ما بعد الزلزال

يا إنسان
أمي لا تبلغه الألفاظ
أمي في الأعماق عميق
أمي لا يعرف إلا بالإحساس
أمي في دمع الأطفال
الأيتام وقد باتوا من غير معين
أمي في دمع المظلومين
أمي عبر دماء منكوبي الزلزال
أمي عبر دماء شهداء الإرهاب
أمي في القدس المسلوبة
أمي في دقات قلوب الرمال وصيحات الجدران
يا إنسان في كل مكان
أمي لا يعرف إلا بالإحساس
أمي لا يدركه إلا الإنسان
فتذكرني يا إنسان
فتذكرني يا إنسان

• شعبان محمود شعبان

رجيم

تدل على انعدام الإنسانية والاستهانة بروح الإنسان التي حرّم اللهُ قتلها إلاّ بالحَق ونقول لهؤلاء الأطباء: ماذا لو قتل الطبيبُ مريضه المؤوس من شفائه ثم بعد أيام اكتشف العلماء الدواء لمرضه؟ إن هذا القتل يُخالف الشريعة الإسلامية ولا يمكن إباحته مهما كانت خطورة المرض الذي يعاني منه المريض.

• رفعت محمد بروبي

ودّ لا ردّ

طالعت في مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤٧٤ الصادرة في شهر صفر ١٤٢٦هـ تعقيباً طيب الكلمات عن قصتي «حارس الكعبة» المنشورة في مجلة براعم الإيمان ملحق المجلة .. العدد ٣٤٣ الصادرة في شهر ذي الحجة ١٤٢٥هـ وقد أثلج صدري حقا اهتمامه بكتاباتنا المتواضعة، مما يدلل على التفاعل الحسي مع الأحداث والأسلوب.

كشف التعقيب عن قارئ ذي وعي إبداعي وفكري عال، أنا أبادله الود بالود، فهذه كلمات ودّ لا ردّ أوجزها فيمايلي:

أولاً: القصة كما وردت ليست تأليفا خالصا أو محض خيال وإنما هي قصة شهيرة متواترة وردت من ثقات عن ثقات واحيلت قراءاتكم الواعية إلى كتب السيرة لابن كثير وابن هشام .. فقط ألبستها ثوب البساطة والرقي الإبداعي بغلاف طفولي رقيق لتترك أثراً في نفس الطفل المسلم، راجين من الله أن ترتقي إبداعاتنا المتواضعة الى درجة العلم الذي ينتفع به، نرسخ في عقول أطفالنا تعاليم ومعجزات دينهم السمح لنؤسس رجالاً يذودون عن دينهم بكل قوة وعزيمة.

ثانيا: وكما اوضحتم كان الهدف العام من هذه القصة وما يعقبها من قصص ضمن سلسلة أعددتها إبداعيا تسمى «حمام الحرم» هدفها العام إظهار رعاية الله للبيت الحرام والكعبة المشرفة، وانطلاقا من الهدف العام كان التكريس على إظهار حماية الله ورعايته جل وعلا لا البشر وما ورد عن «عمرو بن لحي» إلا بضع كلمات في موقف عرضي لم أوضح فيه عنتريته ونصاعة سجله بقدر ما أوضحت فيه حقده وعداوته للجراهمة واحيلك لقول ورو في القصة «من رأى جرهيما ولم يقتله قطعت يده».

فالجراهمة لا شك هم حماة الحرم والقائمين على السقاية والرفادة، وهذا ما جعل أهل مكة لا يشكون فيه طرفة عين، وهذه الثقة جعلت بعضهم ممن في قلبه مرض يسرق أموال البيت وكثرت الشكوك كما ورد في القصة، حتى كشف الله السارق، لنؤكد حماية الله لبيته الحرام، ونظرا للعداء بين بني خزاعة والجراهمة تمسك بنوخزاعة بالفرصة وظهرت مكائد عمرو بن لحي لا من أجل حماية الحرم المكي بل من أجل شحذ الهمم لعداوة الجراهمة.

ثالثا: لكل إنسان في حياته صفحة مضيئة وصفحات معتمة أو العكس فلا يضره أن تتضمن حياة عمرو بن لحي موقفاً مضيئاً وإن كنت لم أدلل على ذلك ولم أكرس له إبداعيا في عملي، إنما ذكر عرضا كما ورد في النص الأصلي، وهذا ليس دفاعا عنه فنحن نتفق معك أنه زنديق كافر، وأحيلك للتاريخ الإسلامي الذي مازال يذكر لـ «أبي لهب» عم رسول الله موقفه المضيء يوم أعتق جاريته التي جاءت تبشره بميلاد رسول الله ﷺ إلى آخر تلك المواقف.

• مجدي محمود الفقي - مصر

توضيح

حصل خطأ مطبعي في العدد الماضي ٤٧٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ.

حيث نشر خطأ اسم كاتب آخر في المقال المنشور في الصفحة ١٨ تحت عنوان «نحو أسلوبية للرحمة في الخطاب القرآني» علماً بأن كاتب المقال هو الدكتور «محمد إقبال عروي» فنرجو المعذرة لما

الإعدادي الثانوي النموذجي إضافة إلى ٢٠ فصلاً آخر، ومعمل لغات ومعمل علوم ومكتبة ومسجد للطلبة، فيما يسع المجمع نحو ١٥٠٠ طالب وطالبة وتبلغ كلفته الاجمالية نحو ٤٥٠ الف دولار.

ويأتي هذا المشروع ضمن خطة المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية، بالتنسيق مع الأزهر التي تهدف إلى المشاركة في تنمية المجتمعات العمرانية الجديدة.

وقام وزير الأوقاف كذلك بوضع حجر الأساس لدار الضليع للأيتام في ضاحية زهراء المعادي والمبنى مكون من ثلاثة طوابق بكلفة ١٢٠ الف دولار.

يذكر أن عدد الأيتام الذين يرعاهم المكتب يصل الى نحو ٩١٦ يتيماً في تلك المنطقة، حيث قدمت لهم خدمات تعليمية وصحية وثقافية، إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وفتح دفاتر توفير.

وتفقد د.«المعتوق» والوفد المرافق سير العمل في مشروع المركز الطبي لورثة المرحوم «عبدالله محمد العوضي» في ضاحية اليسانين في القاهرة وهذا يعد من أكبر المراكز الطبية الشاملة التي ينفذها المكتب في مصر وتبلغ تكلفته نحو ٥٥٠ الف دولار.

كما افتتح د.«المعتوق» مشروعين جديدين في محافظة الجيزة وهما: مجمع وضحة الإسلامي في منطقة الشويك الغربي في البدرشين بالجيزة، ويضم مسجداً وداراً لتحفيظ القرآن وداراً للمناسبات وقد بلغت تكلفته ٨٤٠ الف جنيه مصري (نحو ١٤٥ ألف دولار).

أما المشروع الآخر الذي تم افتتاحه فهو مسجد المرحومة «بدرية فهد عبد الرحمن الزيد» في قرية ذات الكوم في إمبابة بمحافظة الجيزة بمسطح اجمالي ٤٠٠ متر مربع وبكلفة اجمالية ٣٥٠ الف جنيه مصري (نحو ٦٠ الف دولار).

والجدير ذكره أن بيت الزكاة الكويتي اقام أكثر من «٣٥٠» مشروعاً في مصر حتى الآن شملت مساجد ومدارس ومراكز صحية ومستشفيات وغيرها.

الرئيس المصري يكرّم د. عبدالله المعتوق

القاهرة - حازم البرديسي

شهدت العاصمة المصرية القاهرة على مدى اربعة أيام (١٧-٢٠ ابريل ٢٠٠٥م) فعاليات المؤتمر السنوي السابع عشر للمجلس الأعلى المصري للشؤون الإسلامية الذي عقد تحت عنوان: «إنسانية الحضارة الإسلامية» برعاية الرئيس المصري «حسني مبارك» وبحضور علماء ووزراء أوقاف ومفتين من «٦٥» دولة إسلامية وممثلين عن الأقليات الإسلامية و«٦» منظمات إسلامية وقد وجه العلماء المشاركون في المؤتمر رسالة سلام للعالم أجمع من أجل العيش في سلام ونبذ الحروب والعنف والإرهاب والتطرف وتصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام حيث ألصقت به ظلماً وعدواناً، وقد كرم الرئيس المصري «حسني مبارك» وزير الأوقاف الكويتي الدكتور «عبدالله معتوق المعتوق» بمنحه وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى وذلك تقديراً لدوره وجهده في خدمة الإسلام كما تم تكريم «٦» من العلماء والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة «أونوش لوراند» في المجر الدكتور «شاندور فودور» ورئيس القطاع الديني في وزارة الأوقاف المصرية سابقا الشيخ «محمد عبدالمجيد محمد زيدان» ورئيس قطاع الخدمات المركزية في وزارة الأوقاف سابقا «ملك محمود مصطفى» ومدير أوقاف الإسكندرية سابقا الشيخ «مرزوق سعد محمد أبو عبيد» والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف سابقا الشيخ «السيد وفا حسن أبو عجور» ورئيس الإدارة المركزية للعلاقات الخارجية في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سابقا الدكتور «أحمد علي محمد الزيني».

● الرئيس حسني مبارك

● وزير الاوقاف د. عبد الله المعتوق

وأكد الوزير د. «المعتوق» أن هذا التكريم هو تكريم للكويت حكومة وشعباً ويمثل دفعة قوية للعمل الخيري الإسلامي وللعاملين في حقل الدعوة الإسلامية ويأتي هذا الدور تأكيداً لدور الكويت الفاعل في ترجمة القيم الإسلامية الرفيعة إلى أعمال ومشاريع ومؤسسات تقدم الخدمة والرعاية والمساندة لأولئك الذين يحتاجون لمثل هذه الرعاية، مشيراً إلى أن المناقشات التي دارت خلال المؤتمر عكست وسطية الإسلام واعتدال أفكاره ورؤاه.

مركز السراج المنير فرع الفيحاء أقام بطولة كرة القدم الأولى

تحت رعاية المشرف العام الملتقى السراج المنير عبدالله الكمالي أقام مركز الفيحاء بنين بطولة كرة القدم الأولى في ملعب المركز وقد شارك في البطولة مركز العارضية ومركز بيان ومركز مبارك الكبير، وأيضاً مركز الفيحاء، وقد حصل على المركز الأول في المسابقة مركز بيان وتم توزيع الجوائز والكؤوس والميداليات على الأبناء المشاركين.

هذا وقد صرح «محمد الدبيخي» وكيل مركز الفيحاء بنين أن هذه البطولة التي جمعت بين أبناء السراج المنير إنما هي لإحياء روح المنافسة وغرس الأخلاق الحميدة بين أبنائنا الطلبة، وجاءت البطولة ضمن فعاليات البرنامج الرياضي للمركز، حيث أشاد وكيل المركز بالدور البناء والجهد المميز الذي يقوم به العاملون في ملتقى السراج المنير، وأفاد أيضاً أن المركز قد تم تجديدة وتجهيزه بكل ما يلزم من ألعاب ترفيهية حتى يلائم الأعداد الموجودة من أبنائنا الطلبة في السراج المنير، وصرح أيضا بأنه سيكون هناك في المستقبل فرصة لبطولات أخرى وأنشطة اجتماعية وثقافية لطلبة السراج المنير.

● البراعم المشتركة في البطولة

ومن جانب آخر صرح «محمد الدبيخي» وكيل مركز «السراج المنير» في الفيحاء بأن المركز قام بزيارة لمستشفى الصباح قسم الأطفال وشارك بهذه الزيارة أبناء «السراج المنير» وتم خلالها زيارة عدد من الأطفال المرضى في قسم الأطفال ومواسانهم بالكلمة الطيبة والدعاء لهم بالشفاء العاجل وإدخال الفرحة على قلوبهم عن طريق تقديم الهدايا والألعاب والورد وكان لهذه الزيارة التي تأتي ضمن البرنامج الاجتماعي لـ«السراج المنير» (فرع الفيحاء) الأثر الطيب في نفوس المرضى.

وزير الأوقاف أفتتح مشاريع خيرية بتمويل كويتي في جمهورية مصر العربية

افتتح وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د. «عبدالله المعتوق» عدداً من المشاريع الخيرية والتنموية في عدد من محافظات مصر، رافقه فيها وفد كويتي ضم كلاً من: نائب رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة «عبدالرزاق المطوع»، وعضو مجلس إدارة البيت «حمود الرومي»، والمدير العام لبيت الزكاة «عبد القادر ضاحي العجيل» ومدير المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة «إسماعيل الكندري».

كما شارك في حفل الافتتاح شيخ الأزهر د. «محمد سيد طنطاوي»، ومحافظ القاهرة «عبد العظيم وزير»، وعدد كبير من القيادات التنفيذية والشعبية.

ودعا د. «المعتوق» إلى استمرار هذه المشاريع التي تعزز بدورها العلاقات الطيبة التي تربط الكويت بشقيقتها مصر، ونقل تحيات أهل الكويت أميراً وحكومة وشعباً للقيادة المصرية وشعبها، معرباً عن شكره وتقديره الخاص للشعب المصري لحسن الاستقبال والترحيب الذي أبدوه.

وذكر د. «المعتوق» أن المكتب أنشأ نحو «٥٠٠» معهداً في منطقة الأزهر الشريف. موضحاً أنه تم الانتهاء من «٤٠٠» وجار تنفيذ عشرة معاهد بكلفة «٥٠» مليون جنيه.

وأشاد وزير الأوقاف بالتعاون الكبير بين وزير الأوقاف المصرية والأزهر الشريف ودار الافتاء في إطار مذكرة التعاون الموقعة مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية.

كما أشاد بالقائمين على تذليل الصعاب التي تواجه إنشاء هذه المشاريع وفي مقدمهم الرئيس المصري «حسني مبارك».

وأوضح «المعتوق» أن العلاقات الكويتية المصرية قديمة وراسخة وأن مصر شهدت بناء الكثير من المشاريع الخيرية أكثر من أي بلد مسلم آخر، وأن هناك خطة سنوية لمتابعة وصيانة هذه المشاريع لضمان استمرارها في أداء دورها.

وقال: د. «المعتوق» إن هذه المشروعات تعد عرفانا وتقديراً من دولة الكويت حكومة وشعباً لدور مصر الرائد والمتميز على الساحتين العربية والإسلامية، كما أنها ترجمة واقعية لعمق العلاقات المصرية - الكويتية، حيث يجمعهما الهدف الواحد والمصلحة المشتركة والتعاون المثمر في شتى المجالات.

وأكد المعتوق حرص الكويت ومؤسساتها على المشاركة الفعالة في مختلف مشاريع التنمية في مصر، مضيفاً أن افتتاح هذا المجمع ينطلق من الإيمان الصادق برسالة الأزهر الشريف السامية التي تجسد أسمى المعاني والقيم الدينية والروحية والتربوية.

ومن جهته، اثنى شيخ الأزهر الدكتور «محمد سيد طنطاوي» على جهود الكويت في بناء المشاريع الخيرية في مصر وأكد أن العلاقات الكويتية - المصرية عريقة وموطيدة منذ الأزل وفي جميع المجالات.

وأضاف أن العلاقات الرسمية والشعبية بين البلدين تتسم بالتواصل والمحبة على مدى السنين، معربا عن تقديره لحكومة الكويت وشعبها على القيام بدور كبير في مجال التكافل بين دول العالم الإسلامي.

كما أشاد محافظ القاهرة «عبد العظيم وزير» بالمشروعات الخيرية الكويتية في مصر وبدور مكتب المشروعات الخيرية، وقال: إنها شملت مساجد ودور أيتام ومراكز صحية ومجمعات معاهد دينية.

وأعرب عن شكره لدولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً ولوزير الأوقاف د. «المعتوق» الذي قام بافتتاح هذه المشاريع الخيرية، مما يعزز التواصل بين الشعبين الشقيقين المصري والكويتي.

وأقيم مجمع المعاهد الأزهرية النموذجية في منطقة القطامية المخصصة للأزهر الشريف بمساحة ٤١٠٠ متر مربع، ليخدم نصف مليون نسمة من سكان المدينة والمناطق المجاورة لها.

ويضم المجمع ثلاثة معاهد، هي معهد الكويت الابتدائي الأزهري النموذجي المشترك، ويتألف من ٢٠ فصلاً دراسياً، ومعهد الكويت

● صورة ارشيفية لبعض مشاريع الخير الكويتية في مصر

أثر اجتماعي إيماني لحملة صلاتي

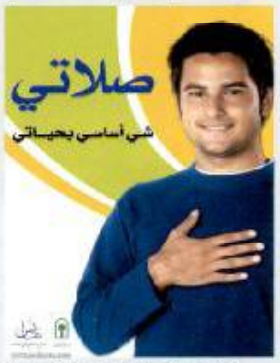

قال مراقب الدراسات والتسويق الإعلامي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمشرف العام على حملة «صلاتي شيء أساسي في حياتي» أحمد القراوي: إن الحملة نجحت في التفاعل مع شريحة الشباب من عمر ١٦- ٢٢ عاما وشدت انتباههم إلى جملة من الغايات المتعلقة في الصلاة.

وأشار «القراوي» إلى أن عددا كبيرا من الآباء والأمهات في المجتمع الكويتي أكدوا أن حملة «صلاتي شيء أساسي في حياتي» مفيدة لأبنائهم ، حيث اثبتت دراسة أجرتها مؤسسة «فوكس للاستشارات» على عينة عشوائية من المجتمع الكويتي بلغت ٤٠٠ فرد أن ٩٥ في المئة من الأهالي المشمولين بالدراسة لمسوا الأثر الإيجابي للحملة على أبنائهم، مبررين اعتقادهم هذا أن الحملة تدعو للقيم دينية سلوكية راقية هي «الصلاة» وتشجع عليها بوصفها الأمر الأكثر أهمية في الحياة وأكد ٤٣ في المئة أن الحملة أثرت فيهم وجعلتهم يحدثون تغييرا معينا في حياتهم.

وأضاف «القراوي»: أن «٧٥» في المئة من الشباب من عينة الدراسة أكدوا أنهم استفادوا من الحملة حيث تأثروا بها من خلال الالتزام بالصلاة أو زيادة هذا الالتزام فيما عبر ٢٠ في المئة آخرون عن التزامهم المسبق بالصلاة بالإضافة إلى أن نسبة عالية م الشباب ذكروا إن الالتزام المسبق بالصلاة لم يكن بالمستوى المرضي وخصوصا بين شريحة الذكور لتعلقهم بأمور حياتية دنيوية ما يؤكد أهمية الحملة في تعزيز هذه العبادة التي تنعكس إيجابا على السلوك العام للفرد.

موجز أخبار

• شارك وزير الأوقاف د.«عبدالله المعتوق» في الندوة ١٤ لقضايا الزكاة المعاصرة التي عقدت في البحرين في الفترة بين ٢٨ -٣١ مارس ٢٠٠٥ م.

• أعرب وكيل وزارة الأوقاف بالإنابة يوسف العوضي عن ترحيبه بتطوير العلاقات بين وزارة الأوقاف ومركز إكسفورد للدراسات الإسلامية التابعة لجامعة إكسفورد في بريطانيا.

وقال العوضي عقب اجتماعه يوم ٢٠٠٥/٤/٩م مع الدكتور «باسل مصطفى» إن الوزارة ستبحث سبل التعاون مع المركز لما فيه خير ومصلحة العالم الإسلامي.

• ضمن دورة الوزارة في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال ونبذ العنف والإرهاب أقامت وزارة الأوقاف بالتعاون مع وزارة التربية خلال هذه الفترة بين ٢٤ - ٢٠٠٥/٤/٢٧م محاضرات طلابية تحت عنوان «كيف نحمي أبناءنا من الانحراف والتطرف» وقد شارك في المحاضرات نخبة من وجوه المجتمع الكويتي وعلمائه وبعض فنانيه ولاعبيه.

متوسطي المعرفة، بأسلوب مبسط واضح وإخراج فني جميل. كما أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهي تقدم هذا البرنامج لا تدخر وسعا ولا تضن بمال من أجل تفقيه المسلمين وإبراز سعة شريعتهم، وجمال أحكام دينهم، وبعد ذلك كله عن التعقيد والتشنج والعنف والكراهية والإرهاب.

وأكد د.«الفلاح» أن «وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ماضية في برامجها العلمية والثقافية والإعلامية الهادفة. وأهم برامجها العلمية تلك البرامج المتعلقة بالموسوعة الفقهية فخر الكويت ومعلمة العصر، ومن تلك البرامج ترجمة الموسوعة الفقهية إلى لغات العالم، وبرامج الفهرسة الفقهية C D وبرنامج الموسوعات الموضوعية كالحج وغيرها وبرنامج تحقيق التراث.

وأشاد د.«الفلاح» بـ«الأمانة العامة للأوقاف على دعمها المستمر لمشاريع الوزارة العلمية والعملية والدعوية في المساجد والموسوعة والثقافة وغيرها، ولفت إلى أن «وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قامت قبل الغزو الغاشم بالمباشرة في إذاعة الموسوعة الفقهية، ولكن الغزو أوقف البرنامج وأضاع كل ما يتعلق به من مواد إذاعية، وقد ارتأت الوزارة إعادة إعداد وإذاعة المادة العلمية من أولها وذلك رغبة منها في توثيقها وحفظها كاملة، ولوجود بعض الفوارق الفنية بين ما أذيع سابقاً وما يذاع حاليا، واختير تاريخ ٢٠٠٥/٥/١م لبدء إذاعة برنامج الموسوعة الفقهية بناء على رغبة إذاعة الكويت والبرنامج العام لمواكبة الدورة الإذاعية الحالية وستتم إذاعة البرنامج في الساعة ١٢.٤ دقيقة بعد الظهرا وهي من فترات الذروة في الإذاعة ثم يعاد بثها مرتين في اليوم بين فترتي المغرب والليل».

وأفاد د.«الفلاح» أن «لدى الوزارة مشروعاً لترجمة الموسوعة إلى لغات عدة منها اللغات الأوروبية وكذلك التركية. ورأينا كذلك أهمية إخراجها إلى موسوعة مصورة، وهذا مشروع ضخم وكبير ومكلف، كما تم الاتفاق مع إحدى الشركات لتقدم الموسوعة على شكل C D، ونتوقع أن تخرج عدداً كبيراً من الموسوعات من رحم الموسوعة الفقهية، ونحن نحاول أن نقدمها بشكل تجاري يمكن لجميع الناس الحصول عليها وشراؤها بجعلها مضغوطة في أجزاء أقل مع الحفاظ على النوعية والجودة قدر الإمكان.•

• قام وكيل وزارة الأوقاف د.«عادل عبدالله الفلاح» بجولة في إدارة الدراسات الإسلامية اطلع خلالها على مركز إعداد الدعاة الجديد المستحدث في الإدارة حيث استمع إلى شرح وافٍ من مدير الإدارة عن أهداف المركز ومراحله الدراسية وعن عدد المنتسبين إليه وشروط القبول فيه والهيئة التدريسية المشرفة عليه.

• أعلن وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون المساجد «عبدالله شهاب» أن قطاع المساجد يدرس حالياً مع شركات الاتصالات وضع نظام خاص في المساجد لأجل أجهزة الهاتف النقال مهمته تحويل جهاز الهاتف النقال اتوماتيكيا الى «صامت» قبل وبعد الصلاة لمدة نصف ساعة.

• عقدت المراقبة الثقافية في إدارة مساجد محافظة مبارك الكبير ندوة جماهيرية تحت شعار «عملي أمانة» حاضر فيها الدكتور «طارق الطواري».

• المراقبة الثقافية في ادارة مساجد محافظة العاصمة تعقد عدداً من الدروس الإيمانية التي يحاضر فيها عدد من العلماء وذلك خلال الفترة بين ٤/٢٣ -٢٠٠٥/٦/١٧م

• مدير إدارة مساجد العاصمة أحمد العصفور

الأوقاف عقدت ملتقى الأدب الإسلامي

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية د.«عبدالله المعتوق» أقامت إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة خلال الفترة بين ٤/٢٤ - ٢٠٠٥/٥/٤م وبالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية ملتقى الأدب الإسلامي تحت شعار «الأدب الإسلامي ودوره في تنمية المجتمع». وقد شارك في الملتقى كل من: د.«عبد القدوس ابو صالح» رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، د.«عبد الباسط بدر» نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي رئيس مكتب البلاد العربية، د.«حمن بن فهد الهويمل» رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في المملكة العربية السعودية، د.«حبيب بن معلا المطيري» عضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في السعودية، د.«عبد الرحمن العشماوي» عضو الهيئة الإدارية لمكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، د.«محمد إقبال عروي» عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، د.«ناصر الزهراني» هذا وقد أكد وكيل الوزارة المساعد لشؤون الدراسات الإسلامية والحج «مطلق الفراوي» في كلمة له في حفل افتتاح الملتقى أن الأدب الإسلامي ليس مجرد عنوان لكلام منمق وعبارات براقة وصيغ جميلة وإنما الأدب الإسلامي فكر ومبادئ ورسالة ومنهج، كما أنه علم وسلوك وانجاز وإبداع، وأضاف الوكيل «الفراوي»:

إن قوام الأدب في لغات العالم كلها مرتكز على نشاط العقل والخيال ومحاكاة الإبداع والجمال وتنويع أساليب المقال وركوب أفانين اللغة لرسم أحاسيس النفس في كل مجال ولتحقيق هذه المقاصد والأهداف تتفاوت لغات العالم سعة وضيقا وكفاءة وعجزاً، فمن اللغات ما هو بدائي محدود ومتوسط حسن أو متفوق متميز.

وقد ناقش المحاضرون في الملتقى محاور عدة تتعلق بالأدب الإسلامي ومن أبرزها: الأدب الإسلامي تعريفه ومفهومه، الجوانب الفنية والذوقية في الأدب الإسلامي، الحوار في الأدب الإسلامي، الأدب الإسلامي ودوره في تهذيب السلوك كما شهد الملتقى في اختتام فعالياته دورة تثقيفية في الأدب الإسلامي حاضر فيها الدكتور «عبدالقدوس أبوصالح» وعدد من ضيوف الملتقى.

د. عبد الغفار هلال لـ «الوعي الإسلامي»:

انسجام بين الأدب الإسلامي والفطرة الإنسانية

حوار أجراه: أحمد مصطفى

أكد الدكتور «عبد الغفار هلال» عميد كلية اللغة العربية الأسبق في جامعة الأزهر أن صفحات الأدب الإسلامي والتاريخ تدل على نجاح القانون الإلهي والسنة النبوية المطهرة، لأن الوسائل التي تؤدي إلى الأدب الإسلامي يكتب لها البقاء، والاستمرار، إذا خلصت من الشوائب، والعوائق، ولم تتأثر بهوى، أو زيف وعمل على أن يخرج عن نطاقها الخبيث.

وأضاف في حديث خص به "الوعي الإسلامي" أن الأدب الإسلامي يوافق الفطرة الإنسانية ويتسم بالجمال والوجدان والعاطفة الجياشة.

وقال: إن الأدب إذا حمل أفكارا مستنيرة لا يجد الناس صعوبة في الاتجاه إليه والتمسك به، فلا مانع من أن ينطلق الشاعر من ثقافته العربية والإسلامية إلى ألوان جديدة من الثقافات في جميع الأقطار، على الرغم من تعددها، وما تحويه من أفكار، ونظريات توصل إليها العلماء، لكن مع المزج والربط، والإفادة بعيدا عن انقلاب الموازين، والانفلات من المعايير للفرد والجماعة، وإهمال التراث، والابتكار، والتجديد بما يعني ترك الموروث الحضاري كما يفعل بعض دعاة التحرر.

وفيما يلي نص الحوار:

• ما أهم المبادئ التي يدعو إليها الأدب الإسلامي؟

- الأدب الإسلامي يدعو إلى السلام والأمن ويحرص على صالح الأمة، ويدعو إلى الاستقرار، والعمل الجاد، والنهوض بالأمة، ويشحذ همتها لتصل إلى ما كان لها من مجد قومي واجتماعي، ويجب ألا يخشى منه أحد، فهو صديق الحياة، وحامل مشاعل الهداية للناس، بما يحمله من أدوات ومبادئ، وحضارة أصيلة متجددة.

• وما سبيله للخروج والتأثير في أغلب الحضارات، وكذلك ظهوره على وجه ما ينبغي أن يكون عليه؟

- إن الأدب الإسلامي يجب أن يفسح له المجال للبروز، والعمل، والنشاط، وألا تضيق مساحاته، ويمنع من التأثير في الحياة العامة للناس، وأن يترك له العنان للانتشار، والذيوع، كما يجب الاهتمام به في المدارس، والجامعات، والنوادي الأدبية، والثقافية، ووسائل الإعلام، ليأخذ دوره في التأثير، والتأثر، والإفادة، والاستفادة، وألا نظر إليه على أنه رجعي، وكل ما هو رجعي يحكم عليه بالجمود والتوقف.

وكذلك لابد من العناية بالثقافة الإسلامية المقدمة للتلميذ في مختلف المراحل التعليمية، لتحصينه ضد التيارات الوافدة، وربطه بلغته الفصحى، وبيان أثر الإسلام في حياة المجتمعات، والتركيز على القيم الإسلامية، وأن ينظر في تأليف الكتب الدراسية وارتباطها بالقيم الإسلامية، لتبدو للتلميذ شخصيته، وكيانه وسط هذا الركام الهائل من الثقافات، ويستطيع أن يدعم ملامح الشخصية المسلمة حتى لا تذوب في غيرها من الثقافات.

• وكيف يمكن الرد على كل ما يشوه الإسلام؟

- ينبغي أن يرتكز على هذا التكوين الإسلامي للدعوة إلى وحدة الأمة، وتماسكها، والعناية بالمادة المعروضة على الطلاب، والمنهج، وطريقة العرض، بما يوصل الفكرة الإسلامية من منطلقات تربوية، واقتصادية، واجتماعية، ونفسية.

• وبماذا جاء الأدب الإسلامي؟ وهل يتعارض مع تنوع الثقافات وخصوصياتها؟

- الأدب الإسلامي يرتبط بالحياة، وجاء لإصلاحها، والتأثير فيها، فهو

الأدب الإسلامي يوافق الفطرة الإنسانية ويتسم بالجمال والوجدان والعاطفة الجياشة

أدب واقعي يعالج المشكلات، ويضع لها الحلول، فيتغنى بالنماذج الرائعة من أبطال الإسلام، ويمجد القيم التشريعية، ويحض على بناء الإنسان، ومساعدته في إقامة عناصر الحياة بجميع نواحيها، اجتماعياً، وسلوكياً، وفنياً، وتربوياً، حتى تتكون براعم الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

كما أنه لا يتعارض مع تنوع الثقافات، والإطلاع عليها، وخصوصيتها في إقليم دون آخر، ولكنه مع انصهار هذه الثقافة في النموذج الإسلامي، والاحتفاظ به، ويسمح بالتحرك بالأخذ، والإفادة مع التقيد بالقيم، لا التخلص منها، كما يدعو إلى التعاون، والمحبة، والألفة، والتكافل الاجتماعي، ويحذر من الاتجاهات التي تسمى الرومانسية، والسريالية، وما يقال من أدب الفن للفن، وما يفصل الأدب عن الواقع الاجتماعي، وكذلك تلك الثقافات التي توقظ الأحقاد بين الأجناس، وتبعث على التغني بالحضارات، فهذا مصري يمجد كل ما هو مصري، وهذا سوري يتغنى بمجده الفينيقي، وهذا يمني يتغنى بمبادئ حمير، وحضارتها.

● هناك من يقول، إن تعدد الثقافة يسمح بتعدد الإنتاج الأدبي ولغاته، فهل هذا صحيح؟، وكيف ترون ذلك؟

-القول: إن تعدد الثقافة يسمح بتعدد الإنتاج الأدبي ولغته، كأن يقال: إن المهندس له التعبير عن ذاته، وأفكاره، بطريقة هندسية، والطبيب له أسلوبه المستمد من تجاربه الطبية، وللخادم عباراته المستمدة من بيئته، وإذا ما وضع أمثال هؤلاء في عمل أدبي، يجب اتباع كل ممثل للفئة التي ينتمي إليها، ويجعلون ذلك هو التصوير للواقع، فإن هذا المنوال يجب أن يتغير، وأن يعود التعبير الفصيح إلى لسان الجميع، وعندنا من أساليب العربية ما يفهمه كل لسان.

كما ينبغي تغيير مسار الحداثة الذي اتجه إلى ما يسمى «الشعر الحر» المتحرر من الوزن، والقافية الأصليين، وما جر إليه ما يسمى «شعر التفعيلة» من أضرار، وكذلك إهمال الإعراب، والاكتفاء بتسكين أواخر الكلمات، أو تحريكها بما يفسد القواعد الأصلية، اتجاها إلى ترك الحبل على الغارب، وعدم التقيد بما يرقى باللغة، وآدابها في ظل عالمية الأدب الإسلامي.

● وهل هناك موانع في انطلاق الشاعر من ثقافته العربية والإسلامية الى ألوان ثقافية جديدة في معظم الأقطار؟

- لا مانع أن ينطلق الشاعر من ثقافته العربية والإسلامية إلى ألوان جديدة من الثقافات في جميع الأقطار، على الرغم من تعددها، وما تحويه من أفكار ونظريات توصل إليها العلماء، لكن مع المزج والربط والإفادة بعيدا عن انقلاب الموازين والانفلات من المعايير للفرد والجماعة، وإهمال التراث، والابتكار، والتجديد بما يعني ترك الموروث الحضاري كما يفعل بعض دعاة التحرر.

● وهل فعلا يؤثر الأدب الإسلامي في الأديب ويتدخل في تشكيله؟

-بالتأكيد يتدخل في تشكيل نفس الأديب، فيجعل ثقافته تعمل في ضوء ما ورث من التراث الإسلامي حضارة وتثقيفا، ولا يمنع هذا أن يأخذ من الثقافات الأجنبية بنصيب، لكنه يوظفها في إطار معتقداته، ومبادئه بحيث يستفيد من الصحيح منها، وينفي الزائف.

ولذلك فالأديب المسلم سواء كان شاعراً أو ناثراً يتفاعل مع الثقافات بما لا يذيب هويته العربية، والإسلامية، فمثلا «البارودي» حين كتب قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة"، و«البوصيري» في مدائحه النبوية، ولا سيما قصيدته «البردة»، و«شوقي» في قصيدته «نهج البردة»، لم يكن شعرهم إلا صورة للسيرة النبوية، وعليها آثار الثقافات التي اضطلع بها العصر، وفيها من التجسيد ما يجعلها تحمل الابتكار، مع التحفظ من الانحراف الذي قد تجنح به ثقافة لا قيود عليها في تناول القيم الإنسانية، وللثقافة الإسلامية جوانبها، وللثقافات الأخرى طوابعها التي قد تتصادم معها، والأديب الإسلامي لا يزيف صورته بالجري وراء غيره،

صفحات الأدب والتاريخ تدل على نجاح القانون الإلهي والسنّة النبوية

وهجر ما له من مبادئ وقيم.

وهذا يؤكد أن الأدب الإسلامي يقوم على بيان القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام، مصورا معالم الحق، وناعيا على الباطل واهله، في صور جمالية مؤثرة تنبض بالوجدان، والشعور، وصدق الإحساس، والتجربة، وتلك القيم تنبع من الكتاب والسنة، وهي تبني وتؤسس لبناء الفرد والجماعة على أسس سليمة وبعيدة عن الضعف الخلقي والاجتماعي وإهدار القيم العليا، وهو بهذا ادب عالمي يهتم بالفرد والجماعة، في إطار كلي لا يتجزأ، مما يهدي الحياة، ويقومها على وجهها الصحيح، والأكمل، لقوله تعالى:﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ الأنعام- ٥٣

وهو أدب يوافق الفطرة الإنسانية السليمة، ويتسم بالجمال، والوجدان، والعاطفة الجياشة، بعيدا عما يؤذي الفطرة، ويصرفها عن غاياتها الرشيدة، وله مقومات تعتمد على ما يعتمد عليه الشعر بصفة عامة من الصدق الفني، والارتباط بالأحداث المعبر عنها بالتجربة الشعرية، والتعبير عن الحقائق تعبيرا يتصل بالخيال الأدبي، الذي يؤثر فيمن يسمعه، ويجلي فيه ما يجذب النفوس إليه، وهو يستمد عناصره من مبادئ الإسلام، وقيمه الخالدة، ويتخذ من اللغة العربية الفصحى مجالا للتعبير بكل ما لها من خصائص، ومقومات بعيدا عن العامية، وملتزما بالمعقول به، بعيدا عن المغالاة، والجنوح، ومع الالتزام بالوزن، والقافية.

وقد تنوعت الثقافات الأدبية، تبعاً لمصادر التثقيف، ما بين شرقية، وغربية في مصر، والعالم العربي، والإسلامي، كما أن توجيه الأدب لأن يحمل ما يوصل الى هذه الغايات أمر ينبغي أن يتوجه إليه ذوو الألباب، والمفكرون، والمثقفون، من أن تستخدم ألوان الأداب استخداما صحيحا، فتبعد عن كل ما يصرفها عن طريقها الصحيح، وليس صرف الأدب إلى ذلك إلا دفعاً له إلى الخير، وبعداً به عن الشر، والمزج بين العواطف الإنسانية، والإسلامية، بجعل الأدب يؤدي وظيفته الحقيقية.

● هل يمكن تحديد معالم الشخصية الأدبية الاسلامية؟

-الأدب يحمل نماذج متعددة في كل مجال حتى يوجد له مكان تحت الشمس بين التيارات العالمية المختلفة التي لا تعبر إلا عن واقع أليم من ارتكاب الحماقات، والأوزار، والإضرار بالناس، فما نراه تحت أعيننا من انحراف القيم، واتجاهها إلى الأنانية الشخصية التي تجري وراء المتع الدنيوية الرخيصة عدوانا على الآخرين، وتضييعا لحق المستضعفين، إذ لم تفلح المذاهب المتعددة التي عرفتها البشرية سواء كانت اقتصادية، أو اجتماعية، كالرأسمالية، والشيوعية.

وما قيل عن الإيمان بالموجودات تحت الحس، وفي عالم الطبيعة، والواقع، وما اتجهت إليه من أدوات التعبير بشتى أشكاله الفنية، التي تعضد هذا الاتجاه، أو ذاك، وبعد ثبات فشل هذه المذاهب، والاتجاهات، فإن غرس قيم الإسلام المثالية، والكمالية اتجاه ينشد نفع الإنسان من دون

إذا حمل الأدب أفكاراً مستنيرة لا يجد الناس صعوبة في الاتجاه إليه والتمسك به

تحيز، وأنانية.

وفي صفحات التاريخ ما يدل على نجاح القانون الإلهي، والوسائل التي تؤدي إليه يكتب لها البقاء، والاستمرار، إذا خلصت من الشوائب، والعوائق، ولم تتأثر بهوى، أو زيف، وعمل على أن يخرج عن نطاقها الخبيث.. وإذا أخذ بميزان السماحة، واللطف، وأن الإسلام سهل يسير، لا يثقل المكلفين به، لقوله تعالى:﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، وإذا حمل الأدب أفكار الإسلام المستنيرة لم يجد الناس صعوبة في الاتجاه إليها، والاستمساك بها، ولا خير إذا لم يجعل لها إطارها الخاص، الذي يميزها عما عداها.

ومن هنا بادر بعض الكتّاب إلى تكوين نظرية للأدب الإسلامي التي ترسم لها حدودها، ومقوماتها، ولا يوجد ما يمنع أن يكون لنا أدب إسلامي بحدوده التي تميزه عن أدب الطوائف الأخرى، مثل الأدب اليوناني، والروماني، والاشتراكي، وتكون له خصائصه التي توضح ملامحه، ويستقل بها عن غيره، ونعتقد أنه بعد مرور الأدب العربي بمراحله التاريخية، أصبح يحتضن الجوانب الإسلامية، وتمثل أجل ما فيه، وما الشعر، والنثر، بكل صوره، التي تشتمل على جوانب من حياة الإسلام، وأهله، سواء كان مدحا، أو رثاء، أو دفاعاً عن أرض، أو عرض، أو حتى شعر الطبيعة، والوصف، والغزل إلا تعبير عن ذلك.

ويمتد الأمر إلى العصر الحديث، فيأخذ الشعر، والنثر طريقهما إلى إظهار عطية الله، والتوجه إلى إبراز معالم الرسالة المحمدية، ومدح الرسول الكريم، وآل بيته الأطهار، ويستمر الحديث في الدفاع عن الدين، والأوطان، وتتسع الموضوعات في العالم العربي، والإسلامي، بما يمثل الحديث عن وحدة المسلمين، وما يمر بهم من مشكلات، وأحداث، وأهداف، والوقوف في وجه الثقافة الوافدة، ومظاهر البعد عن الإسلام، والدعوة إلى التمسك بقيمه، وعدم الجري وراء مظاهر الحياة الغربية، والوقوف في وجه الاستعمار. ■

ضوابط النشر

حرصاً من إدارة مجلة الوعي الإسلامي على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقاً لما يلي من الشروط:

• ما يتعلق بالكاتب •

- أن يكون الكاتب متخصصاً في مجال كتابته وأن تكون ثقافته تؤهله للكتابة في الموضوع الذي يطرقه.
- أن يرسل صورة شخصية لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف والفاكس واضحين إن وجدا.

• ما يتعلق بالمادة العلمية للمقال •

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة، أو ملمحاً فريداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرّجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشاراً إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب، واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- ألا يزيد المقال عن ثلاث صفحات فلسكاب، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- لا تنشر المقالات والبحوث المأخوذة من كتب منشورة.
- ألا يكون المقال منشوراً في المجلات الأخرى.

الوعي الإسلامي

من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف الكويتية

الشذرات الفاخرة نظم الورقات الناضرة

من نوادر مخطوطات وزارة الأوقاف في الكويت، مخطوط عنوانه «الشذرات الفاخرة نظم الورقات الناضرة» لـ «ابن سند» ويكتسب هذا المخطوط ندرته، من أنه قد كتب في حياة المؤلف، عثمان بن سند، يرحمه الله، بدليل تعليقه على بعض ورقات المجموع، وقد جاء في نهاية المخطوط - أي الشذرات - ثناء لبعض أهل العلم على هذا النظم، والمخطوط من ممتلكات علامة الكويت الشيخ «عبدالله الخلف الدحيان» - يرحمه الله - والمهداة إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الشذرات الفاخرة نظم الورقات الناضرة

المؤلف: ابن سند البصري: عثمان بن سند، بدر الدين النجدي الوائلي (١١٨٠ - ١٢٤٢ هـ = ١٧٦٦ - ١٨٢٦ م).

ترجمة المؤلف (١):

عثمان بن سند النجدي الوائلي البصري، بدر الدين: مؤرخ وأديب، من نوابغ المتأخرين، هو من أصل نجدي من قبيلة عنزة النجدية. ولد في جزيرة فيلكا من أعمال الكويت، وسكن مدينة البصرة، وتوفي في بغداد، من كتبه «الغرر في وجوه القرن الثالث عشر - خ» نحا فيه منحى أسلاف عصره، وله «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود - خ» وهذا الكتاب يزيد على تيف وستمئة صفحة، ضمنها أخبار داود باشا «أحد ولاة بغداد» من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢ هـ «ودامت حكومة داود الى أواخر سنة ١٢٤٦ هـ».

اختصره «أمين المدني» وطبع المختصر، و«منظم الجوهر في مدائح حمير - خ» و«نظم مغني اللبيب - خ» نحو خمسة آلاف بيت، و«نظم الورقات - خ» لإمام الحرمين.

و«شرحه - خ» و«شرح الجوهر الفريد على الجيد - خ» شرح قصيدة له في العروض، و«أصفى الموارد - ط» في أحوال الشيخ «خالد النقشبندي»، و«تفهيم المتفهم، شرح تعليم المتعلم - ط» و«سبائك العسجد، في أخبار أحمد، نجل رزق الأسعد - ط» و«أوضح المسالك في فقه الإمام مالك - ط» نظم فيه مختصر العمروسي، و«الغرر في جبهة بهجة البصر - خ» شرح لمنظومة له سماها «بهجة البصر» في مصطلح الحديث، في مجلد، عليه تعاليق بخطه وختامه أيضاً بخطه، في خزانة الرباط «٦٢٨ كتاني» و«نخبة الفكر - خ» منظومة في الحديث ومجموعة «في دار الكتب المصرية ٤٥٧ أدب تيمور» تشتمل على رسائل، منها «فكاهة السامر وقرة الناظر» و«نسمات السحر» و«روضة الفكر» وكان شاعراً مكثراً يعلو شعره وينحط.

سنة التأليف: ١٢١٧هـ.

أول المخطوط: بعد البسملة، يقول عثمان المكنى ابن سند بعد ارتجاء المنّ من رب صمد الحمد لله على مبرور امداده المنتظم المنثور

آخر المخطوط

وصحبه الجهابذ الأعلام
من نوروا مناهج الإسلام
ما علقت أبانق الأقلام
في مبرك التكميل والختام

وصف النسخة، والملاحظات:

بخط نسخي، رؤوس الموضوعات والفواصل بالحمرة، بأول المجموع ق١ قيد تملك لـ «محمد بن عبد الرحمن» بن علي السند «تكرر في ق ٥٢» وآخر مشطوب في ق ١٥ لـ «ناصر بن خضر بن ناصر» تكرر في ق ٣٩، ٦٣ وقيد قراءة له على الناظم في ق ٦١، ثم قيد تملك آخر في ق ٣ مشطوب لـ «عبدالله بن عيسى بن إسماعيل» بتاريخ ١٢٣٣ هـ ثم آخر مشطوب لعبد الله بن عيسى بن إبراهيم من صالح في مدينة البصرة بتاريخ ١٢٧٤ هـ ثم قيد آخر لـ «عبد الله بن خلف الدحيان» بتاريخ ١٣٢٠ هـ تكرر في ق ١٥، ٣٩،٦٣ ثم أوقفه على ابن اخته «خليفة بن خميس بن جبران» بتاريخ ١٣٢٤ هـ تكررفي ق ٤، ١٣، ١٦، ٣٠،٣٩،٥٣،٦٣، وقد ذكر تاريخ التأليف ١٢١٦ هـ والصواب ١٢١٧هـ، على الهوامش بعض التعليقات.

١٤ ق (١٥-٢٨)

١١ س
٢١,١X ١٥,٥ سم

مراجع توثيق المخطوط

الأعلام ٤ / ٢٠٦، بروكلمان ١٠/١٧٨، معجم المؤلفين /٣٦١ ٧ ، العباسية (البصرة) ٢/ ٥١ .

رقم المخطوط:٢١٤ (٦)

هوامش:

(١) انظر:معجم المؤلفين ط. الرسالة ٢/ ٣٦١ ، الأعلام ط. الملايين ٤/ ٢٠٦ ،علماء الكويت و أعلامها ص ٢١ وفيه : «وفاته سنة ١٢٤٠ وقيل ١٢٤٢ و ١٢٥٠ ولعل القول الثاني أصح الأقوال» وأيضاح المكنون ١ :٩٠ وفيه: وفاته سنة ١٢٤٨ هـ . ■

الرؤية الإسلامية للنشاط التعاوني

بقلم - عبدالحافظ الصاوي

واقع القطاع التعاوني في العالم العربي تمتد جذوره إلى حقبة قديمة في التاريخ ويشغل مساحة كبيرة، سواء من حيث الانتشار الجغرافي أو التنوع أو الكم، إذ توجد في العالم العربي نحو ٤٠٠٠٠ جمعية تعاونية، وقد كان ولا يزال القطاع التعاوني أحد القطاعات المشاركة في التنمية بجانب القطاع العام والقطاع الخاص، ولكن الحاجة تزداد الآن للقطاع التعاوني في ظل التحولات الاقتصادية العالمية نحو مزيد من اقتصادات السوق الحرة التي يتقلص فيها دور الدول والقطاع العام وينامى فيها دور القطاع الخاص، وترجع أهمية دور القطاع التعاوني من خلال الواقع الذي عكس إلى أي مدى فشل اقتصاد السوق في تحقيق العدالة الاجتماعية.

«التعاونيات والتنمية في مصر والعالم العربي ... الواقع والآمال» كان موضوع المؤتمر الذي شهدته القاهرة في مركز «صالح كامل» للاقتصاد الإسلامي خلال الفترة «٨-٩» مارس ٢٠٠٥م تعدد محاور المؤتمر إلا أن الوعي الإسلامي وجد أنه من الأهمية بمكان معرفة الرؤية الإسلامية للممارسات التعاونية، وهو ما نتناوله من خلال عرض أهم ما ورد بالأوراق المقدمة للمؤتمر في هذا الشأن.

الواقع العالمي للحركة التعاونية

النظام التعاوني أصبح يحتل مكانة لائقة على امتداد ١٥٤ دولة في العالم، ويعتبره خبراء وعلماء الاقتصاد والاجتماع السبيل الوحيد لتجديد المجتمع، فالمنظمات التعاونية الشعبية لها أهداف اقتصادية واجتماعية علاوة على أنها مدارس لممارسة الديموقراطية السليمة من خلال الانعقاد السنوي للجمعيات العمومية والممارسة الصحيحة لدور مجالس الإدارة.

وبين الأستاذ «محمد رشاد» الأمين العام للمركز العربي للدراسات الإعلامية أن الحركة التعاونية العالمية طبقاً لإحصاءات بداية القرن الجديد، كما سجلتها المنظمات الدولية للأمم المتحدة، تضم مليار أسرة تعاونية في إطار مليار ونصف المليار منظمة تعاونية شعبية، ويمثل التعاون الاستهلاكي مركز الثقل على خريطة التطبيق التعاوني حيث يمثل ٥٠٪ مع التعاونيات الالتمانية ويمثل التعاون الزراعي ٣٥٪.

وقد استقرت النظرة العامة دولياً وداخلياً على أن طبيعة النظام التعاوني، هو نظام اقتصادي مستقل عن غيره من النظم الاقتصادية الأخرى، فلا يرتبط بأي منها، سواء كانت نظماً حرة أو موجهة أو مختلطة، ولهذا فهو نظام يستطيع التعايش في ظل النظم الاقتصادية المتعارضة، وهذا ما يبدو في السنوات الأخيرة، من زيادة مد النظم الاقتصادية الحرة، وانحسار النظم الاشتراكية والشيوعية في العالم، ومن هنا تظهر أهمية الاعتماد عليها في تحقيق الاستفادة من النظام التعاوني إلى جانب القطاع الخاص، في ضبط إيقاع آليات السوق في الاقتصاد الحر، وذلك حتى يمكن تفادي الأضرار التي قد تنشأ من سعي القطاع الخاص المستمر لتحقيق الربح لدى المشروعات الاقتصادية الخاصة، وأيضاً تظهر أهمية النظام التعاوني من خلال إبراز الجانب الاجتماعي في علاقة الدولة بالأفراد، ومن مظاهر ذلك تحقيق العدالة في توزيع الدخول، وتوافر السلع والخدمات لذوي الدخول المحدودة وبأسعار معقولة، بما يخفف الأعباء المالية التي تثقل كاهل هؤلاء الأشخاص.

المرجعية الإسلامية لدعم التعاون

ذكر الدكتور «محمد عبدالحليم عمر» مدير المركز في كلمته أن أي برنامج للتوعية بالتعاون لابد أن يرتكز على قيم المجتمع وثقافته المتميزة، وثقافة مجتمعاتنا العربية مستمدة من الإسلام وقيمه العالية، ومن ثم فإن الاعتماد في برامج التوعية للتعاون على قيم الإسلام وأحكامه سيؤدي بالتأكيد الى نجاح هذه البرامج ومساندتها في التطبيق ومن جانب اخر يمكن للاقتصاد الإسلامي أن يقدم للحركة التعاونية أفكاراً مفيدة وخصوصاً ما يتعلق بالتمويل والتأمين التعاوني.

فضكرة التعاون تمثل قيمة عالية حض عليها الاسلام في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) «المائدة:٢» وقد أوجب الإسلام التعاون على المجتمع في شكله الفردي والجماعي التلقائي إلى جانب التعاون المؤسسي المنظم والتعاون يقوم على مبادئ عدة تجد أساسها في الإسلام فبجانب المساعدة الذاتية المتبادلة توجد مبادئ أخرى منها:

- تجميع القوى المتناثرة للمتعاونين وحشدها في كيان واحد وهذا مبدأ إسلامي يقول الله عز وجل «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» (آل عمران: ١٠٣).
- المسئولية التضامنية لأعضاء الجمعية التعاونية، وهذا أصل إسلامي يقول ربنا سبحانه وتعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» (التوبة:٧١) وصح عن الرسول ﷺ في تصوير ذلك في حق المسلمين «المسلمون يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم».
- الإدارة الذاتية، وذلك يقوم على أساس أن كل شخص أيا كان موقعه التعاوني تقع عليه مسؤولية ما وهذا ما يؤكده ما صح عن رسول الله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فالجمعيات التعاونية ليست مجرد بنك أو مؤسسة تمويلية وإنما بيت رعاية للأعضاء في كل الجوانب بما يؤدي إلى الهدف الاستراتيجي وهو تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية النفسية وقد أنشئت الحركة التعاونية من أجل هدف رئيس هو

برامج التوعية التعاونية لابد أن ترتكز على قيم المجتمع وثقافته الإسلامية المتميزة حتى تحقق النجاح

إيجاد روابط إنسانية بين أفراد المجتمع بما يعمل على التماسك الاجتماعي وتنمية الكفاءة من خلال الإدارة الذاتية، وقد اعتمدت وسيلة توافر التمويل للفئات الصغيرة من صغار المزارعين والحرفيين والعمل على تخليصهم من بلوى الربا وشرور المرابين، كهدف للحركة التعاونية، وقد أخذ التمويل التعاوني صورة إنشاء جمعيات الإدخار والائتمان التي تقوم على قبول الودائع والمدخرات من أعضائها ثم تقديم التمويل للأعضاء في ترتيبات معينة اما في صورة مستمرة أو من خلال ما يعرف بجمعيات تناوب الادخارات الائتمانية ومع مرور الوقت أضيفت لجمعيات الحركة التعاونية مهام أخرى منها:

١- توافر مستلزمات الإنتاج للأعضاء بشكل جماعي بما يوفر التكلفة والجهد.

٢- التسويق التعاوني لمنتجات الأعضاء بما يمكنهم من النفاذ إلى الأسواق وتوفير شروط مواتية لعمليات البيع وكذلك إقامة المعارض التسويقية.

٣- العمل على تطوير الإنتاج وتقديم المساعدات والإرشادات الفنية التي تؤدي إلى تحسين أسلوب العمل.

٤- التدريب والتثقيف التعاوني والإنتاجي للأعضاء

٥- توافر خدمة التأمين التعاوني على حياة وممتلكات الأعضاء.

التعاون المأمور به والمنهي عنه في ضوء الفقه الإسلامي

التعاون في الفقه الإسلامي كان موضوع الورقة البحثية للأستاذ/ هشام محمد القاضي، المدرس المساعد في مركز صالح كامل، بينت هذه الورقة أن الإنسان فطر على التعاون بل إن التعاون هو طبيعة العلاقة بين مكونات هذا الكون وبين أعضاء جسم الإنسان نفسه، وحاجة الإنسان إلى أخيه الإنسان حكمة أرادها الله عز وجل فقال جل شأنه ﴿أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا

ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ (الزخرف: ٣٢).

التعاون في اللغة مشتق من العون، فالمجتمع المتعاون هو الذي يعين جميع افراده بعضهم بعضاً للمساعدة في أمور حياتهم، وقد جاء التعاون في القرآن الكريم بأكثر من لفظ ومن هذه الالفاظ:

التشايع: ﴿ثم ننزع من كل شيعة، وشيعة الرجل أتباعه وانصاره.

التظاهر: ﴿وظاهروا على إخراجكم﴾ أي تعاونوا على ذلك.

العضد: ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ (القصص: ٣٥) أي نقويك ونغنيك والتعاون في الاصطلاح: اسم جامع للخيرات كلها ويراد به التخلق بالأخلاق الحسنة مع الناس بالإحسان إليهم وصلتهم والصدق معهم ومن الخالق بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

والتعاون المأمور به يشمل جميع المجالات وجميع الميادين الحياتية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والدين، سواء أكان تعاوناً مادياً أم معنوياً. وتناول البحث امثلة لهذه المجالات نذكر منها ما يلي:

● المجال الديني: المأمور به التعاون على معرفة الله تعالى والإيمان بملائكته ورسله قال تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ (البقرة: ١٧٧) وايضاً التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتعاون على نشر العلم وتعليمه وكذلك بذل النصيحة للمسلمين. أما المنهي عنه في هذا المجال التعاون على عدم التواصي بالحق وعدم التواصي بالصبر، وايضا من التعاون المذموم التعاون على إقامة نوادي القمار والميسر وشرب الخمر، والتعاون على أخذ الرشا، والتعاون على أعمال السحر والشعوذة والتعاون على نصرة الباطل في مواجهة الحق.

● المجال السياسي: المسموح به كثير ومن أمثلته الأوليات التعاونية الحديثة ما يسمى بالديموقراطية في الإدارة، ومن أوجه التعاون السياسي تعاون جميع أفراد الأمة الإسلامية مع بعضهم بعضاً من أجل اختيار الحاكم ومبايعته لكي تستقيم أحوال المجتمع. أما المنهي عنه في المجال السياسي اتفاق وتعاون جماعة من الأفراد للخروج على الحاكم وعدم طاعته والالتزام بأوامره، أو التعاون على التهرب من أداء الخدمة العسكرية، والتعاون على الحياد الديني والسياسي وعدم التدخل في الشؤون السياسية، وهذا أمر لا يقره الإسلام لقوله ﷺ «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

● المجال الاقتصادي: التعاون الاقتصادي يشمل التعاون الاستهلاكي والإنتاجي والزراعي والمائي، وقد جاءت الآيات والأحاديث تحض على التعاون منها قوله تعالى ﴿الذين هم يراءون. ويمنعون الماعون﴾ وقوله ﷺ «أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى». كما أن أبواب الفقه قد نظمت عقود المشاركة والمزارعة وغيرها. والمنهي عنه في هذا المجال تحديد الفائدة على رأس المال فهو تعاون على أكل أموال الناس بالباطل فالله عز وجل يقول ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ (البقرة٢٧٥) وأيضاً التعاون على سرقة الأموال أو اغتصابها أو اختلاسها وتسهيل الاستيلاء على المال العام أو التعاون على الاحتكار أو بيع السلاح للفئة أو لقطاع الطرق.

● المجال الاجتماعي: المبدأ العام في التعاون المأمور به في هذا المجال قوله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» ومن هنا فمجالات نصرة المظلوم وصلة الأرحام وإنفاق المال لرعاية الفقراء والمساكين والبر بالوالدين والإحسان إلى الجيران من وجوه التعاون المأمور به أما مجالات التعاون المنهى عنها فهي التعاون على شهادة الزور والتعاون على الظلم وعدم إقامة الحق، وقطع الأرحام وعدم التودد إلى الأقارب والتعاون على قتل الأبرياء.

وإذا تم التعاون وفق المعايير الإسلامية فإن هناك الكثير من المزايا تتحقق للمجتمع مثل الحصول على رضا الله تعالى ورضا الناس، تحقيق النفع العام وحصول كل فرد من أفراد المجتمع على ما يريده، دفع الأضرار

القرآن الكريم والسنة المطهرة بينا الإجراءات والوسائل لتحقيق التعاون والعدالة في التوزيع وكفاية مطالب الفئات الاجتماعية المحرومة

والمفاسد التي قد تصيب المجتمع الإسلامي، تحقيق التحرر من التبعية للدول الأجنبية، القدرة على إنشاء الشركات الكبيرة.

وسائل تحقيق التعاون على البر في الإسلام

مساهمة الأستاذ «رضا محمد هلال» من المجالس القومية المتخصصة في مصر جاءت عبر ورقته المعنونة بـ «التأصيل الإسلامي لمفهوم التعاون ومستويات ووسائل تحقيقه» وقد بين الباحث أن القرآن الكريم والسنة المطهرة بينا عدداً من الإجراءات والوسائل التي تضمن تحقيق التعاون والعدالة في التوزيع وكفاية مطالب الفئات الاجتماعية المحرومة ومن أبرز هذه الوسائل ما يلي:

● الزكاة: والزكاة من أركان الإسلام الخمسة، ولما كانت الزكاة للمواساة، أي تكافل المجتمع وعدالة توزيع الدخل بين أفراده ضماناً لاستمرار السلام الاجتماعي وشكراً لنعمة الله وأداء حقه وأنه ليس كل مال يحتمل المواساة أياً كان مقداره فقد جعل الله للمال الذي يحتمل المواساة أنصبة محددة لا ترهق أصحابها ويتحقق معها للمحتاجين نصيب فلا يضيعون. وقد قسم الله عز وجل الزكاة قسمين من حيث المستفيدين بها، القسم الأول هم المحتاجون وهم أربعة أصناف (الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل) والقسم الثاني يضم ما فيه منفعة للمسلمين وهم (القائمون على أمر جمع الزكاة والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله) فلا تصرف الزكاة إلا لمحتاج لها يستحقها أو منفعة لمسلمين تستدعيها.

● الصدقة والإنفاق: وتكتسي طابعاً مزدوجاً من حيث هي نفقات طوعية لمساعدة المحرومين وفي الوقت نفسه يمكن اقتطاع الزامي من طرف الدولة إذا ما كانت عائدات الزكاة غير كافية لمواجهة مشكلة الفقر.

● الوقف: الدكتور «المرسي حجازي» رئيس قسم المالية العامة في تجارة الاسكندرية، يرى أن فكرة الوقف تقوم على تنمية قطاع ثالث يختلف عن كل من القطاعين الحكومي والخاص، وتحميله مسؤولية النهوض بمجموعة من الأنشطة التي لا تحتمل بطبيعتها الممارسة البيروقراطية للدولة أو الاقتراب من دوافع الربحية وتعظيم المنفعة الشخصية كما هو الحال بالنسبة للقطاع الخاص. لأن طبيعة هذه الأنشطة تدخل في إطار البر والإحسان والمودة والرحمة والتعاون. ويؤكد د. «المرسي» في ورقته أن تطوير الوقف وتوسيع مجالاته وتشجيع الأفراد على اللجوء إليه هو أحد البدائل المرشحة لسد هذا الفراغ في الدول الإسلامية كما ان نظام الوقف يكمل النظم الإسلامية الأخرى (الزكاة، الميراث، الوصية، الكفارات وغيرها) ويؤدي الربط بينها الى تفعيل التكافل الاجتماعي في المجتمع وإعادة توزيع الثروة بشكل سلمي على نحو متوازن.

● المنحة: وهي نوع آخر من أنواع الأعمال الخيرية الموجهة لإعانة الفقراء، وهي تتمثل في منح شخص محتاج حق الانتفاع في ملك منتج من دون مقابل ولمدة زمنية معينة.

التأمين التكافلي صورة من التعاون الإسلامي

التأمين التكافلي كما ورد تعريفه في ورقة الأستاذ «مجدي ترك» مدرس مساعد في تجارة الأزهر - هو عبارة عن انضمام شخص طبيعي أو معنوي إلى اتفاق تعاوني منظم تنظيماً دقيقاً بين أفراد معرضين لخطر ما يتم فيه التعهد بدفع اشتراكات دورية - بنية التكافل والمواساة - وفق جدول متفق عليه لتغطية الخسائر التي يتعرض لها بعضهم في حالات معينة محتمل حدوثها في المستقبل، ويؤكد الباحث أن التأمين التكافلي يختلف عن التأمين التقليدي، الذي يحتوي على عناصر غير مشروعة ضمن عقد التأمين كالاستغلال والربا والغرر وأكل أموال الناس بالباطل التي بدورها تتنافى مع أحكام الشريعة الإسلامية. وتعتبر نظم التأمين التعاوني الإسلامي دعماً للحركة التعاونية.

ويشير الباحث الى أن نمو التأمين التكافلي كان متوقعاً بسبب النمو السريع لنظم التمويل والاستثمار الإسلامية ومن المتوقع أن تصل الأقساط التكافلية الإجمالية في العام ٢٠١٠م لنحو ٢,١ مليار دولار، كما تشير الدراسات إلى وجود ٣٥ شركة تمارس التأمين التكافلي في البلدان العربية و ١٦ شركة في البلدان الإسلامية غير العربية، ويوجد أكثر من ١٦ شركة في دول غير إسلامية. كما يبلغ حجم السوق في هذا النوع من التأمين نحو ٩٦٣ مليون دولار بنسبة ١٣,٧٪ من إجمالي حجم سوق التأمين البالغ نحو ٧ مليارات دولار.

وتوجد مجموعة من المبررات لوجود التأمين التكافلي منها ما يلي:

١- وجود قطاع كبير من الناس يتحرجون من التعامل مع شركات التأمين التجارية مع حاجتهم للتأمين.

٢- حاجة المؤسسات الإسلامية إلى تغطية تأمينية على أساس التأمين الإسلامي.

٣- توافر فرص عمل لمن يريد أن يعمل في مجالات غير مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية.

٤- يعد التأمين وسيلة للتخطيط المالي والمستقبلي السعيد وكذلك لحالات الشيخوخة والعلاج والتعليم وغيرها من الأحداث المهمة.

٥- يعد التأمين التكافلي وبخاصة الذي يغطي الأخطار الشخصية مورداً لتوفير رأس المال للنظام الاقتصادي على المدى الطويل. ■

نحو نظرية إسلامية لتفسير التخلف في العالم الإسلامي

بقلم: مصطفى محمود عبدالسلام
باحث في شؤون الاقتصاد الدولي - بنك التمويل المصري

أشاع الغرب نظرية مقياس التقدم والتأخر على أساس اعتبار نموذجه ممثلا للتقدم واعتبار بلدان اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية نماذج التخلف فاعتبر نموذجه معيار التقدم وأخذ يقيس عليه النماذج الأخرى التي ستعتبر متخلفة بالضرورة طالما وحدة القياس هي النموذج الغربي.

وقد سادت تاريخيا في الفكر الغربي افكار عدة لتحديد معيار التقدم والتخلف، أولى هذه الأفكار هي التي اتخذت عنصر القوة وتنازع البقاء معيارا للتقدم والتخلف، ومن ثم تدخل القوة المادية والعلوم والتقنيات والقدرات الإنتاجية باعتبارها معيارا لما هو أقوى وأصلح، اي ما هو تقدم، وعندما يقوم المعيار على هذا الأساس يصبح القوي هو صاحب الحق وهو الأصلح للبقاء وهو ممثل التقدم فيصبح ما يقوم به من أعمال تقدما الى أمام وما يقوم ضده من اعمال تأخرا الى الوراء ويغدو نموذجه ونمطه نموذج التقدم ونمطه.

ثم سادت في الفكر الغربي بعد تطور المفهوم السابق فكرة تخلف المجتمعات الإسلامية باعتبارها سببا لتفسير ظواهر أخرى كالاستعمار الذي اعتبر ان تخلف المجتمعات الإسلامية هو السبب في سيطرة الاستعمار الذي تم بالقوة والبطش، وخطورة هذه الفكرة أنها ركزت بصورة أشد على اعتبار مجموع قيمنا وأخلاقنا وعاداتنا وعلاقتنا ونهجنا في الحياة مرادفة للتخلف.

ومن ثم تكون مقولة التخلف موجهة أولا وقبل كل شيء إلى مجموع تلك القيم والأخلاق والعادات والأفكار ونهج الحياة وهذا يتضمن فيما يتضمن التعريض بالإسلام لأنه في نظرهم مصدر ذلك، ومن ثم فإن الإقلاع عن التخلف هو التشبه بالغرب في الأخذ بقيمه وأخلاقه وفكره ونهجه في الحياة باتباع النموذج الغربي.

والقضية التي ننطلق منها، هي أن المسألة لم تعد مسألة انتقال الجنوب - العالم الإسلامي - إلى مصاف البلدان المتقدمة التي يقصد بها عادة بلدان اميركا الشمالية واوروبا الغربية واليابان على الرغم من أن هذا الانتقال بات شبه مستحيل بل إن المسألة هي كيف يمكن تحقيق نموذج عالمي بديل يتجاوز الأزمة الحضارية التي بلغتها تجارب الدول المتقدمة نفسها.

وحيث قامت تجارب تلك الدول على مفهوم للسيطرة ذي حدين هما:

أ- سيطرة الإنسان على الإنسان وهو مفهوم كانت نتيجته تفاوتا في المشهد بين بلدان أو طبقات غنية تتمتع بمستوى معيشي واستهلاكي مرتفع وبين بلدان أو طبقات مازالت تشكو الجوع والحرمان والجهل والبؤس والتخلف من جهة وتشكو إخلالا رهيبا في النظام الطبيعي الى حد بات يهدد مستقبل الحياة على الأرض.

ب- سيطرة الإنسان على الطبيعة فقد جاء عصر الحداثة، العولمة - ليضع الإنسان في موضع الخصم لهذه الطبيعة فبقدر ما تخطو الحداثة خطواتها وتحقق مزيدا من التقدم التكنولوجي تكون سيطرة الإنسان على الطبيعة قد تعززت وينال هذا الإنسان من القدرة والحرية ما كان مستحيلا نيله لولا تلك السيطرة وقد ترجم مفهوم السيطرة هذا عبثا بالطبيعة واستنزافا لمواردها وإخلالا بنظمها الى حد لم تعد معه آثار الطبيعة في حياة الإنسان التي جعلته يسعى للسيطرة عليها أشد ضررا عليه من تلك النتائج التي حققها عبر سيطرته هذه، وبالتالي فلابد للمشروع البديل أن يحاول الإفلات من هذا المفهوم ويعيد النظر في كثير من المنطلقات والقوانين الوضعية التي قامت عليها الدولة الحديثة ويحدد رؤية جديدة تتجاوز مفهوم السيطرة المزدوجة وتحقق المصالحة بين الإنسان والإنسان من جهة والإنسان والطبيعة من جهة أخرى، وبالتالي فإن المنظومة البديلة (الإسلامية) التي تتجاوز المناهج التي سادت في الأدبيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دول العالم الإسلامي لابد أن تكون نابعة من ذاتيتها وخصوصيتها التي لا تنفيد فيها بالأنماط الأخرى.

والحقيقة أن هناك من العقائد والقيم التي لو التزمت بها المجتمعات الإسلامية لحققت التقدم والتنمية الشاملة، وان سقوط هذه المجتمعات في براثن التخلف إنما يعني عدم التزامها بدينها وليس الإسلام هو السبب لسقوطها، فقد سادت حضارة الإسلام حقبة كبيرة من الزمان بسبب التزامها بعقيدتها ولما تخلت عنها تخلفت.

وهنا المبحث يستعرض أهم أسباب التخلف في العالم الإسلامي ويضع توصيفا لهذه الأسباب التي تشترك فيها غالب المجتمعات الإسلامية.

ويستبعد المبحث فكرة الاستعمار كسبب للتخلف التي سادت في كتابات كثير من الاقتصاديين. (١) وذلك لأن الاستعمار جاء نتيجة للانحراف العقدي الذي ساد أوساط العالم الإسلامي والذي يتبناه الباحث باعتباره محورا مستقلا وما يأتي من بعده من أسباب يعتبر محورا تابعا، فكلما زاد الانحراف العقدي والقيمي تبرز الأسباب التالية وبصورة متزايدة.

ويعيش العالم الإسلامي بشكل أو بآخر على أرضية صراع فكري بدا قديما بين:

١- المركزية الثقافية الغربية وما نشأ عنها وارتبط بها من أحكام ومعايير ومناهج وآراء، ونستطيع أن نتتبع تجلياتها وتحولاتها وتقلباتها في مجالات قوة وسطوة وعلم وحضارة وتفوق وتقنية عالية متعددة واستندت الى مبدأ سيطرة الأقوى وسياسة نهب العالم الفقير والسيطرة عليه وفتح أسواقه للاستهلاك وأدوات للابتزاز ومصدراً للعمالة الرخيصة ومصادر عامة للموارد والمواد الخام والثروات الطبيعية التي يحتاج اليها هؤلاء الأقوياء المتقدمون صناعيا.

٢- المركزية الثقافية الإسلامية التي تؤمن بمقولة تلازم الأخذ بالفكر والعلم والتقانة ونظام الحياة والسلوك كل في ان واحد من دون تجزئة أو اختيار أو انتقاء ولا تقبل أن يكون الإسلام واللغة العربية بما حملت من إرث ثقافي واقتصادي وحضاري شامل عبر تاريخها الطويل وراء أسباب التخلف البادية ووراء ما أصاب الأمة من هزائم وتراجع وتجزئة.

الاقتصار على البعد الروحي في العبادة مفهوم خاطئ للعبادة

أولاً: الانحراف العقدي والقيمي

إن الحضارة الإسلامية تمارس كل أنواع النشاط البشري الذي يؤدي الى عمارة الأرض من تجارة وعلم وصناعة وغيرها وتسعى الحضارة ايضا إلى الإنتاج الوفير في كل أبواب الإنتاج، ولكنها في سعيها كله تلتزم بالحلال والحرام وبالقيم الأخلاقية وبما يقتضيه الإيمان بالله واليوم الاخر من تشكيل للسلوك.

يقول تعالى «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور» (سورة الملك ١٥).

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» (سورة القصص ٧٧).

كانت تجارة العالم في أيدي المسلمين من الصين إلى أوروبا مع ما يستتبع ذلك من معرفة بطرق الملاحة البحرية وطرق اليابسة في آسيا وأفريقيا الى مداخل أوروبا ومن العجب ان يكون الرائد الذي دل «فاسكو دي جاما» وأعانه على اتمام رحلته عن طريق راس الرجاء الصالح وقد كان معروفاً للمسلمين من قبل، البحار العربي المسلم «ابن ماجد» الذي أمده بالمعلومات والخرائط الملاحية وقاده بنفسه نحو جزر الهند الشرقية في غفلة منه ساعدت من دون قصد في تمكن الاستعمار من الدول الإسلامية ومحاربتها اقتصاديا وعسكريا(٢).

وقد كانت الصناعة المتاحة للناس في ذلك الوقت مزدهرة في مراكز العالم الإسلامي المختلفة وكانت دور العلم عامرة بالأساتذة والطلاب في كل فرع من فروع المعرفة وما تفردت به الحضارة الإسلامية انها كانت تقوم بنشاطها التجاري الواسع الذي يمتد عبر المحيطات وكل ذلك كان لا يؤدي بها الى استعمار الأمم الأخرى لنهب خيراتها للحصول على أكبر قدر من الربح كما حدث بالنسبة لدول أوروبا التي سادت العالم فيما بعد.

ولأمور كثيرة لم تحافظ الأمة الإسلامية على هذا المستوى السامق الفذ الذي مارسته قروناً طويلة وتخلت عن القيادة لدول الاستعمار وكان ذلك بسبب ما ساد في مجتمعاتها من انحرافات عقدية وقيمية حيث افرغت معاني العقيدة من محتواها الاساسي وأصبحت لا إله إلا الله كلمة تقال باللسان وأخرج العمل من مسمى الإيمان ونشأ التواكل بديلاً عن التوكل الذي يعتبر طاقة إيجابية دافعة يقوم به المؤمن مع اتخاذ الأسباب.

«فإذا عزمت فتوكل على الله» (آل عمران ١٥٩)

أما التواكل فهو صورة سلبية معطلة تتقاعس عن الأخذ بالأسباب متذرعة بالتوكل على الله لقد أفسد التواكل كثيرا من عقيدة القضاء والقدر وحولها من عقيدة ايجابية دافعة الى عقيدة سلبية مخذلة الى الرضا السلبي بالواقع وعده محاولة التغيير بحجة أن «ما هو لك سوف يأتيك» ونخليا عن مسؤولية الإنسان عن عمله بحجة أن ما وقع منه قد وقع بقدر الله وقعودا عن تغيير الواقع السيئ من مرض وعجز وفقر ونشأ بذلك القعود عن تعمير الأرض بحجة أن الدنيا ملعونة والمعول عليه هو الأخرة وأن الإنسان حسبه في هذه الدنيا عيشة الكفاف لكي ينجو بروحه من التعلق بالدنيا ولكي يفرغ روحه استعداداً للاخرة.

وبذلك تم الانصراف عن عمارة الأرض بهذه المفاهيم المغلوطة.

فالقعود عن الإنتاج وحصره في أضيق نطاق ممكن وهو نطاق الكفاف يجعل الدولة تعيش كلها في حال الكفاف لا تمتلك الفائض الذي تنفقه في متطلبات التمكين وعمارة الأرض.

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا» (النور ٥٥).

والعبادة هنا تقتضي العمل وليس القعود عن العمل والإنتاج فالأمر يحتاج الى الإنتاج الوفير والاستهلاك الأقل: وهذه هي المعادلة التي يتم بها التمكين وعمارة الأرض.

أما الإنتاج القليل على قدر الاستهلاك القليل فلا يؤدي الا الى فقر جموع الأمة الإسلامية، الفقر الذي أدى الى الضعف والتخاذل.

والاقتصار على البعد الروحي في العبادة هو مفهوم خاطئ للعبادة فالروحانية ليست مسألة غيبية مجردة تجسدها مختلف الشعائر الدينية فحسب وإنما هي العمل الصالح ابتغاء وجه الله والحض عليه لتوظيف وتعبئة كل الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة بهدف توافر ظروف أكثر ملاءمة للإنسان يتسنى له من خلالها إدراك معنى وقيمة وغاية وجوده إنه مفهوم للعبادة يربط الممارسة بالتأمل لتحرير العقل والسمو به من دائرة استكشاف الخبرات والتمتع بها دون إسراف أو تبذير الى دائرة أرقى تتيح قرن كل ذلك بالتأمل.

(فلينظر الإنسان الى طعامه. انا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا) (عبس ٢٤ - ٣١).

(فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها) (الروم ٥٠)

(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد) (ق٦ - ١٠).

ليشمل هذا التأمل التاريخ البشري بأكمله

«أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» (محمد ١٠)

وذلك بهدف استخلاص العبر والاستفادة من تجارب الآخرين لتقويم مسيرة الإنسان نحو تحقيق حريته في أعلى مراتبها وأتم أشكالها بتوحيد الله عز وجل حيث تقترن الممارسة بالوعي، والوعي بالمسؤولية والمسؤولية بالآخرة ويمتزج الإيمان بالإخلاص وبالتقوى والنقوى بالعمل.

إننا إزاء منهج رسالي فريد جاء ليجمع بين الأرض والسماء في نظام الكون والدنيا والآخرة في نظام الدين والروح والجسد في نظام الإنسان والعبادة والعمل في نظام

عمارة الأرض وفقا للمنهج الرباني تستلزم الأخذ بالأسباب العلمية والمادية وترفض بالتالي التواكل

ليست المشكلة الأساسية مشكلة ندرة الموارد الطبيعية كما يصور ذلك الفكر الغربي بقدر ما هي مشكلة سوء استغلال هذه الموارد

الحياة ويسلكها جميعا في طريق موحد، هو الطريق الى الله ويخضعها كلها لسلطان واحد هو سلطان الله (٣).

وكذلك سادت في المجتمعات الإسلامية ظاهرة تكاد تكون عامة هي ظاهرة فقدان المعيار الخلقي القيمي السليم الذي يحكم السلوك والعلاقات والصلات بين الأفراد والأسر والجماعات، فالكيان الروحي للفرد والأمة يتآكل في مثل هذا الوضع وتنحسر الطموحات والتطلعات وتتقوقع الإرادة وتتراجع وتضمر وتضعف النفوس وتنمو القابلية للتخلف والمذلة والهزيمة واشكال الخواء الروحي والعقلي والاجتماعي وتصل الى أفضل مستوياتها في الأداء السلبي.

إن بنية اجتماعية وروحية كهذه يزداد فيها استعداد الفرد للاستهلاك والتقليد والاتباع ويقل في مناخها إنتاجه كما تقل مبادراته وإبداعاته ونراه يستسلم في ظلها شيئا فشيئا لإحساس يشتد في أعماقه لعدم الجدوى من بذل أي جهد للحاق بالمتقدمين والمبدعين المعاصرين وبالتالي يدمن على تقليدهم ومجاراتهم في استهلاك ما يستهلكون ويدخل من هذا المدخل وسواه الى ساحة الإحساس بالدونية ويعكف على تسويغ ذلك وادمانه وربما أطل في لحظات ايضا وراء عمق الهوة التي يشارك هو في صنعها تلك التي تفصله عن الواقع والعصر ولكنه لا يلبث أن يستسهل السهل بدلا من أن يستسهل الصعب بطموح وعمل يوصلانه إلى حيث المراتب العليا.

إن كل المفاهيم الإسلامية قد فسدت وانحرفت في حس الأجيال المتأخرة حيث كان الانحراف على هذا النحو:

أ- مفهوم لا إله إلا الله أصبح مجرد كلمة تقال باللسان والقلب عنها غافل والسلوك عنها بعيد.

ب- مفهوم القضاء والقدر الذي تحول إلى قوة مثبطة مخذلة.

ج- مفهوم الدنيا والآخرة اللتين انفصلتا وتحولتا الى معسكرين متقابلين متعادين العمل في أحدهما يؤدي إلى إهمال العمل في الآخر.

د- مفهوم عمارة الأرض الذي تحول من عمارة الأرض بمقتضى منهج الله الى توقف العمارة وأصبحت المجتمعات الإسلامية في النهاية صورة باهتة وممسوخة لا تستطيع أن تصمد للهجوم الوحشي الذي تدافع إليها من كل صوب في صورة استعمار لهذه الدول وبما يعني سقوطا في براثن التخلف والتبعية.

ثانيا: الانحراف عن عمارة الأرض

عمارة الأرض هي جزء من الخلافة التي خلق الله الإنسان من اجلها

«وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة» (البقرة ٣٠).

«هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» (هود ٦١)

وعمارة الأرض وفقا للمنهج الرباني تستلزم الأخذ بالأسباب العلمية والمادية وترفض بالتالي التواكل والقعود عن الإنتاج حتى لا تتحكم دول الاستعمار في هذه المجتمعات المتخلفة ومن هذا المنطلق فلا يكفي الاستغفار والدعاء لجلب الأرزاق وقد قال «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه لذين كانوا قابعين في المسجد بدعوى التوكل على الله «لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة إنما المتوكل رجل ألقى حبه في الأرض وتوكل على الله» (٤).

ويشمل موجبات الأخذ بالأسباب في المفهوم الإسلامي ما يلي:

١- العمل الجاد والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الطيب:

فالعمل في الإسلام واجب شرعي وضرورة بشرية تنفيذا لأوامر الله سبحانه وتعالى «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور» (الملك ١٥)

«فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» (الجمعة ١٠).

وقد اهتم الرسول ﷺ بالعمل وحض الناس على طلب الرزق «من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له» رواه أحمد

«ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري.

«إن أشرف الكسب كسب الرجل من عمل يده» رواه أحمد

ودم الرسول ﷺ الرجل الذي يسأل الناس وحض على العمل «من سأل مسألة وهو عنها غني كانت شيناً في وجهه يوم القيامة» (موسوعة الحديث)، كما لا يجوز إعطاء الزكاة والصدقات للغني والقوي القادر على العمل والكسب إذ «لا تحل الصدقات لغني ولا لذي مرة (قدرة او مقدرة)» رواه الترمذي.

ونخلص من هذه الأحاديث إلى ما يلي:

١- محاربة الإسلام للكسالى ودفعهم للعمل، إذ لا يجوز للرجل القادر على العمل أن يعيش عالة يتكفف الناس أعطوه أو منعوه.

٢- الرزق مرتبط بالسعي وبذل الجهد.

٣- العمل من موجبات الحصول على الرزق فكما لا يجوز للفرد القادر أن يعال من غيره فلا يجوز للدولة المسلمة أن تعيش عالة على الدول الأخرى ومواطنوها كسالى خاملون.

٢- الهجرة والضرب في الأرض ابتغاء الرزق

يمكن للمسلم الهجرة إذا لم يستطع الحصول على الرزق الطيب في بلده حيث إن رزق الله غير محدد بمكان وليس محصوراً في جهة وليس حكرا على احد، «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة» (النساء ١٠٠).

ولقد ورد في تفسير ابن كثير أن المراغم هو التحول من أرض إلى أرض وأن السعة يشعد بها الرزق، (موسوعة الحديث).

ولقد حض الرسول ﷺ على الهجرة من مكان إلى آخر لأي غرض ومنها جلب الرزق «سافروا تستغنوا» رواه الطبراني في الأوسط حيث إن هذه الأحاديث وأمثالها جعلت المسلمين الأولين ينطلقون في فجاج الأرض ينشرون الدين ويلتمسون الرزق ويطلبون العلم ويجاهدون في سبيل الله (٥).

وعبارة الهجرة والضرب في الأرض ابتغاء الرزق بصف عالما إسلامياً بلا قيود على عملية الانتقال من بلد إسلامي إلى بلد آخر في صورة تكاملية يحتاجها العالم الإسلامي اليوم.

والضرب في الأرض يشمل كل الأنشطة طالما كانت مشروعة في نظر الإسلام وصحبتها النية الصالحة وأنجزت بإتقان وإحسان والتزم فيها بحدود الله ولم تحل بين الإنسان وأداء واجباته الدينية قال تعالى «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة». (النور ٣٧)(٦).

ونخلص مما سبق إلى أن الإسلام قد عنى بالتنظيم الاقتصادي والاجتماعي فنظم العمل وأوجب السعي وراء الرزق وحض على أن تتكافأ الأجور مع طبيعة العمل والجهود المبذولة ولكن الأغلبية العظمى من السكان في الدول الإسلامية تعاني من الجهل والأمية التي أدت بالكثير منهم الى تفسير التعاليم والمبادئ الإسلامية تفسيرا خاطئا ما أدى إلى انتشار قيم التواكل والروحانية الخرافية وغيرها من انماط السلوك التي لا تتفق بالفعل متطلبات التنمية الحديثة (٧).

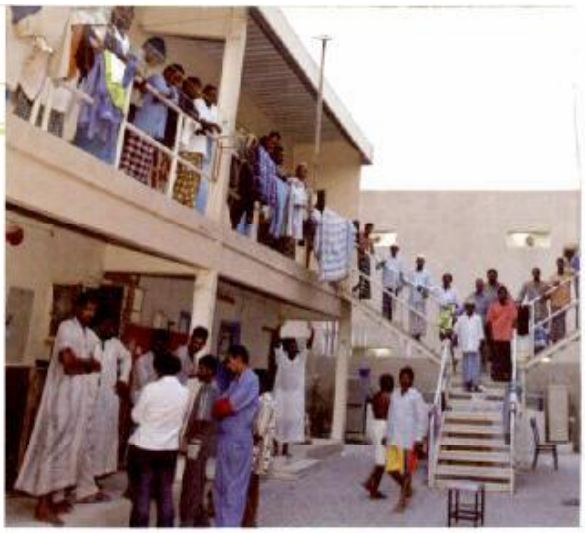

ثالثا: سوء استغلال وعدم ترشيد الموارد الاقتصادية

سيطرت المفاهيم الغربية وسادت على الثقافة الإسلامية كنتيجة طبيعية لحال التبعية التي تحياها معظم الدول الإسلامية ومنها تفسير المشكلة الاقتصادية على أنها مشكلة الندرة فتتعدد حاجات الإنسان المادية وتنمو نموها المطرد عبر الزمان والمكان مقابل ندرة الثروات الطبيعية في جوف الأرض المحدودة والكفيلة بإشباع تلك الحاجات وبما يطلق عليه «شح الطبيعة» ويصورون الإنسان على أنه في صراع معها على البقاء.

والحقائق تدحض هذه الدعوة فالإنسان لا يزرع إلا أقل من نصف الأراضي الصالحة للزراعة في العالم وفي بعض البلاد المتخلفة لا يصل الى الخمس. فهل هذه حقا مشكلة الندرة في الموارد كما يحلو للغرب أن يفسر المشكلة الاقتصادية أم في استغلال الموارد المتاحة (النعم بالمفهوم الإسلامي)؟.

يقول الفخر الرازي في تفسيره: «ولن يتيسر بحال أن نحصي نعم الله سبحانه وتعالى التي سخرها للإنسان لأنها تخفى وتتعدد وتتباين بحيث لا يحتويها الحصر والبيان وهي مع ذلك متوافرة تمتد إليها يد الإنسان إذا ما اجتهد وعمل وقد قضى الله أن تكون الدنيا دار ابتلاء يختبر فيها الإنسان إذا ما اجتهد وعمل، وقد قضى الله أن تكون الدنيا دار ابتلاء يختبر فيها الانسان بعملة ولا يحصل على النعم إلا بالجهد، ولقد قدرها الله كافية للانسان ولكن لابد من العمل للحصول عليها إذ لايتم الحصول عليها إلا بالجهد، ولقد قدرها الله كافية للإنسان ولكن لابد من العمل للحصول عليها وليبتلى في عمله ايحسن أم يسيء وعلى اساس ذلك يكون الخير والبركة في الدنيا والحساب والجزاء في الآخرة (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) «النحل ١١٢» (موسوعة المحدث).

إن الله عز وجل قد خلق السماوات والأرض وقدر فيها أقواتها وطلب من الإنسان السعي والجد وبذل الجهد واستخداه الموارد الطبيعية التي سخرها الله استخداما رشيدا وفيما يفيد البشر أو يوجهها توجيها لا يضره الإسلام.

وتتحقق أنعم الله عز وجل على البشرية بأحد شرطين أو بهما معا هما:

١- العمل على استغلال النعم.

٢- الإصلاح في الأرض بطاعة الله فيما أمر

وتخالفت الأمة الإسلامية وتخلت عن الشرطين الواحد تلو الآخر وأخذ الغرب بالسبب الأول الذي يحققه الله عز وجل لهم من خلال الجهد والعمل على استغلال الموارد أو النعم فمنحهم الله عز وجل من نعمه التي لم يحبها عنهم لعدم طاعتهم، يقول تعالى «كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا» (الإسراء ٢٠).

والمحظور هو الممنوع كما جاء في تفسير الطبري (موسوعة المحدث).

إن الله سبحانه وتعالى يعده نعمه على البشر كافة، مؤمنهم وكافرهم صالحهم وطالحهم برهم وفاجرهم طائعهم وعاصيهم وإنها لرحمة من الله وسماحة وفضل ان ينيح للكافر والفاجر والعاصي نعمه في الأرض لعلهم يشكرون، إن الكون مليء بنعم الله الكثيرة وهذا له علاقة بعقيدة التوحيد إذ تظهر فيها يد القدرة وتتجلى آثارها في كل مشهد فيها ومنظر، ثم بعد ذلك لا ينكر ولا يذكر الإنسان (٨).

وإنما كانت هذه العطاءات من دون إصلاح في الأرض. كانت بطاعة الله فنزعت البركة وسادت الاهتمامات بالجوانب المادية على حساب الأبعاد الروحية والاجتماعية والأخلاقية.

وبالتالي فليست المشكلة الأساسية هي مشكلة ندرة الموارد الطبيعية كما يصور ذلك الفكر الغربي بقدر ما هي مشكلة سوء استغلال هذه الموارد.

وتتمثل في هذا عوامل عدة في تفسير هذا القصور في استغلال الموارد بالنسبة للدول الإسلامية أهمها:

١- عدم توافر عناصر الإنتاج الأخرى اللازمة لاستغلال الموارد الطبيعية المتاحة وبصفة خاصة عنصر رأس المال.

٢- عدم توافر الدراية والخبرة الفنية اللازمة وسوء الإدارة داخل الوحدات الإنتاجية التي تتولى استغلال الموارد الطبيعية مع عدم اتباع الأسلوب العلمي في مجال الاستغلال الاقتصادي لما يتوافر في الدولة من موارد طبيعية.

٣- ضيق السوق المحلي وعدم إمكانات استيعاب كل ما ينتج من سلع مع صعوبة التصدير إلى الأسواق العالمية اما لارتفاع تكاليف الإنتاج أو لانخفاض نوعية الإنتاج (٩).

وبالتالي تحتاج الموارد المتاحة في الدول الإسلامية الى طاقات الإنسان الإبداعية وأدوات تكون هي خدمته وإلى مناخ عمل وإنتاج وحياة تمكنه من استخدام قدراته بإبداع واقتدار وأن يوظفهما التوظيف السليم والناجح لاستغلال الموارد الطبيعية من دون قصور أو تعطيل لاستهداف الخروج من مازق التخلف والتبعية. ■

هوامش البحث

١- عبدالمالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٧١)، سنة ١٩٨٣، ص٦٩ .

- د. محمد السيد سعيد، نظرية التبعية وتفسير تخلف الاقتصادات العربية، عادل حسين وآخرون «التنمية المستقلة في الوطن العربي»، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٣٢ .

- عادل حسين، التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل، المرجع السابق، ص ١٢ .

د. إسماعيل صبري عبدالله، «محاولة لتحديد مفهوم مجهول»، مجلة المستقبل العربي، بيروت، عدد (٩٠)، ١٩٨٦، ص ٤٥ .

- د. علي لطفي، دراسات في التنمية الاقتصادية، مكتبة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٥٠ .

٢- محمد قطب، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص ١٨٨ .

٣- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٤، ص٢٥ .

٤- موسوعة المحدث، اسطوانة الليزر، مرجع سبق ذكره.

٥ د. يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٤٥ .

٦- د. يوسف القرضاوي، «عمل الإنسان في معاشه عبادة بشرط»، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دبي الإسلامي، دبي، العدد (٧٥)، ١٩٨٧، ص ٣٨ .

٧- د. علي لطفي، دراسات في التنمية الاقتصادية، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٤ .

٨- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢١ .

٩- د. علي لطفي، دراسات في التنمية الاقتصادية، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦ .

الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط محدِّث الشام

بقلم: د. محمد حسان الطيان

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴿(الرعد:٤١)

«قال ابن عباس: خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها، وكذلك قال مجاهد: هو موت العلماء».

وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبدالعزيز أبي القاسم المصري، فقال حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المري في دمشق أنشدنا أبو بكر الآجري في مكة قال أنشدنا أحمد بن غزال لنفسه:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن أبى عاد في أكنا فها التلف

ما إن تناهى إلي خبر وفاة محدث الشام شيخنا العلامة عبدالقادر أرناؤوط حتى تراءت لي هذه الآية وترددت أصداؤها في خلدي وملكت علي أقطار نفسي .. أي وربي إن وفاة الشيخ يرحمه الله.. ثلمة في الإسلام .. وثغرة في البنيان وغصة في الجنان ... ومصيبة فنسأل الله أن يؤجرنا فيها وأن يعوض المسلمين خيراً.

فقد كان محدث الشام غير مدافع ... ما وقف موقفاً، أو خطب خطبة، أو تكلم في مجلس إلا انثال حديث رسول الله ﷺ من فيه غضاً طرياً ينبض بالحياة ويتدفق كالسيل الآتي بفصاحة عجيبة، ورواية مطرية .. وحفظ متين .. وعلم رصين .. تخاله يقرأ من كتاب بل إني والله ما سمعت قارئاً يقرأ من كتاب أو راوياً يروي من ذاكرة أحفظ منه أو أروى لحديث رسول الله ﷺ من روايته، أو أعذب جرساً من جرسه. وما روى حديثاً قط إلا وأسنده موثقاً ذكره .. دالاً على موضعه .. مترجماً لرجاله، شارحاً لغامضه .. محتشداً له بما ينبغي لمثله .. حتى إن بعض المتعجلين من طلبة العلم قدمه يوماً في حفل ضم نخبة من أهل العلم ورجاء أن يخفف من ذكر الأسانيد في كلمته طلباً للإيجاز والاختصار فما كان من الشيخ إلا أن خيب ظنه وذكر الأحاديث على ما اعتاد مسندة مسلسلة موثقة، يسمعها السامع فتطمئن نفسه إليها، ولا يداخله ريب في روايتها، ولا يحتاج إلى سؤال عنها.

ولم يكن فن الحديث على تخصص الشيخ يرحمه الله وعلو كعبه فيه، يبلوغه شأواً لم يبلغه أحد من معاصريه فيما نعلم - هو الفن الوحيد الذي أتقنه أو حنكه، فقد كان فقيهاً أصولياً .. وقارئاً متقناً .. وخطيباً مصقعاً.. وعالماً مفتناً .. اكتملت لديه أدوات العلم .. ونضجت في صدره آلة المعرفة..

فكان إذا تكلم أعجب، وإذا قرأ أطرب وإذا حقق أقنع، وإذا أفتى أعطى المسألة حقها وشفى صدر السائل.

أذكر أني قصدته أسأله عن مسألة نشب فيها خلاف بين بعض طلبة العلم، وهي إفراد يوم السبت بالصوم إذا وافق يوم عرفة. فقد ذهب فريق منهم إلى النهي عن صومه لأن رسول الله ﷺ نهى عن إفراد يوم السبت بالصوم، وذهب فريق آخر إلى الحث على صومه لأنه يوم عرفة. فلما سألت الشيخ يرحمه الله أنكر على الفريق الأول قوله ورد رأيه لأنه يتعلق بظاهر الحديث ولا يصدر عن دراسة أو تمحيص أو معرفة بأصول استنباط الأحكام، وكان مما ذكره الشيخ أن النهي عن إفراد يوم السبت بالصوم إنما كان في عموم أيام السنة، أما يوم عرفة فله خصوصية، وقد نبدنا رسول الله ﷺ إلى صومه في حديث صحيح، ثم أشار إلى أن علماء الفقه أو سعوا هذه المسألة بحثاً، وهم ممن ينبغي أن نعود إليهم في مثل هذا، ولاسيما الذين يعضدون ذكر الأحكام بذكر أدلتها، كالنووي في المجموع، وابن قدامة في المغني.

ونبه على أمر خطير، وهو التعويل في استنباط الأحكام الفقهية على ظاهر الحديث من دون دراية بأصول الفقة ومن دون رجوع إلى أقوال الفقهاء المعتمدين في هذا المجال، وردد مقولة لطالما سمعناها من شيوخنا وهي قول الفقهاء لأهل الحديث: يا أهل الحديث أنتم الصيادلة ونحن الأطباء. ولا يكشف الداء ويشخصه ويصف له الدواء الناجع إلا الطبيب الحاذق.

لقد كان شيخنا من المتبصرين بأمور الدين، المتفهمين لمقاصد الشرع، الملتزمين بالمحجة البيضاء، الواعين لما ألم بالأمة من تشتت وضياع وتفرق وتمزق، ومن ثم كان حرصه على الوسطية والاعتدال وعدم الغلو أو الإفراط أو التفريط، ولقد سمعته غير مرة يردد كلمة أستاذنا الشيخ هشام الحمصي، في دعوته إلى الوسطية: «لا نريد سلفية تتطرف ولا صوفية تتسطح، ولكن نريد من ينصح من دون أن يقدح أو يمدح» ولا ريب عندي أن سعة علمه وعظم معرفته وطول تجربته كانت وراء ذلك كله.

كيف لا وقد أخذ للعلم أهبته .. وسلك له دربه .. منذ كان غض العود طرياً. فقد لازم علامة الشام الفقيه الأصولي والأديب اللغوي الشيخ «محمد صالح الفرفور» يرحمه الله وأخذ عنه الكثير من العلوم والفنون مع كوكبة من طلبة العلم أصبحت اليوم ملء السمع والبصر من مثل شيخنا الشيخ عبدالرزاق الحلبي والشيخ أديب الكلاس والشيخ شعيب الأرناؤوط حفظهم الله جميعاً وأمتع بهم ونفع بعلومهم.

وأخذ القراءة والتجويد عن شيخ القراء الشيخ «محمود فايز الديرعطاني» يرحمه الله.

وأخذ أيضاً عن الشيخ «سليمان شاوجي الألباني»، وعن علامة الشام الشيخ «بهجة البيطار»، وصحب المحدث الشيخ «ناصر الألباني» عليهم رحمات المولى سبحانه ولم يقتصر شيخنا على صحبة العلماء والأخذ عنهم وإنما صحب الكتب ولازمها، وأطال المكث بصحبتها، حتى صار جلسها وجليسها.

وقد آتت هذه الصحبة أكلها على خير وجه، فكان من ذلك نتاج عريض في تحقيق التراث، شهدته كتب السنة والتفسير والسيرة والرجال والتاريخ والفقه والأخلاق، وبلغ نحواً من خمسين كتاباً، وانتشر في أرجاء العالم الإسلامي يحمل الرسالة التي نذر الشيخ نفسه لها، وهي خدمة السنة النبوية المطهرة، لينهل منها العلماء وطلبة العلم، نذكر من ذلك: زاد المسير في علم التفسير لـ «ابن الجوزي»، وجامع الأصول لـ «ابن الأثير»، وروضة الطالبين، والأذكار للنووي، والكافي، ومختصر منهاج القاصدين لـ «ابن قدامة المقدسي»، والمبدع في شرح المقنع لـ «ابن مفلح»، وجلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام، وزاد المعاد لـ «ابن القيم»، ومختصر شعب الإيمان للبيهقي، والكلم الطيب وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لـ «ابن تيمية»، ... وغيرها كثير.

وكان الشيخ ... إلى ذلك كله - ذا خلق رضي ونفس هنية وسماحة قل أن تحظى بمثلها إلا عند من حباه الله ذلك فليس في الأمر تكلف أو تعسف، وإنما هي الفطرة السليمة والطبيعة المواتية والصلاح الخالص - ولا أزكي على الله أحدا - قد نبدت في الشيخ وتمثلت به فكنت تلقاه فتلقى التواضع والتودد ... والمحبة والحنان ... كل ذلك إلى حفاوة بالضيف ... وأنس بالجليس ... وبشر في الحديث وفكاهة تمتزج بأجزاء النفس لطافة ... وبالهواء رقة ... وبالماء عذوبة ... وفيض من حنو ليس يخطئ أحداً من جلاسه، يستوي في ذلك من يعرفه ومن لا يعرفه، بل إنه يزيد مع من لا يعرفه في الأنس والبشاشة، وفي التعرف إليه، والملاطفة له، حتى يكسر حاجز الهيبة بين يديه، ويغدو معه صديقاً أليفاً لا عالماً متكلفاً ... وأخا ودوداً ... لا أستاذاً مترفعاً ... حتى ليصح فيه ما قاله إسحاق بن إبراهيم في مثله: «كان والله سمحاً سهلاً كأنما بينه وبين القلوب نسب، أو بينه وبين الحياة سبب».

كان ذلك ديدنه مع كل من زاره وكان ذلك خلقه مع كل من عرفه وكان ذلك إلفه مع كل من لقية لقد كان بيته مفتوحاً للقاصي والداني، والعالم والمتعلم ... كل يجد عنده طلبته ... وكل يحظى عنده بمنيته ... وكل يؤوب من عنده بغنيمته

تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذي أنت سائله •

نريد الماء

شعر/ محمد أحمد أبو دية

هذه معارضة لمعلقة «عمرو بن كلثوم» الشهيرة وهي إحدى المعلقات السبع التي يقال إنها كتبت بماء الذهب وعلقت على جدار الكعبة قبل الإسلام ... ومطلع هذه المعلقة...

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا

ألا هبي سعاداً فناولينا
شراب القدس يروي الظامئينا
زلالاً ليس فيه ريح خمر
تفجر من جبال الشاغرينا
فهاتيها كؤوساً مترعات
مشعشعة تسر الناظرينا
مشعشعة بعطر مقدسي
عبير الورد خالط ياسمينا

صددت الكأس عنا منذ حين
فاصبح وردنا كدراً وطينا
لقد غبنا وما جئنا بعذر
فيا قدس المحبة سامحينا
شراباً من يديك لنا شفاءً
يداوي عاشقاً صباً حزينا

نريد الماء من فيض السواقي
بيافا قد سمعت لها أنينا
على شطآنها عصفت رياحٌ
على أمواجها رقصت سفينا
رجال البحر شبان وشيب
فأحبب بالرجال الكادحينا
يجوبون البحار لكسب رزق
ويأتون الحمى يتسابقونا
بصيد وافر عادوا إليها
إلى الحسناء عادوا منشدينا
وفي الأحياء باتت صابراتٌ
بنات العم يحفظن الأمينا
يُنَشِّئْنَ الصغار يقلن أنتم
رجال في غدٍ تتقدمونا

وتحمون المنازل والصبايا
فإن لم تفعلوا لستم بنينا
تردون الديار لمالكيها
على غيرانها عشنا قرونا
نسائمها إذا هبت بصيف
على غدرانها رسمت غصونا
وحركت الغصون بكل روض
فغنى الطير ألحاناً فنونا
حمائم أو بلابل صادحات
فصائدها تسر السامعينا

عجاج ترابها كحلٌ شفاءً
عجبت لرملها يشفي العيونا
إذا مر السحاب على سماها
يروّيها ويكسوها غصونا
زهور جبالها ألوان طيف
تقر بها عيون المعجبينا

يكاد إذا رآها ذو اشتياق
يجن بحسن منظرها جنونا
على الخضراء قد مالت فروع
بأحمال تسر الزارعينا

نريد الماء نشربه بحبا
على جبل يحب المؤمنينا
أتينا يا حبيبة خبرينا
فإنا نعشق الخبر اليقينا
سمعنا صوت مؤمنة ينادي
فجئنا بالسلاح مدججينا
سمعنا من ينادي فانطلقنا
ولم نرهب جيوش المجرمينا
صنعنا من صميم الأرض ناراً
نؤججها ونجتاح الحصونا
ولدنا في المتاهة في خيام
تهاجمنا المصائب صابرينا
فرأنا في كتابك مبكيات
تأخينا وأقمنا اليمينا
تألفنا على منهاج صدق
أبينا أن نذل ونستكينا
فنحن الصاعدون إلى المعالي
ونسهر إذ ينام النائمونا
نرد الغادرين ولا نبالي
ولا نخشى عتاب اللائمينا
بلاد الأكرمين بلاد عزٍّ
وتطعم ضيفها عنبا وتينا
وتشبع أهلها من كل لون
ولن ترضى بحكم الظالمينا
رأيت بها السنابل مائلات
يحب فيه عوت الجائعينا
بلاد أحبتي والخير منها
وفيها القدس بيت الساجدينا
إذا عشنا حمينا شاطئيها
وحطمنا قتاد المفسدينا
وإن متنا يعانقنا ثراها
فنسعد في جوار الصالحينا
ورثناها عن الآباء يوماً
ونورثها إذا متنا بنينا
يردون العدا عن جنتيها
ويروون العطاش الظامئينا

المعاني

١- متشعشعة: ممتزجة بالطيب.
٢- الفضون: نموجات خفيفة على وجه الماء.
٣- جبل حيفا: جبل الكرمل المشرف على ميناها على البحر الأبيض المتوسط.
٤- قتاد: أشواك صلبة مؤذية.

الأزمة ليست في الدعوة.. ولكن في الدعاة أنفسهم

بقلم:
أ.د محيي الدين عبدالحليم

العمل الدعوي بصورته الراهنة يعاني من الركود والجمود والتحجر، ويعتمد على منهج الإثارة والتهييج والانفعال، والعزف على أوتار العاطفة وحدها بدلاً من مخاطبة العقل، ويقوم بعض الأفكار بأسلوب غير منطقي، ويفتقر إلى الحجة والبرهان، وهو أسلوب لا يستطيع أن يتعامل مع العقلية المعاصرة سواء داخل ديار العرب والمسلمين أو خارجها، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الخلل في التأهيل العلمي والتدريب العملي والاختيار الموضوعي لهؤلاء الذين يعتلون المنابر.

وتكمن المشكلة هنا في عدم توافر الداعية الذي يعرف كيف يقرأ ويسمع ويشاهد ما يدور حوله بكفاءة وفاعلية، لا يخشى بطش حاكم، أو تسلط ظالم، ولا سيما أن بعض زعماء العالم الإسلامي قد درجوا على استغلال ضعاف النفوس من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وأحكموا سيطرتهم عليهم، مستخدمين في ذلك أساليب الترغيب والترهيب لتبرير استبدادهم وتسلطهم، واتساق كثير من الدعاة وراء رغبات هؤلاء الحكام، وبالغوا في ذلك أشد المبالغة طمعاً في العطايا الجزيلة والجوائز الثمينة، ولعل ما قاله «ابن هانئ» في مدح أحد خلفاء الفاطميين يؤكد هذه الحقيقة حين أنشد قائلاً:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

وفي قصيدة أخرى يمعن في مدح هذا الخليفة، وعصمته من الخطأ والزلل:

شهدت بفخرك السموات العلا
وتنزل القرآن فيك مديحاً

ولعل هذه الأزمة ترجع إلى أن مناهج التعليم الديني في كثير من البلاد الإسلامية في حاجة إلى مراجعة شاملة لأنها مناهج تقليدية تعتمد على أساليب عتيقة قد تصر أكثر ما تنفع، فبعض هذه المناهج تُشعل غلواء التطرف لدى الصبية والشباب بدل من أن تزرع فيهم روح التسامح والأخلاق النبيلة واحترام الآخر، كما أن بعضها يسهم في نشر ثقافة الفكر الخرافي ما يجعل التعليم الديني عاجزاً عن التواؤم مع المجتمع المعاصر حتى أصبحت مخرجات مؤسسات هذا النوع من التعليم لا تقدم للمجتمع إضافة تذكر لأنها أصبحت خاوية المضمون معرفياً، عدائية في توجهاتها ضد الآخر، تلقينية تعتمد على الحفظ والاستظهار بدلاً من التفسير والتحليل والإبداع، مما يشير إلى أن مناهج التعليم الديني في حاجة إلى إعادة نظر شاملة في معالجاته فلا تجنح إلى الحرية المنفلتة، ولا تنشبث بالأفكار الجامدة، ولا تخضع لضغوط أجنبية، ولا تتشبه بالمناهج العلمانية.

لقد انقضى الوقت الذي كان فيه الاتصال يعتمد على الأساليب الإنشائية والعبارات الطنانة، وأصبحت فنون الإقناع تقوم على تزويد الجماهير بالمعلومات الدقيقة والوقائع الملموسة والحقائق المؤكدة وتناول القضايا التي تهم الجماهير بلغة واضحة بعيدة عن الغرابة والغموض، مع الاهتمام بقوة البيان وتنوع الأساليب وجاذبية العرض ووحدة الموضوع، فإن التمعن في جوهر العقيدة الإسلامية يؤكد لنا أنها دعوة عقلية بكل معاني الكلمة لأن الإسلام دين يقوم على المنطق، ويستند إلى البرهان في مخاطبة الجماهير المسلمة وغير المسلمة.

وبلغ من تقدير الإسلام للعقل أن جعل معجزته - وهي القرآن الكريم - معجزة عقلية ترتبط بالعقل في كل زمان وكل مكان يعمل فيه، وما أكثر الآيات القرآنية التي تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر ويطلق سراح عقله ليستنبط به، ويعتبر من خلال النظر إلى ما حوله من ظواهر طبيعية وحقائق علمية وما أكثر هذه الآيات.

والجدل العقلي تصعب ممارسته بمعزل عن حرية الفكر والاجتهاد، وبالتالي فإن أبرز ما يميز دعوة الإسلام هو ربطها بالعقل واحترامها له، بل اشترط الإسلام على من يتلقون عنه ويدينون به أن يبلغوه بعقولهم وأن يأخذوا أحكامه وتعاليمه بعد بحث وتمحيص، ومن لم يقتنع بعد ذلك فهو في حل من قبول هذه الدعوة

الجدل العقلي تصعب ممارسته بمعزل عن حرية الفكر والاجتهاد

وعلى الله حسابه، كما أن الإسلام ليس في حاجة إليه، ذلك أن قيمة المرء في الإسلام ترتفع كلما ارتفعت اهتماماته العقلية بل إن من أهم الأهداف الإصلاحية لهذا الدين هو تحرير العقل البشري من ربقة التقليد والخرافات وتوجيهه نحو التفكير الحر، ولذلك حارب الإسلام الوثنية لأنها انحطاط بالعقل وعمى في البصيرة.

وحين طلب بعض المرتابين في رسالة محمد ﷺ المعجزات التي تثبت صحة هذه الرسالة كان رد الله عليهم أن ينظروا فيما احتوته آيات القرآن الكريم من دلائل عقلية وصور كونية تثبت صحة ما تضمنته هذه الرسالة وصدق حاملها.

وكانت دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليه تقوم على الحجج المحكمة، وقد اعتمد في تبليغها ونشرها على ما يتقبله العقل، ويألفه الذوق، ويتلمسه الوجدان ولا يقف دون البدهية الفطرية ولا ينكره الحقيقة، وقد استعان في ذلك بمختلف الطرق الفنية والمهارات الاتصالية التي حققت لبيانه سحرا، ولأقواله جذبا، فهذه قصة قرآنية، وهذه موعظة مباشرة، وتلك قصة غير قرآنية، وذلك مثل حي، وهذا موضع يقتضي شدة أو لينا، وذلك يتطلب إيجازا أو إطنابا الخ..... مما يختلف باختلاف الظرف الذي يحكمه عامل الزمان والمكان، وأحوال الجمهور المتلقي، وهذا التنويع يجذب انتباه المتلقي، ويحدث الاستجابة العقلية، ويحقق ردود الفعل المنطقية، ويكفل صفة الاستمرار للفكرة ويجعل الداعية على صلة دائمة بالجماهير.

وهذا يعني أن هؤلاء الرجال في حاجة إلى التزود بالدراسات العلمية اللازمة لهم وإلى فهم طبيعة العلاقات الدولية والاقتصادات العالمية، إلى جانب التدريب على التقنيات الحديثة التي تمكنهم من متابعة ما يدور حولهم من أحداث واستكشافات علمية ومعطيات عصرية، أي أن حصر دورهم في التعريف بشعائر الإسلام ومناسك

الداعية المعتقد صدق ما يقول تلتهب كلماته، وتستقر عباراته في القلوب لأنها قبس من نفسه المشتعلة

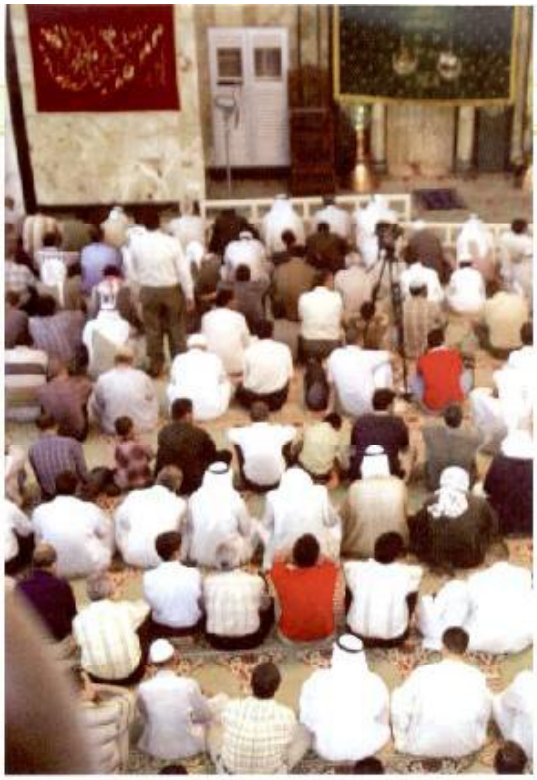

الحج والعمرة وأصول الوضوء والتيمم يضعف من تأثيرهم ويضيق الخناق عليهم، وهو ما يتنافى مع الدور المنوط بهم في التثقيف وقيادة الجماهير، ولذلك وجب أن تتزود هذه النوعية من الرجال بالزاد الفكري والخلقي الذي يليق بمكانتهم وينسجم مع رسالتهم، وأهم ما يلزمهم في هذا الصدد عفة اللسان وحسن الخلق والثقة بالنفس التي تكسب الداعية وضعاً شامخاً وتمكّنه من توجيه الكلمات الواثقة، وتعطي صوته الطاقة الكافية في تكييف معلوماته وقضاياه مع ظروف السامعين واتجاهاتهم، كما أن الثقة بالنفس تمنح صاحبها قوة في القلب، وشجاعة في القول، ونفاذاً في البصيرة، فلا يخاف أحداً في الجهر بالصدق، ولا تأخذه في نصرة دين الله لومة لائم، ولا يكسل عن مناصرة الحق وتغيير المنكر، ولا يتقرب إلى الناس بأنواع المداهنة ويتودد إليهم بضروب الملق، ولا يسكت عن المنكر لدواعي الهوى، ولا سيما في مقام الحجة على الخصم وأن يتجنب أسلوب السب والشتم والغلظة في القول.

والداعية المعتمد في صدق ما يقول تلتهب كلماته، وتستقر عباراته في القلوب لأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، وسرعان ما تتصل أرواح السامعين بروحه تستمد منها، وتتجدد بها، وتتجاوب معها وتندفع إلى الطريق الذي يريده لها فلا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها.

ومن ثم فإن التدقيق في اختيار العناصر القادرة على العمل في هذا الميدان يجب أن تأتي على رأس الأوليات التي تحفل بها الدول والمنظمات الإسلامية بدل من أن تعين عناصر غير مؤهلة للعمل في هذا الميدان الحيوي، لأن هؤلاء يعملون في مجال العقيدة فيجانبهم الصواب إذا لم يستطيعوا تفسير معنى الجهاد تفسيراً صحيحاً ومقبولاً، ولا يستطيعون التفريق بين الدفاع عن الأرض والعرض وعمليات القتل والإرهاب وسفك الدماء.

(يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) (الأحزاب: 45 ـ 46)

محاولة لرسم سمات ومعالم ثقافة الإمام الداعية ٢/١

تسعى هذه الدراسة المتواضعة إلى محاولة رسم سمات ومعالم ثقافة الإمام الداعية، وذلك من خلال استيعاب تراكمات التراث الإسلامي في هذا الموضوع الحساس، انطلاقا من القرآن الكريم وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصولا إلى مؤلفات الأئمة الأعلام في هذا المجال.

منطلقة من محاولة بلورة وضبط مفاهيم الدعوة والداعية وعملية الاتصال الدعوي، والصعوبات والعراقيل التي تعترض الدعاة في هذا المجال التوصيلي الحساس.

مركزة ـ في الوقت نفسه ـ على ركن الإمام الداعية، لأهميته الجذبية والإغرائية في عملية التواصل الدعوية بجمهور المدعوين.

متداركة بأسلوب اختزالي ثري مفاهيم ومصطلحات شتى، عن الدعوة والداعية وعن الإمام الداعية، وعن أطرهم المرجعية وأهدافهم ووسائلهم وأنواعهم وأدواتهم. بغية تبصير الأئمة الدعاة بمناطات ومتعلقات وواجبات ومسؤوليات وظيفتهم الدعوية التغييرية الخطيرة.

بقلم: د. أحمد عيساوي
أستاذ الدعوة والفكر الإسلامي المعاصر
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
جامعة باتنة ـ الجزائر

المدخل

إن الكتابة والتصنيف في ثقافة الإمام الداعية، وتحديد زاده الثقافي والمعرفي، وضبط حدوده العلمية العليا والدنيا، علم حديث النشأة في العلوم الإسلامية، وفي صميم الدراسات الدعوية والاتصالية والإعلامية، بالرغم من كونه علما قديما قدم الدعوة الدينية عموما والدعوة الإسلامية خصوصا، حيث نشأ منذ اختيار وانتخاب الرسول صلى الله عليه وسلم للدعاة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، الذين كان يرسلهم مع القبائل التي أعلنت إسلامها، أو إلى القبائل التي كان يطمع في إسلامها، أو في شخصيات ورسوم رسله إلى أمراء وملوك الممالك المجاورة، حيث كان عليه الصلاة والسلام يختار الأكفاء والقادرين منهم، ليعكسوا صورة الإسلام والمسلمين الصحيحة، ويرغبوا المدعوين ويجذبونهم للدخول في الإسلام (١).

وقد سبق إلى التأليف في هذا الفن في العصر الحديث الكثير من الدعاة والمصلحين والعلماء والفقهاء.. وعلى رأسهم شيخنا الداعية «محمد الغزالي» في كتابه (مع الله دراسة في الدعوة والدعاة)، وشيخنا الدكتور الداعية «يوسف القرضاوي» في كتابه (ثقافة الداعية)، وشيخنا الأستاذ الدكتور الداعية «سيد» «محمد سيد» في كتابه الدعوي والإعلامي والاتصالي (المسؤولية الإعلامية في الإسلام)، وشيخنا الأستاذ الدكتور «سميح عاطف الزين» في كتابه (صفات الداعية)، وغيرهم كثير أمثال: شيخنا الداعية «عبدالرحمن حبنكة»، وعبدالكريم زيدان، ومحمد أبو الفتح البيانوني، وعلي جريشة، وجمعة أمين، وحسن الهضيبي، وفتحي يكن، وعمر عبيد حسنة،...

وقبل أن نتناول زاد الإمام وعدته الثقافية والعلمية والمعرفية والأدبية واللغوية.. في مجال عمله الدعوي المتميز، لابد لنا من تحديد وضبط جملة من الأساسيات المهمة في هذا المجال الديني الخطير، لها علاقة أساسية في نجاح أو فشل الإمام الداعية في مهمته الدينية المتميزة.

أولها ما له علاقة بطبيعة وتكوين وأسس هذه الثقافة. وثانيها ما له علاقة بطبيعة ومفهوم الإمام الداعية لمهمته ووظيفته الموكولة إليه. وهذه الأخيرة لها علاقة وطيدة بنوعية الثقافة الدينية التي يجب أن يحظى ويتمتع بها الإمام(٢).

فإن كان الإمام شاعرا ومدركا لضيمة وخطر المسؤولية الملقاة على عاتقه من خلال ممارسته لوظيفته الدينية، وهي النيابة والخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على شعائر الله ودينه في الأرض، فإنه حتما سيكون واعيا ومدركا لمناطات وأبعاد هذه المهمة الرسالية وما تحتاج إليه من عدة. وإن كان مجرد موظف عادي يتقاضى أجرا ويمارس مهنة كغيره من موظفي سلك التوظيف العمومي، فإنه سيحدد أيضا حجم ونوعية ما يحتاجه من البضاعة والثقافة الدينية.

ولئن توضحت له الصورة والمهمة فعليه أن يتساءل عن هذه المهمة التي يقوم بها ليلا ونهارا، وعلى مدار الأسبوع والشهر والسنة والعمر، وفي سائر الأمكنة المقدسة والمحرمة والمباحة. كما عليه أن يتساءل أيضا عن نوعية وطبيعة الزاد المعرفي والثقافي واللغوي والأدبي الواجب توافره لديه، ومن أين سيحصل عليه؟ وكيف سيحصل عليه ؟ وكيف يحافظ عليه ؟ وكيف ينميه وينميه ويقويه؟ وكيف يستثمره أحسن استثمار ؟ ولم وأين وكيف ومتى وعلام يخدم به أمته وقومه؟

ومن هنا يجب عليه أن يعرف حقيقة وطبيعة وأهداف المهمة والوظيفة أولا. وما تحتاجه من أدوات وزاد ومعرفة ثانيا. فإن كانت المهمة هي الدعوة إلى الله وإلى دينه الإسلام، فما الدعوة إذا؟ وما العمل الدعوي؟ وما النشاط الدعوي ؟ وما الفعل الدعوي؟ وإن كان لابد من ممارسة هذه المهمة على أحسن وجه فلابد إذن من معرفة: المهارات والقدرات والآليات والحقائق والخطوات والضوابط والشروط.. التي تضمن له النجاح في هذه المهمة؟

وعليه فإن الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه الإسلام، علم، وفن، وموهبة، وتقانة، وتقوى، وإخلاص. علم له أصوله وقواعده وضوابطه، مؤسس في معالم التنزيل السماوي، وفي تطبيق سيرة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام في سائر مجالات الحياة، وفن له خصائصه ومميزاته ومحدداته الخاصة به. وتقانة أيضا، إذ الدعوة إلى الله شبكة معقدة من الممارسات

الجهة المستقبلة للرسالة الدعوية الإسلامية محاطة بكم كبير من الرسائل الدعوية الدينية والسياسية

والعلاقات التقنية، المحكومة بعدد من الأطر والقواعد الضابطة لصيرورة العملية الدعوية سننيا ومرحليا وتقنيا ضمن دوائر التفاعل الإنساني الطبيعية الزمانية والمكانية والكيانية.

وهي تقوى أيضا، إذ تؤمن حرارة التقوى وفاعليتها ودفء روحانيتها الوجدانية أرضية الأسس والقواعد الخلقية والعقدية والنفسية لنجاحها وقبولها من لدن رب العزة أولا. كما تضمن النجاح والتوفيق للقائمين بها، سواء أكانوا أنبياء أم دعاة من عدول الأمة ثانيا. وهي أيضا إخلاص، حيث يوفر ركن الإخلاص مناخا ملائما وتقيا. مع ركن التقوى، لصيانة سير ونجاح وفاعلية العملية الدعوية، بدءا من القائم بالدعوة أولا، ومرورا بوسائلها وأساليبها وتقنياتها وموادها ثانيا، وصولا إلى جمهور المدعوين المستقبلين ثالثا.(٢)

وعلى ضوء هذه القراءة الشاملة للعملية الدعوية يجدر التنويه والتنبيه، هنا، إلى أهمية إعادة قراءتها وتحليلها وفهمها وفق مخزون التراكمات، العلمية والفكرية والثقافية والأدبية الأفقية والعمودية الإنسانية، المتاحة اليوم بين يدي دراسي الدعوة الإسلامية، والقائمين بها في العالم في مطالع القرن الواحد والعشرين. بحيث تصير عملية استكناه وفهم أبعاد ومجالات وطبيعة العملية الدعوية مجالا رحبا لتشابك وتعاون مختلف النتاجات العلمية والفكرية للدارس المسلم، الذي يعكف بعمق ودراية على تدبر مختلف كلياتها وجزئياتها، ليستطيع بدقة وفاعلية تحديد أركانها وقواعدها الرئيسة، وضبط كل أبعادها التأثيرية الفاعلة، منطلقا ووسيلة وممارسة وغاية.

وعلى هذا الأساس تكون الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام، عبارة عن مجموعة من العمليات المعقدة والمتشابكة والمتراكبة الجوانب والأبعاد، تحكمها مستويات ثلاثة، لا يمكن للدارس أو للقائم بالعمل الدعوي أن يفهم كلياتها أوجزئياتها أو تأثيراتها، إلا ضمن هذه المستويات الثلاثة.

وهي مستوى العلم والثقافة بأبعاده وقواعده، ومستوى الفن والموهبة بأبعاده وقواعده أيضا، ومستوى الوجدانيات الروحية بأبعاده ومجالاته الرحبة وقواعده.

وكل مستوى من هذه المستويات يعد بمثابة ركن رئيس في العملية الدعوية، لا يمكن بأي حال من الأحوال للدارس أو القائم بالدعوة تجاوزه، أو إهماله أو الإعراض عنه مهما كانت الأسباب.

فالدعوة إذن علم وثقافة بكل تراكمات المدلول الاصطلاحي لمصطلحي العلم والثقافة، وهو الركن الأول في العملية الدعوية، التي يجب على الدارس المسلم والقائم بالعمل الدعوي أن يفقهه فقها شموليا وتمكنيا.(٤)

والدعوة فن وموهبة بكل أبعاد ومعاني المدلول الاصطلاحي لمفهوم الفن الإسلامي الجميل، ولكل المقومات والمكونات الخطرية والغريزية للموهبة الممنوحة من الله لأنبيائه ولدعاته، وهي الركن الثاني في العملية الدعوية، التي يجب على الدارس المسلم والقائم بالدعوة أن يفقهه فقها موهبيا تمكنيا.

والدعوة تقوى وإخلاص بكل أبعاد وفاعليات الحرارة الوجدانية والروحانية للمعاني والمدلولات التي تقرب، إلى حد ما، مصطلحي التقوى والإخلاص للعقل والوجدان المسلم، وهي الركن الثالث والأخير في العملية الدعوية التي يجب على الدارس المسلم والقائم بالدعوة أن يفقهها روحيا ووجدانيا ونفسيا.(٥)

الإمام وعملية الاتصال الدعوي

وقبل أن يعرف الإمام حده الأدنى من الزاد المعرفي ومن العدة الدعوية، عليه أولا أن يعرف عملية الاتصال الدعوي التي هي من أعقد العمليات وأدقها في حقل الدراسات الاتصالية، نظرا لتميزها وتخصصها في فهم وترجمة وحمل الخطاب السماوي المميز لعامة الناس ولخاصتهم.

هذا الخطاب السماوي المتميز، الذي يجب التعامل معه وفق معارج وكيفيات وصيغ روحية وعقلية ووجدانية وسلوكية خاصة، تنسجم وفطرة الله الصحيحة التي فطر الناس عليها، فلا يستطيع التطابق معها، اليوم أوغدا، إلا من شكل كيانه العقلي والروحي والسلوكي الفردي والاجتماعي وفق مسارب تلقي الحق وفهمه، وترجمته في الواقعين الروحي والعملي، الفردي والجمعي والاجتماعي.(٦)

وقد ارتقت عملية الاتصال الدعوي خاصة، دون غيرها من عمليات الاتصال، ودقت أبعادها نظرا لما اختزلته في أركانها الأربعة الرئيسة: (الداعية، الدعوة، المدعوين، فنيات وأساليب العمل الدعوي (من كم هائل من القضايا والمسائل المميزة، ذات الصلة الوطيدة برموز ورسائل ومضامين وقيم التوجيه السماوي، التي لا يمكن التهاون فيها، فهما، أو عرضا، أو إلقاء أو تواصلا، أو تعبئة أو تأثيرا، منطلقا وممارسة ووسيلة وغاية.(٧)

فهي تهدف كعملية اتصال بالجماهير بالأساس تزويد الجماهير المستقبلة بالرسائل والمضامين والقيم الربانية السامية من جهة، ومحاولة تشكيل تصوراتهم وقيمهم ووجدانهم ورؤاهم من جهة ثانية، وتكوين خلفيات الإدراك والتصور السليم لديهم حيال الأطر المرجعية المقدسة والقيم والتعاليم السماوية النظرية ومختلف ارتياداتها العملية الواقعية من جهة أخرى، وذلك من خلال تفاعلات وتشابكات جملة من العمليات الجزئية المنفصلة، النفسية والعقلية والفكرية الذهنية والجمالية... ضمن إطار العملية الدعوية الكبرى لدى الداعية أو المدعوين.(٨)

كما تهدف أيضا إلى حسن التعامل التقني مع سائر المنجزات والوسائل التقليدية والحديثة الواسعة الانتشار لبلورة تراكم تجربي دعوي حيال الوسيلة الدعوية وغيرها، ومحاولة تخصيص أجزاء وأزمان ومساحات منها خدمة للرسالة الدعوية السامية بما يتناسب وثقافات وقيم وتوجهات ودوافع ومستويات.. الرسالة الدعوية للرقي بالجماهير المدعوة.

وتبرز صعوبة عملية الاتصال الدعوي دون غيرها من عمليات الاتصال بالجماهير أن الجمهور المستقبل للرسالة الدعوية محاط بزخم كبير من الرسائل الأخرى التي تشغب عليه صفاء توجهه وتشغله عن التركيز فيها والانسياق وراءها، وبمقدار ما تشغل تلك الرسائل الدعوية الجانبية الجهة المستقبلة فهي تشغل بقوة أيضا الجهة القائمة بعملية الاتصال الدعوي، لأنها تجد نفسها مجبرة على بذل جهد فكري وثقافي وعلمي وفني واتصالي وإعلامي معتبر لانتقاء أسهل وأيسر وأقرب وأسرع الرسائل والمضامين الدعوية المؤثرة والفعالة في نفسيات وعقول وتصورات جمهور المدعوين الحقيقيين والمرتقبين.(٩)

ذلك أن الجهة المستقبلة للرسالة الدعوية الإسلامية محاطة بكم كبير من الرسائل الدعوية الدينية والسياسية والاقتصادية والتربوية والفنية والإعلامية.. ما يجعلها في حيرة من أمرها في اختيار الجهة المرسلة والاستقرار والتفاعل معها إمكانيا وزمانيا وكيانيا، ونبذ

الداعيـة المسلم هوالإنسان المؤهل روحيا ووجدانيا وعقليا وجسديا للاضطلاع بمهمة التبليغ والدعوة لرسالة الله

الرسائل والمضامين الدعوية الأخرى.

ولذا فإن القائم بعملية الاتصال الدعوي، فردا كان أم مؤسسة أم هيئة، يجب عليه أن يحرص على جذب انتباه الجمهور المستقبل الحقيقي منه والمرتقب لرسالته دون غيرها من رسائل الدعاة.(١٠)

ولايستطيع القائم بعملية الاتصال الدعوي التغلب على الزخم الدعوي الكبير والمتزاحم الذي تعج به مختلف قنوات الاتصال الجماهيري العادية والتكنولوجية المباشرة وغير المباشرة، إلا إذا أتقن عمله الدعوي والديني أيما إتقان، بدءا من مضمون ونوعية الرسالة الدعوية المناسبة لجمهور المدعوين الحقيقيين والمرتقبين مرورا بالوسيلة المؤثرة والفاعلة التي تتكفل بحمل رموز الرسالة الدعوية وتبليغها لجمهور المدعوين بأيسر وأسرع الطرق، وانتهاء بدراسة أصناف المدعوين وأنواعهم، وكل ظروفهم ودوافعهم وميولهم المختلفة.(١١)

وحتى تحقق الجهة الداعية هدفها في جذب الجمهور المدعو إليها دون سواها، فإن أول خطوة يجب أن تقوم بها في عملية الاتصال الدعوي، هي وضع بؤرة الإدراك الواعية للجماهير المدعوة في صميم الرسالة الدعوية، وجذب انتباهها إليها دون غيرها، ولن يتأتى لها ذلك الجذب الواعي لبؤرة إدراك الجماهير المدعوة لرسالتها، إلا إذا استجمعت كل العناصر الأساسية المؤثرة في عمليتها الدعوية وفي نوعية الرسالة الدعوية أولا، وفي نوعية القائم بالعمل الدعوي ثانيا، وفي الوسيلة الفعالة والمؤثرة ثالثا، وفي معرفة مواطن الدفع والجذب في نفسيات وظروف وأوضاع المدعوين رابعا.

وهذه العناصر الجذبية الأساسية يمكن إجمالها فيما يلي:

١. تفهم خصائص وظروف وأوضاع ونفسيات وأحوال الجمهور المستقبل الحقيقي منه والمنتظر.

٢. إدراك طبيعة ونوعية وخصائص الرسالة الدعوية المتنوعة (المكتوبة، المسموعة، المرئية، الصامتة، الإلكترونية، الملونة، العادية...

٣. معرفة نوعية الوسيلة الدعوية المنتقاة ومدى انسجامها مع مضامين الرسالة الدعوية من جهة، ومع القائم بعملية الاتصال الدعوي من جهة أخرى «فردا، مجموعة، هيئة، مؤسسة، دولة...

٤. فهم دوافع واتجاهات المدعوين الحقيقية وميولهم الدقيقة في التوجه نحوالوسيلة أم المضمون، الفيلم أو الشريط الإسلامي كتاريخ ومحاولة تمثيل للماضي التليد بأزيائه.. أو كقيم روحية وتشريعية..

٥. نوعية الوسط الجغرافي والديمغرافي والكياني الذي ستوجه إليه الرسالة الدعوية ومدى فاعليته في دفع أو كبح تأثيرات الرسالة الدعوية في جمهور المدعوين المرتقبين والحقيقيين.(١٢)

وقد شغلت هذه العملية في فترة الصحوة الإسلامية المعاصرة عقول وجهد وتفكيرالكثير من الدعاة الدارسين والباحثين الإسلاميين. كل حسب اهتمامه وتخصصه. فالجه بعضهم نحو ركن الداعية لاعتبارات رأها ذات أهمية كبرى فيه يتوقف عليها نجاح العملية الدعوية أو فشلها. فيما اتجه بعضهم لدراسة المدعوين وأصنافهم ومستوياتهم ودوافعهم وتوجهاتهم وأجناسهم وقيمهم.. ظنا منه لاعتبارات معينة أنها العنصر الرئيس في نجاح أو فشل العملية الدعوية. بينما اتجه فصيل آخر لدراسة مضامين ومحتويات الرسالة الدعوية معتبرا إياها معيارا للنجاح اوالفشل، واتجه فصيل رابع لدراسة الوسائل والتقنيات الدعوية، ظنا منه أنها هي الأهم في نجاح أو فشل العملية الدعوية. فيما اتجه بعضهم الآخر لدراسة كل الأركان على قدر سواء.

والحقيقة التي يجب الوقوف عليها اليوم بشأن عملية الاتصال الدعوي في قرن التسابق والتنافس الحثيث بين الأديان، والتي يجب أن نصارح بها أنفسنا كدعاة مسلمين في القرن المقبل، هي العجز التقني والوسيلي لدى الجهات والمؤسسات والهيئات الإسلامية القائمة بعمليات الاتصال الدعوي محليا وإقليميا وعالميا. لإيصال مضامين ورسائل وقيم الدعوة الإسلامية إلى جمهور المدعوين في عصر الوسيلة والتقنيات السريعة والحديثة.

وأمام هذه الوضعية التي تواجهها الدعوة الإسلامية محليا وإقليميا وعالميا اليوم وغدا، وأمام الزخم الهائل من الوسائل الحديثة المتدافعة إلى عالم الاتصالات الواسعة التي تسخرها الدعوات الأخرى لخدمة توجهاتها وزيادة عدد المؤمنين والموالين والمتعاطفين معها، نحاول أن نتفهم وضعنا الدعوي بين سائر الأديان الأخرى علنا نتفقد مانبقى، تمهيدا لاستعادة ما ضاع منا.(١٣)

وعليه فالدعوة الإسلامية المنشودة هي:

الدعوة الإسلامية المنشودة

هي الدعوة التي تكون قادرة على مواجهة كل دعاوى وأباطيل الوثنيات الإلحادية في قرن العولمة والهيمنة الوثنية الغربية على العالم، وهي الدعوة التي تحقق ما يلي من المقاصد:(١٤)

١. صياغة وتشكيل الفرد المسلم بأبعاده الأربعة: (البعد العقلي التصوري، والبعد العاطفي الوجداني، البعد السلوكي الاجتماعي، البعد الإنجازي الحضاري).

٢. صياغة وتشكيل المجتمع المسلم بمؤسساته وأجهزته كافة: (الأسرة، التربية، الإعلام، الصحة، الثقافة، الفن، الأدب...).

٣. صياغة وتشكيل الكيان المسلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بمؤسساته كافة وأجهزته وهيئاته: (هيكلة الهرم السياسي وسائر مؤسساته، النظام الاقتصادي والمالي، النظام التنظيمي والإداري).

٤. صيانة عقل ووجدان وسلوك وعلاقات وقيم وثقافة.. المجتمع المسلم من كل عوامل الغزو الخارجي والتفتيت الداخلي.

٥. التفاعل الشرعي مع الفرد والمجتمع المسلم في مرحلتي التغيير والبناء محليا وإقليميا وعالميا.

٦. تشكيل عقل ووجدان غيرالمسلمين بما يتناسب وفاعلية الدعوة الإسلامية ورسالتها التحريرية النبيلة.

٧. العمل على نشر قيم الإسلام النبيلة محليا وإقليميا وعالميا.(١٥)

الدعوة الإسلامية وأطرها المرجعية

تستقي الدعوة الإسلامية أسسها ومناهجها

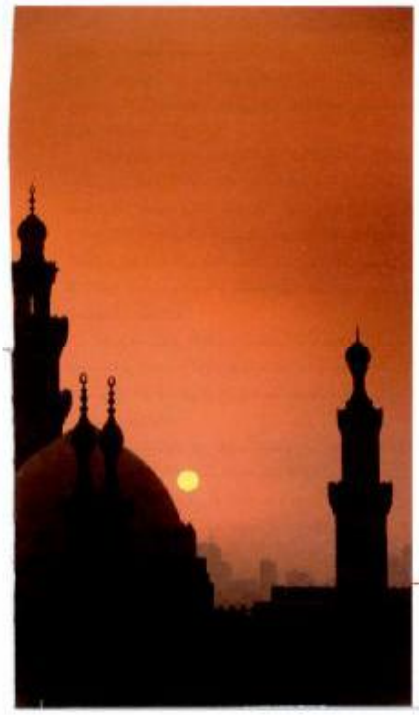

وأساليبها وفنياتها مما يلي من المصادر الإسلامية:

١. القرآن الكريم: عبر تفاسيره: «المأثور، المعقول، الفقهي، الحركي، العلمي» وعلومه وأحكامه كبوابات لعبور مغاليق النص الكريم المقدس واستبصار أحكامه المقدسة.(١٦)

٢. السنّة النبوية المطهّرة: القولية والعملية والتقريرية، عبر صحاحها وسننها ومسانيدها وشروحها.. كمفاتيح تدبر وفهم صحيح لممارسات رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوية.

٣. فهم وعمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عليهم.

٤. فهومات واجتهادات التابعين وتابعيهم من أعلام المسلمين إلى الدين يلونهم، الأمثل فالأمثل.

٥. حركية التاريخ الإسلامي وتعاقباته السننية.

٦. التراكمات المعرفية والعلمية والخبراتية المادية والمعنوية الأفقية والعمودية التي توصل إليها العالم، من علوم ومعارف وخبرات..(١٧)

وبهذه المصادر المتنوعة يمكن للداعية المسلم أن ينطلق من فهم صحيح للدعوة، ومن تصور سوي للدين الإسلامي، ومن منطلق شمولي متكامل لمختلف قضايا الحياة الدنيا والآخرة، لنشر دعوة الله بين جمهور المدعوين وسائر المستقبلين للرسالة الدعوية كما أرادها الله أن تكون.

الإمام الداعية النموذجي

انطلق أبو البشرية سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الله تعالى وإلى شريعته الإسلامية الغراء، منذ أن وطئت أقدامه الأرض، وبعد أن تلقى من ربه كلمات فتاب عليه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) (البقرة: ٣٧)، ومن بعده أبناؤه وأحفاده، ثم الذين يلونهم من الأنبياء والمرسلين، الذين أرسلهم المولى تبارك وتعالى لهداية البشرية الضالة، فكان الداعي المجدد لشريعة الله والمتم لرسالته الإسلامية الخالدة رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.(١٨)

وعليه فإن الدعاة الأوائل هم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، ودعوة الناس إلى رسالته الخالدة وإلى شريعته السامية هي وظيفتهم ومهمتهم الدعوية، التي وصفها تعالى بقوله: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (النحل: ٣٦)، ثم يأتي من بعدهم تابعيهم من الحواريين والصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من الفقهاء والعلماء والأئمة والخطباء والمعلمين..(١٩)

حقيقة الإمام الداعية

وتأسيسا على دعوة الأنبياء والمرسلين، ثم الذين يلونهم، فإن الداعية المسلم اصطلاحا، هو: الإنسان المؤهل روحيا، ووجدانيا، وعقليا، وجسديا للاضطلاع بمهمة التبليغ والدعوة لرسالة الله تعالى إلى الأفراد والمجتمعات والأمم، بقصد حملهم طواعية على اتباع تعاليم الإسلام، والعمل على ما جاءت به الرسالة من: عقائد، وتصورات، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، وآداب.(٢٠)

■ **يتبع في العدد اللاحق**

الهوامش

(١) انظر على سبيل المثال: ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، ١٤٠٤هـ، ج ٣، ص ٤٩٤.. كتاب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للملوك الآفاق، وغيره من كتب السير كالسيرة الحلبية وسيرة ابن هشام، وكذلك كتب الصحاح والسنن والمسانيد والطبقات والرجال والأعلام.

(٢) يجب التنبيه هنا إلى مسألة شروط صحة الإمامة، ومن هو الشخص الأحق بالإمامة من غيره وصفاته وأخلاقه وعدته.. بأنها من صميم المسائل الفقهية التي تناولتها المذاهب الفقهية، وهي من المعلومات بداهة بالنسبة للمشتغلين بهذه المهمة الدينية، وللمزيد يمكن مراجعة: وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ج ٢، ص ١٧٢.. ٢٠٦.

(٣) توصلنا إلى هذه القراءة الشمولية للدعوة وللعملية الدعوية من خلال بلورة الكثير من المطروحات العلمية في مجال الدعوة إلى الله تعالى التي نظر وقعد فيها العلماء والفقهاء والدعاة الإسلاميون المحدثون والمعاصرون أمثال الشيوخ المذكورين آنفا.

. انظر: محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ص ٢٥.. ٣٣. وعبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، دار قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٩م، ص ٣٠٧.. ٣٢٤.

(٤) آثرنا استعمال مصطلح ركن. ونحن ندرس العملية الدعوية، قياسا على أركان الحج الأربعة الرئيسة التي يجب توافرها وإتيانها، التي يكون بها الحج صحيحا، وبنسيان ركن منها يبطل، وهكذا العملية الدعوية يجب أن تتوافر فيها هذه الأركان الرئيسة، فبها تصلح وتكون وبنسيان أو إسقاط ركن منها تفسد العملية كلها.

. انظر: محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ص ١٨٧.. ١٨٠ و١٨٣..

(٥) جاء ترتيب هذه المستويات تيسيرا للعرض المنهجي فقط، حيث إن مستوى التقوى والإخلاص المرتب في المرتبة الثالثة لا يعني أنه يقل أهمية عن المستويين الأولين، هذا إن لم يكن أولهما، فالمسألة من باب العرض المنهجي، ولكل مستوى رئيس من هذه المستويات مجموعة من العمليات الجزئية، التي تتضمن أيضا أركان رئيسة في العملية الدعوية: (الداعية، الدعوة ومناهجها، تقنياتها وسائلها وأساليبها، المدعوين).

. انظر: محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ص ٢٤.. ٥٩. وانظر أيضا: محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص ١٣٩.. ١٦١.

(٦) عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ١٤١٠هـ ١٩٩١م، ص٥٩..

(٧) انظر: محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص١١٩.. ١٣١.

(٨) انظر: عبد الله شحاته، الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٣٣.. ٣٨.

(٩) سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، ص ٣٧.. ٤٥ و٥٥.. ٦٢.

(١٠) محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص ٢١٩.. ٢٤٩.

(١١) المرجع السابق نفسه، ص ١٦٦.. ٢١٨. وانظر أيضا سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ١٥.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٥.. ٢٤٧.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٧٣.. ١١٠.

(١٤) علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، ص ١١٧.. وانظر أيضا: جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، دار الصديقية للنشر، الجزائر، دون طبعة وتاريخ، ص ١٣.. ٣٤.

(١٥) جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، ص ١٦.

(١٦) جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، ص ٨٦.. ٩٥.

(١٧) محمد الغزالي، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، دار الهدى، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص ١٣٧.. ١٤١.

(١٨) سميح عاطف الزين، صفات الداعية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، من دون طبعة وتاريخ، ص ١٥٩ و٢١٦.

(١٩) المرجع نفسه، ص ١٨٨.

(٢٠) توصلنا إلى هذا التعريف من خلال قراءتنا لتعاريف علماء الإسلام فيه.

الغلو في الدين وأثره السلبي على حياة الفرد والمجتمع ٢/١

تناولت الحلقة الأولى من هذا البحث مفهوم مصطلح الغلو والأسباب الموقعة فيه والمتمثلة في ضيق افق التفكير الديني وسوء التأويل وقلة الفقه بالتنزيل وضعف الفهم لفقه التغيير، وفي هذه الحلقة نستكمل الأسباب الأخرى الموقعة في الغلو ومنها العدول عن الرخصة وعدم الأخذ بالمباحات والاشتغال بالمهم مع ترك الأهم،والأخذ بالفروع وترك الأصول.

بقلم الدكتور أبو يحيى أحمد العمراني أستاذ الفقه والتفسير في جامعة شعيب الدكالي - الجديدة - المغرب.

ليحصل التغيير المطلوب لابد من أن تتوافر في المغيِّر شروط وآداب وهي:

إذا كان تغيير المنكر عبادة يتقرب بها إلى الله فإنه يشترك مع بقية العبادات في بعض الفرائض،

- أن يكون القائم بالتغيير مكلفاً، وأساس التكليف العقل والبلوغ،

- أن يكون مسلماً.

- ولا يشترط مع الإسلام العدالة، فكل مسلم يجب عليه تغيير المنكر على الوجه الذي هو أهل له وليس بلازم أن يكون غير مرتكب للمنكرات، قال مالك عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لايكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال مالك: وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء» ٥٣٠.

والأصل الاشتغال بتغيير منكر النفس قبل تغييره عند الآخر، فيروى عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال: يابن عباس: إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال: وماهي؟ قال: في الآية ٤٤ من سورة البقرة: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أحكمت هذه ؟قال: لا، قال: فالحرف الثاني؟ قال: تعالى في سورة الصف الآيتين ٢-٣ (لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون) أحكمت هذه قال: لا ، قال: فالحرف الثالث، قال : قول العبد الصالح شعيب عليه السلام«وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) هود - ٨٨ أحكمت هذه؟ قال: لا ، قال: فأبدأ بنفسك» ٥٣٠.

ومثل هذا أيضا قوله صلى الله عليه وسلم«يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون أي فلان، ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» ٥٤٠.

- شرط إذن الولي الأعلى او من ينيبه لمن يقوم بتغيير المنكر.

إذ إن المسلمين اليوم يعيشون عصر المؤسسات وعصر التخصصات، فلا يعقل أن نستعين إلا بكهربائي لإصلاح عطل كهربائي، وإلى ميكانيكي لإصلاح عطب ميكانيكي، وفي المجال الديني والدعوي والإصلاحي يقوم كل من هب ودب للدعوة والتغيير، فلابد - وأمة الاسلام اليوم تعيش عصر المؤسسات وعصر الشورى والحرية - أن تستعين بذوي التخصص والخبرة والكفاءة للقيام بما يلزم، إذ كم من عمل قام به غير أهله كان وبالا على صاحبه قبل غيره، كما انه أدى إلى إذية ذلك لغيره.

ومنهج التخصص هنا وضعه رب العزة لعباده مستنبطا من قوله سبحانه: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم

لعلهم يحذرون التوبة -١٢٢- «٥٥».

وطبقه على أرض الواقع رسول البشرية صلى الله عليه وسلم وبينه ووجه إليه، حيث قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشهد في أمر الله عمر وأشهدهم حياء عثمان وأفضلهم علي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل قوم أمين وأمين أمتي أبو عبيدة» «٥٦».

وأخرج مسلم عن نافع بن عبد الحارث أنه لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على أهل الوادي فقال ابن أبزى قال ومن ابن أبزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض قال عمر أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين» «٥٧».

ومن جميل الكلام في هذا قول إمامنا مالك يرحمه الله لما قيل له في العلم واختياره له «إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، رب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد، ونشر العلم من أفضل الأعمال، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه من دون ما أنت فيه، وأرجوا أن يكون كلانا على خير وبر» «٥٨».

٢-٤ -العدول عن الرخصة

تعامل الشارع الحكيم مع البشرية المؤمنة بتشريعاته تعاملاً مبرمجاً لينا، لأنه أعرف بهم وبمشكلاتهم وحاجاتهم وقدراتهم، فقضى العبادات فرض فرائض وسنّ سننا، لكنه أدرج أعذاره الشرعية ضمن كل نقطة من نقاطها رخصاً لمن عجز عن تنفيذها تنفيذاً كاملاً سليماً وكانت له أعذاره الشرعية. ومما روي عنه صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» «٥٩». وعند ابن خزيمة: «كما يحب أن تترك معصيته» «٦٠»، وقال في رواية: «صدقة تصدق بها عليكم الرحمان فاقبلوا صدقته» «٦١». وفي رواية أخرى للطبراني قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه» «٦٢».

- فشريعة الإسلام مبنية على التيسير ورفع الحرج، وهذا لا يظهر إلا بتمرس مع نصوص الشرع، ومطلع حصيف، وهي نصوص مثبوتة في كتب الصحيح ما أحوج أبناءنا للإطلاع عليها حتى لا يقعوا في هذه الآفة الخطيرة. ومنها: قوله تعالى «إن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا» «٦٣». قال مجاهد في تفسيرها: «ولن يغلب عسر يسرين» «٦٤».

- وعن الأزرق بن قيس قال كنا بالأهواز نقاتل الحرورية، فبينا أنا على جرف نهر إذا رجل يصلي، وإذا لجام دابته بيده فجعلت الدابة تنازعه، وجعل يتبعها، قال شعبة هو أبو برزه الأسلمي فجعل رجل من الخوارج يقول اللهم افعل بهذا الشيخ، فلما انصرف الشيخ قال إني سمعت قولكم، وإني غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست غزوات أو سبع غزوات أوثمانيا، وإني أن كنت أن أراجع مع دابتي أحب إلي من أن أدعها ترجع إلى مألفها فيشق علي» «٦٥».

- وفي رواية أخرى عن الأزرق بن قيس قال كنا على شاطئ نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء، فجاء أبو برزة الأسلمي على فرس، فصلى وخلى فرسه، فانطلقت الفرس، فترك صلاته وتبعها حتى أدركها، فأخذها ثم جاء فقضى صلاته، وهينا رجل له رأي، فأقبل يقول انظروا إلى هذا الشيخ ترك صلاته من أجل فرس. فأقبل فقال ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال إن منزلي متراخ فلو صليت وتركت لم آت أهلي إلى الليل. وذكر أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره» «٦٦». ومن الجهل بالرخصة:

أ- إلزام بعض الناس أنفسهم ما لا يلزمهم به الشارع ومن أمثله ذلك:

- ما روته عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «من هذه قلت فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاتها فقال «مه عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا» «٦٧».

- وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال «ما هذا الحبل «قالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» «٦٨».

- وأخرج الطبراني في الكبير عن كهمس الهلالي قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقمت عنده، ثم خرجت عنه، فأتيته بعد حول، فقلت: يارسول الله، أما تعرفني؟ قال: لا، قلت: أنا الذي كنت عندك عام أول، قال: فما غيرك بعدي؟ قال: ما أكلت طعاما بنهار منذ فارقتك، قال: فمن أمرك بتعذيب نفسك؟ صم يوماً من الشهر، قلت: زدني فزادني حتى قال: صم ثلاثة أيام من كل شهر» «٦٩».

مطلوب من الأمة أن تتراحم أثناء الاختلاف، وتسعى الى التقليل منه ما أمكنها من جهد

إلى متى تظل أمة الإسلام تتشبث بالجزئيات وتترك الكليات؟

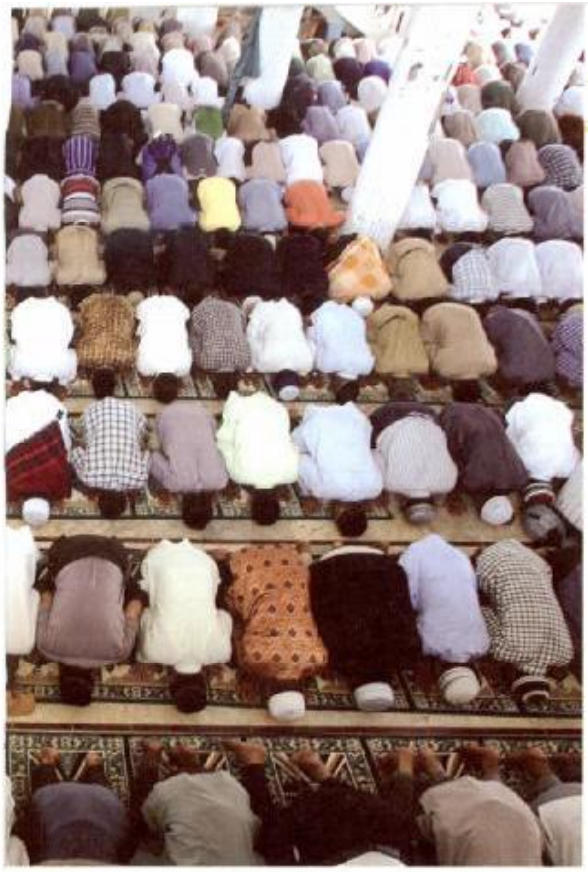

ب- تحريمهم على أنفسهم ما اباحه لهم الشارع: أن يغالوا في بعض الأحكام ويحرموا على أنفسهم ما اباحه الله لهم من طيبات، ومن أمثلة ذلك:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؛ فقلت بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله فشددت، فشدد علي، قلت يا رسول الله، إني أجد قوة. قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه قلت وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام قال نصف الدهر، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله وسلم». ٧٠.

- وفي رواية أحمد بسند صحيح بعض الزيادة وبعض التفصيل. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا. فأقبل علي فعذمني وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت ثم انطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاني فأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقال لي: أتصوم النهار؟ قلت: نعم. قال: وتقوم الليل؟ قلت: نعم. قال: لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني قال: اقرأ القرآن في كل شهر، فقلت: إني أجدني أقوى من ذلك قال: فاقرأه في كل عشرة أيام، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك قال: قال فاقرأه كل ثلاث ثم صم من كل شهر ثلاثة أيام، قلت اني أجدني أقوى من ذلك قال فلم يزل يرفعني حتى قال صم يوما وأفطر يوما، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود، ثم قال: فإن لكل عابد شرة ولكل شرة فترة فإما الى سنة أو الى بدعة. فمن كانت فترته الى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته الى غير ذلك فقد هلك. قال مجاهد: فكان عبدالله بن عمرو حيث ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك يصل بعضها الى بعض، ليتقوى بذلك ثم يفطر بعد ذلك الأيام قال: وكان يقرأ في كل جزء كذلك، يزيد أحيانا وينقص أحيانا، ثم إنه يوفي العدد. إما في سبع وإما في ثلاث، قال: ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي مما عدل به أو عدل، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره». ٧١.

- وزاد النبي الكريم بيانا لأمر التيسير والتوازن المطلوب لدى الإنسان فيما هو واجب عليه من حقوق. حيث روى عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها ما شأنك قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال كل فإني صائم، قال ما أنا بآكل حتى تأكل. فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال نم. فنام، ثم ذهب يقوم فقال نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان قم الآن. قال فصليا فقال له سلمان إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له. فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق سلمان». ص٧٢.

وزاد الأمر تفصيلاً حين أكد أن سنته هي المطلوب، وهديه هو الطريق الصحيح لحياة مريحة، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». ٧٢.

بل إنه صلى الله عليه وسلم ما كان ليرغب في تنفير أمته من هذا الدين ويغضب لكل سلوك يوصل الى هذا الأمر ويرغب في إنهاب أمته وإلزامها ما قد تقدر عليه اليوم ولا تستطيعه غدا:

- حيث روى أبو مسعود أن رجلا قال والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا منه يومئذ ثم قال: «إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة». ٧٤.

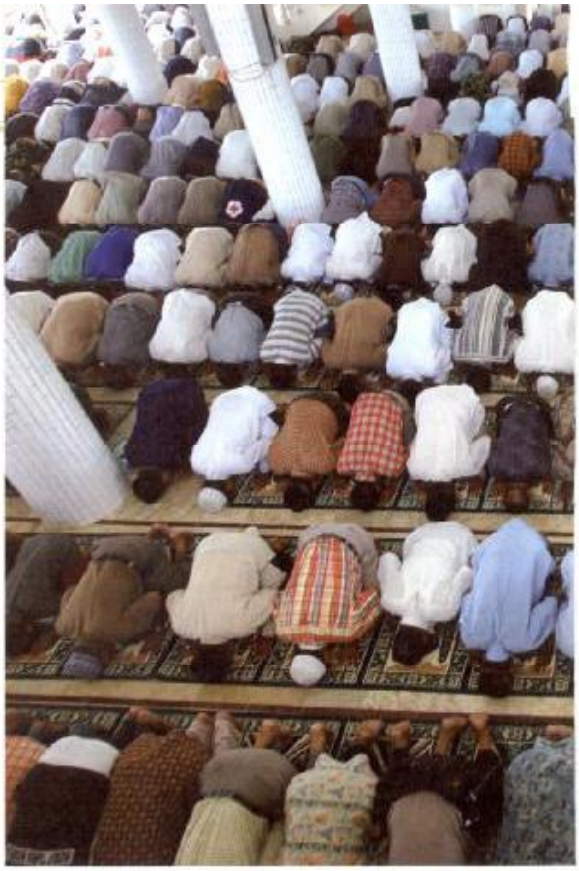

-وعن ابن عباس قال: اعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء حتى رقد الناس واستيقظوا، ورقدوا واستيقظوا، فقام عمر بن الخطاب فقال: الصلاة يا رسول الله. فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماء، واضعا يده على رأسه.

فقال: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها هكذا، فاستثبت عطاء كيف وضع النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه يده كما أباد ابن عباس فبدد لي عطاء بين أصابعه شيئا من تبديد، ثم وضع أطراف أصابعه على قرن الرأس ثم ضمها، يمرها كذلك على الرأس حتى مست إبهامه طرف الأذن مما يلي الوجه على الصدغ، وناحية اللحية، لا يقصر ولا يبطش إلا كذلك وقال لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوا هكذا». [٧٥].

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجل بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد ثم قال أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم، لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها». [٧٦].

- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سرية، ولكن لا أجد حمولة، ولا أجد ما أحملهم عليه، ويشق علي أن يتخلفوا عني، ولو ددت أني قاتلت في سبيل الله فقتلت، ثم أحييت ثم قتلت ثم أحييت». [٧٧].

٢-٥ - الاشتغال بالمهم مع ترك الأهم، أو بالفروع وترك الأصول

يقول ابن تيمية: «ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة، ولا أن يعطى المستحب فوق حقه، فإنه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة أو مستحبة أفضل بكثير، ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يتمنع الرجل من تركها، ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله، بل يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها، بل الواجبات كذلك، ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض المستحبات، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب من دون مصلحة ذلك المستحب».

وقد بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذلك بقوله لـ (عائشة) رضي الله عنها: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية (أو قال بكفر) لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها من الحجر، وفي رواية: «لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة». [٧٨].

وقد احتج البخاري وغيره بهذا الحديث على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعا لنفرتها، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح فقال: يجهر بها إذا كان بالمدينة، قال الماضي: لأن أهلها إذا كانوا يجهرون، فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها، وقال غيره بل لأنهم كانوا لا يقرأونها بحال، فيجهر بها ليعلمهم أنه يقرأ بها، وأن قراءتها سنة. فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، وبهذا يزول الشك والطعن، فإن الاتفاق إذا حصل على جواز الجميع وإجزائه، على أنه داخل في المشروع، فالتنازع في الرجحان لا يضر، كالتنازل في رجحان بعض القراءات، وبعض العبادات». [٧٩].

والدافع لهذا الكلام التنبية الى أمر الخلاف الذي حصل ويحصل في الأمة في أمور أخذت من حجمها أكثر مما يجب وأمور أهملت أكثر مما يجب حتى كادت تنسى. وبالتأكيد لكل صاحب قول مما ذكر حجته وأدلته وتأويلاته للنصوص وتفسيراته لها ليس هذا محل مناقشتها واستعراضها.

وقصدي من كل هذه المحاورة تقديم سؤال كبير ما أحوج الأمة له في زمننا إلى متى تظل أمة الإسلام تتشبث بالجزئيات وتترك الكليات؟ وهذا سؤال لا يلغي الجزئيات ولا يحتقرها، بل يسعى إلى تقديم ما ينبغي تقديمه، وتأخير ما ينبغي تأخيره فقط.

مع العلم أن المتأمل في نصوص الشرع سيجد الكثير من القضايا التي قدمت ويجب تأخيرها وقضايا أخرت ويجب تقديمها، والذي أتمنى حصوله يوما ما هو أن يفقه شبابنا وموجهوهم من علماء الأمة كيف يحسنوا تقديم ما يستحق التقديم ويؤخروا ما يستحق التأخير؛ فيقل الخلاف، ونغير من قدر الله فينا نحو الأئتلاف.

٢-٦ - الجهل بقدر الاختلاف وبوجوب الأئتلاف:

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما نزلت الآية ٦٥- من سورة الأنعام: (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أعوذ بوجهك»، «أو من تحت أرجلكم» قال: «أعوذ بوجهك»، «أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض» قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «هذا أهون أو هذا أيسر». (٨٠). وورد في كتاب

الاعتصام بالفعل» هاتان أهون أو أيسر، أي خصلة الالتباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض.

وقد روى الرمذي من حديث سعد بن أبي وقاص قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الآية «قل هو القادر» إلى آخرها فقال: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» (٨١).

-وعن سعد ابن أبي وقاص أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال (صلى الله عليه وسلم): «سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألت ربي الا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته الا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته الا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» (٨٢).

نصوص لا اعتقد ان احدا من المسلمين يجادل فيها، فالخلاف قدر محتوم والتشيع آفة الأمة، والبأس بين أفرادها وجماعاتها شديد، ولكن ألبس من حل لهذه المعضلة؟

نعم هناك حلٌ وألف حل، فما خلق الله داء الا وخلق له دواء (٨٣).

ولعل الخلاف والفرقة من أكبر الأدواء، فاذا كان الخلاف في الأمة والتشيع والبأس القائم بينهم من قدر الله فيها، وانا اينما ذهبنا وارتحلنا ومهما فعلنا وغيرنا فنحن في قدر الله، فلماذا لا نفر من قدر الله المتمثل في الخلاف الى قدر الله الآخر الذي هو التقليل منه او محوه، او التراحم اثناءه او بعده على الأقل.

وهو ما يبينه الحديث الذي رواه حبر الأمة ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام قال ابن عباس فقال عمر ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بأرض الشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا عني ثم قال ادعوا لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال ارتفعوا عني ثم قال ادعوا لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس اني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال أبو عبيد بن الجراح أفرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة، نعم نفر من قدر الله الى قدر الله، أرايت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال إن عندي في هذا علما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف (٨٤).

فإن لم يفد الدواء في القضاء على الخلاف فبالتأكيد انه سيخفف من الامه وينقص من طغيانه، ولن يكون ذلك الا بالإرادة المبنية على العلم والتعلم وإحسان القصد والنية، ليصل الفرد إلى المبتغى وهو أن الاختلاف امر طبيعي ولكن التراحم اثناءه وبعده أمر ضروري.

وهو ما فهمه السلف الصالح عند تأويل قوله تعالى: (ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) (٨٥) قال عطاء ومقاتل وليمان: «أي للاختلاف خلقهم» (٨٦).

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: «ولرحمته خلقهم»... (٨٧).

فمطلوب من الأمة أن تتراحم أثناء الاختلاف، وتسعى الى التقليل منه ما أمكنها من جهد، وليس من سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع الى الحل الذي قدمه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) لأمته في وقوله «فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجد وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة» (٨٨)، وقوله (صلى الله عليه وسلم)«تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله» (٨٩)، وفي رواية: «كتاب الله وسنتي» (٩٠)، وفي لفظ: «كتاب الله وسنتي» (٩١).

وبالتأكيد ان الاعتصام بحبل الله المنصوص عليه في الآية السابقة «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» والتمسك بالمنصوص عليه في هذه الأحاديث ليعد من الأمور المفيدة والمعينة على التقليل من الخلاف والاختلاف، والميسرة للوصول الى وحدة هذه الأمة المشتتة والممزقة.

وقديما قال الشاعر:

لا تحقرن الرأي وهو موافق
حكم الصواب إذا أتى من ناقص

فالدر وهو أعز شيء يقتني
ما حط قيمته هو أن الغائص

ولكن بالجهل بمثل هذه النصوص الذهبية ماذا يحصل بين افراد الأمة؟

ومن ملامح هذا الجهل ما قد يحصل من تعصب للطائفة في الحق والباطل:

ويتعلق الأمر بتشديس ما تقوله الطائفة كيفما كان هذا الأمر، سواء تعلق بأمور فقهية أو عقدية، تجعله يغالي في اتخاذ موقف من بعض الناس المخالفين له في الرأي أو الموقف، مما قد يدفعه في بعض الأحيان الى الاشتغال بأخطائهم وظلمهم وقدحهم وتبديعهم وتفسيقهم، وربما الى استحلال دمهم لمخالفتهم له، وهذا من الجهل بالاختلاف المشروع وقبول الرأي الآخر الذي جاءت به آداب الشريعة ونصوصها.

- ويحكي لنا ابن العربي قصة وقعت بحضوره وفي زمانه بسبب التكبير عند الركوع وعند الرفع منه فقال: «ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع، وعند رفع الرأس منه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وتفعله الشيعة، فحضر عندي يوما بمجلس ابن الشواء بالثغر موضوع تدريسي عند صلاة الظهر

تعويد الطالب على ألا يطلع إلا على مذهب واحد ربما يكسبه ذلك نفوراً وإنكاراً لكل مذهب غير مذهبه

ودخل المسجد من المحرس المذكور، فتقدم الى الصف الأول وانا في مؤخره قاعدة على طاقات البحر، أتنسم الريح من شدة الحر، ومعه في صف واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده مع نفر من اصحابه ينتظر الصلاة وينتطلع الى مراكب تحت الميناء، فما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه قال ابو ثمنة واصحابه ألا ترون إلى هذا المشرفي كيف دخل مسجدنا؟ فقوموا اليه فاقتلوه وارموا به في البحر، فلا يراكم أحد، فطار قلبي من بين جوانحي، وقلت: سبحان الله ، هذا الطرطوسي ففيه الوقت، فقالوا لي : ولم يرفع يديه؟ فقلت: كذلك كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل، وهو مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه، وجعلت أسكتهم وأسكتهم، حتى فرغ من صلاته، وقمت معه الى المسكن من المحرس، ورأى تغير وجهي ، فأنكره وسألني فأعلمته فضحك، وقال: ومن أين لي ان اقتل على سنة، فقلت له: ولا يحل لك هذا فإنك بين قوم ان قمت بها قاموا عليك، وربما ذهب دمك، فقال: دع هذا الكلام وخذ في غيره، (٩٢)

- وقد نبه الإمام الشاطبي يرحمه الله لهذا الخطر وحذر منه فقال: «ان تعويد الطالب على الا يطلع إلا على مذهب واحد ربما يكسبه ذلك نفوراً وإنكاراً لكل مذهب غير مذهبه ما دام لم يطلع على أدلته، فيورثه ذلك حزازة في الاعتقاد في فضل أئمة أجمع الناس على فضلهم وتقدمهم في الدين، وخيرتهم بمقاصد الشارع وفهم اغراضه» (٩٣)

بهذا الفهم السليم، باتباع هذا المنهج القويم نستطيع ان شاء الله ان نقضي على الغلو والتشدد إذا استطعنا استيعاب هذه الأسباب وثم العمل على تلافيها وتجاوزها، وهذا ليس بالأمر الصعب على شبابنا، وما يملكون من إرادة وعزيمة، وليس صعبا على علمائنا إن أحسنوا التوجيه والإرشاد، وخصوصا انه قد ورد عن النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) قوله: «لا تنال شفاعتي الغالي في الدين ولا الجافي عنه» (٩٤) ■

الهوامش:

٥٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٦٧/١ ، وذكره ابن كثير في تفسيره: ١٤٩/١
٥٣- تفسير ابن كثير: ١، ١٥٠، والدر المنثور للسيوطي: ١٥٨/١
٥٤- صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ١٠ رقم : ٣٢٦٧
٥٥ - سورة التوبة: / ١٢٣
٥٦- صحيح ابن حبان : ٧٥/١٦
٥٧- صحيح مسلم صلاة المسافرين باب ٤٧ رقم : ١٩٣٤
٥٨- التمهيد لابن عبد البر: ١٥٨/٧
٥٩- صحيح ابن حبان ج: ٦٩/٢ رقم: ٣٥٤، وج: ٣٣٣/٨ رقم : ٣٥٦٧، المعجم الكبير : ٨٤/١٠ و ٢٢٣/١١، وصحيح ابن خزيمة : ٧٣/٢/٣٧٨ ، ونقله السيوطي في تفسيره الدر المنثور: ٤٦٦/١/
٦٠- صحيح ابن خزيمة ١٠٣٠/ج ٢٥٩/٣ .
٦١- صحيح مسلم رقم : ١٦٠٥ ، وصحيح ابن ماجه رقم : ١٠٧٤/٨٨٠ ، وصحيح ابي داود رقم : ، ١٠٨٣
٦٢ - المعجم الكبير للطبراني: ١٥٣/٨
٦٣- سورة الشرح
٦٤-صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الشرح رقم: ٤٩
٦٥- صحيح البخاري كتاب العمل في الصلاة رقم : ١٢١١ ، وصحيح ابن خزيمة رقم : ٣١٧ ج: ٤٠/٢
٦٦ - صحيح البخاري كتاب العمل في الصلاة باب ١١ رقم : ١٢١١
٦٧ - صحيح البخاري كتاب التهجد باب ١٨ رقم: ١١٥١
٦٨- صحيح البخاري كتاب التهجد باب ١٨ رقم :١١٥٠
٦٩- المعجم الكبير للطبراني: ١٩، ١٩٤
٧٠- صحيح البخاري كتاب الصوم باب ٥٥ رقم : ١٩٧٥
٧١ - صحيح أحمد رقم : ١٩١/١٨٧/١/٦٤٧
٧٢- صحيح البخاري كتاب الأدب باب ٨٦ رقم: ٦١٣٩
٧٣- صحيح البخاري كتاب النكاح باب ١ رقم: ٥٠٦٣
٧٤- صحيح البخاري كتاب الأذان باب ٦١ رقم: ٧٠٢
٧٥- صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب ٢٤ قرم: ٥٧١
٧٦- صحيح البخاري كتاب الجمعة باب ٢٩ رقم: ٩٢٤
٧٧- صحيح البخاري كتاب الجهاد باب ١١٩ رقم : ٢٩٧٢
٧٨ - صحيح البخاري رقم: ١٥٨٦، و٧٢٤٣، وصحيح مسلم رقم الحديث: ٣٣٠٧
٧٩ - خلاف الأمة لابن تيمية: ١٢٤/١
٨٠ - صحيح البخاري رقم : ٤٦٢٨ ، و ٧٢١٣، وسنن ابن ماجه رقم : ٣٩٥٤
٨١- سنن الترمذي: رقم :٣٠٨٢ ، ومسند أحمد رقم: ١٤٧٠
٨٢- صحيح مسلم كتاب ا لفتن وأشراط الساعة: باب /٥رقم : ٧٤٤٣
٨٣- صحيح البخاري كتاب الطب رقم : ٥٦٧٨
٨٤ - صحيح البخاري كتاب الطب باب ٣٠ رقم الحديث: ٥٧٢٩، وطرفاه في : ٥٧٣٠ و٦٩٧٣
٨٥ - سورة هود :الآية :١١٨- ١١٩
٨٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١١٥/٩
٨٧ -الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١١٥/٩
٨٨- أخرجه ابن ماجه رقم: ٤٢ و ٤٣، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، والترمذي باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع رقم : ٢٥٨٦ ، والدرامي: ١٦/ باب اتباع السنة، ٢٧/١، وابن حبان في صحيحه : ١٧٩/١ ، واحمد في مسندة: ١٧٧٤١، والطبراني في معجمه الكبير : ٢٤٥/ ١٨ و ٢٥٧ .
٨٩ - صحيح مسلم كتاب الحج باب ١٩/ رقم: ٣٠٠٩، وسنن ابن ماجه رقم ٣٠٦٧ .
٩٠- سنن الترمذي رقم: ٣٨٠٣ ، ومسند أحمد: ١١٢٦٨ ، والطبراني في الكبير: ٦٦/٣ و ١٥٣/٥
٩١ - سنن الدار قطني : ٢٤٥/٤
٩٢ - الأحكام لابن العربي : ١٩١٢/٤ ، من تفسير سورة الانشقاق
٩٣ - الموافقات للشاطبي : ٢٧٣/٢ ، طبع منير
٩٤ - مسند الربيع : ٣٧٩/١

السيرة النبوية في دراسات المستشرقين الفرنسيين ٢/٢

بقلم/ د. حسن عزوزي
رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة في فاس

في سياق الحديث عن اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالسيرة النبوية انطلاقا من خلفياتهم الدينية والأيديولوجية تعرضنا في الحلقة السابقة للحديث عن الخلفية النصرانية التي كانت تدفع ببعض المستشرقين الى التحامل على وقائع السيرة النبوية العطرة وفيما يلي استعراض لبعض ملامح الخلفيتين اليهودية والمادية، مع الإشارة في الختام الى معالم الاهتمام بالسيرة النبوية في دراسات المستشرقين الفرنسيين المعتدلين.

الخلفية اليهودية

لم يتخلص المستشرقون الفرنسيون اليهود من خلفياتهم الدينية واصولهم اليهودية في دراسة وقائع السيرة النبوية فمن تأكيدهم على الأصل التوراتي للقرآن الى الادعاء بأخذ الرسول ﷺ عن الأحبار، ومن ايراد الشبه والعلاقة بين الإسلام واليهودية في التشريعات (صيام عاشوراء ورد شعائر الحج الى اصول يهودية) الى الزعم بأن الرسول ﷺ كان قاسيا وناقما ضد يهود المدينة ومستأصلا لهم الى غير ذلك من الشبهات والطعون.

ويستند معظم المستشرقين الفرنسيين ذوي النزعة اليهودية في ذلك إلى أن اليهود كانوا موجودين بقوة في الجزيرة العربية كلها، وكانت كتاباتهم المقدسة معروفة، سواء أكان ذلك التوراة أم التلمود أو المشنا (من شروح التوراة والتلمود).

يقول هنري ماسيه: «إن مما لا ريب فيه ان التأثير اليهودي يبدو أكثر وضوحا من التأثير المسيحي وقد حاول محمد ﷺ ان يستميل اليهود حيث رودنه علاقاته بهم بمعلومات عن العهد القديم (التوراة)، ويوجد فعلا انعكاس لهذه المحادثات في أجزاء القرآن التي يعود تاريخها الى ذلك الوقت حيث تبدو المهارة بإضافة إبراهيم إلى الإسلام» (١).

ويدعي المستشرق الفرنسي «إدوارد مونتيه» صاحب ترجمة معاني القرآن الكريم المعروفة في كتاب له عن «محمد ﷺ والقرآن» بشرية القرآن واستحالة ان يكون من عند الله تعالى ثم يشير الى ان النص القرآني قد تعمق في الإلهام اليهودي أكثر من الإلهام المسيحي ويرد ذلك الى الأصل المشترك لليهود والعرب أي الساميّة.

وقد أفاض «مونتيه» في تحليل علاقات الرسول ﷺ باليهود في الجزيرة العربية وعندما وجدها تنتهي بالقطعية فسر ذلك بالكثير من الأسباب من أهمها الزعم بمحاولة إجبارهم على اعتناق الإسلام. الأمر الذي رفضه اليهود وتصدوا له مما دفع بالرسول ﷺ إلى استئصالهم والقضاء عليهم مخافة ان يصبحوا مصدراً للقلاقل (٢). أما ما جبل عليه يهود المدينة من نقض للعهود وتكذيب للرسالات، وما أشربوا في قلوبهم من حقد على الإسلام ورسوله الكريم، فهذه حقائق لا يشير اليها «مونتيه» أو غيره من المستشرقين.

الاتجاه المادي

ينهج المستشرقون الفرنسيون ذوو الاتجاه الإلحادي المادي في دراستهم لحياة الرسول ﷺ منهجا إسقاطيا مدمرا لأسس الثقة في معطيات السيرة النبوية.

إنهم يريدون إسقاط الوقائع المادية المحسوسة على الوقائع التاريخية والدينية ذات الصلة بالوحي الإلهي والغيبيات فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة.

فالغزوات والفتوحات تفسر بتفسيرات تخلط بين الدوافع الاقتصادية والدوافع الدينية وهي تفسيرات ساذجة إلى حد كبير، وقد يتوصل أحيانا إلى نتائج مفادها ان المشكلات التي استطاعت ان تحلها الغزوات والفتوحات كانت مشكلات اقتصادية اجتماعية وليست مشكلات دينية، أما نجاح الدعوة الإسلامية فكانت تشكل - في زعمهم - إجابة لحاجات المجتمع المدني في ذلك الوقت، وأن النبي محمدا ﷺ استطاع أن يقف على هذه الحاجات التي كانت في أساسها حاجات اقتصادية، لهذا كتب لدعوته النجاح.

وهذه الادعاءات جميعها ليس لها أي نصيب من الصحة ولا نصمد أمام النقد العلمي الموضوعي.

إن أبحاث المستشرقين الفرنسيين الماديين أمثال مكسيم رودنسون (٣) مرفوضة لأنها مبنية على أساس ومنهج مرفوضين لا يمكن تطبيقهما على مجال علمي كمجال السيرة النبوية تمتد أصولها إلى عالم الغيب وترتبط أسبابها بالسماء ويكون فيها (الوحي الإلهي) همزة وصل مباشرة بين الله تعالى ورسوله ﷺ.

ولتقديم نماذج من الفهم المادي لوقائع السيرة النبوية من طرق المستشرقين الفرنسيين نقتصر على بعض ما جاء في كتاب «محمد» ﷺ للمستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» المشاركسي النزعة الذي يفتخر بتوظيفه للمنهج المادي في دراسة الإسلام.

يقول «رودنسون» في حوار أجري معه: «إن الكثير من كتب المستشرقين حول حياة «محمد» قد قومت شخصية الرسول بشكل إيجابي، وفيها الكثير من التمجيد له، ولكنها بالطبع ليست بكتب دينية لأنها كتبت من قبل مستشرقين غربيين، وفي كتابي حول حياة محمد يوجد الشيء نفسه، فإنني معجب بعظمة هذا الرجل وعبقريته، لكنني عندما ادرسه ادرس حياته وفق منظور تحليلي مادي أعتبره المنظور الصالب الذي يمكن عبره فهم حياة الرسول عليه والصلاة والسلام ودوره التاريخي المهم أو إنسانية الرسالة التي أتى بها، لكن هذا المنظور لا

● الروضة النبوية

المستشرقون الفرنسيون ذوو الاتجاه الإلحادي المادي نهجوا في دراستهم لحياة الرسول ﷺ منهجاً إسقاطيا مدمراً لأسس الثقة في معطيات السيرة النبوية.

يروق بالطبع للمسلمين المتدينين لانه ليس دينيا ومقدسا بل هو مادي» (٤).

وبالرغم من اعتراف «رودنسون» بان القران يعتبر المصدر الأكثر «موثوقية» من بين باقي المصادر التي يشك في صحتها ومن بينها المرويات الحديثة الا أنه يعتبر اشارات القران الكريم لا تقدم معطيات كاملة وتامة.

فعندما يأخذ «رودنسون» غزوة بدر يحاول فهم موقعها ضمن سلسلة الأسباب والمسببات، ولكن هل يعتبر الملائكة الذين اشتركوا في بدر وكانوا مددا للمسلمين عنصرا من عناصر الواقعة ام لا؟ إن مما لاشك فيه أن المنهج المادي الذي يوظفه «رودنسون» في كل فصول كتابه عن حياة محمد ﷺ لا يقيم وزنا لمسألة إرسال الله تعالى للملائكة ليكونوا عونا ومددا للمسلمين، وهو يرى أن اعتقاد الفكر الديني (هكذا) بهذا الاشتراك يضفي على الواقعة التاريخية بعدا أسطوريا ويجعلها تتحول من حدث تاريخي واقعي الى حدث أسطوري .

ثم إن السؤال عن كيفية تحول الحدث التاريخي الى حدث أسطوري - حسب زعم «رودنسون» - لا يقتصر على واقعة بعينها كغزوة «بدر» او حدث «الإسراء والمعراج» بل يعمم ليشمل كل وقائع السيرة النبوية ذات الصلة بالغيب والوحي، وهذه المسألة لا تخفى «على رودنسون» الذي يكاد يخصص لبحث الشخصية «المحمدية» في علاقتها بالمعطى الغيبي كل الفصل السابع من كتابه (٥).

ان المتصفح لكتاب «محمد» لـ «مكسيم رودنسون» يبدو له أن كلام المؤلف عن النبي محمد ﷺ هو كلام عن نبي اخر، يلملم اجزاء شخصيته ويركب عناصر الوضع الاجتماعي الذي انفعل به بشيء كثير من الهوى ثم يخلص الى نتائج واستنتاجات غريبة تختلف في كثير من الأحيان عن تلك التي يصدرها المستشرقون النصارى.

الاهتمام بالسيرة النبوية في دراسات المستشرقين الفرنسيين المعتدلين

يرتبط هذا البحث في منطلقه من مسألة ذات طابع منهجي تخص تعاملنا - نحن الباحثين المسلمين مع معطيات الفكر الاستشراقي، فبعضهم قد يرى أن اعتماد عدد من الشهادات «الإيجابية» الى حد ما لهذا المستشرق أو ذاك، عن جانب ما من جوانب الإسلام يعني تزكية له وإقراراً بانصافه وموضوعيته، وهذا غير صحيح. فالمستشرق كيفما كان لابد أن تتضمن ابحاثه ودراساته شبهات وطعونا في حق الإسلام ورسالته، بيد أن الأمر يتفاوت بين هذه الفئة وتلك، والمستشرقون اصناف ودرجات، ونحن هنا إنما نقصد بالمستشرقين الفرنسيين المعتدلين أولئك الذين لم تطغ طعونهم وافتراءاتهم على شهاداتهم الإيجابية والذين يحس القارئ لكتبهم وكأنهم حريصون - الى حد ما - على عدم التطرف والمغالاة في تحريف الوقائع والتشكيك في المعطيات الصحيحة وانكار المسلمات والبداهات التي تفرضها قوة الحجة والبرهان.

إن الاعتدال وابتغاء الموضوعية ميزتان تميزان هذه الأعمال، وهي على قلتها تعبر عن مواقف ايجابية تجاه سيرة الرسول ﷺ يجدر التنبية اليها والإشادة الإيجابية بحق الإسلام، او جانب من جوانبه، من قبل هذا المستشرق أو ذاك يقابله في الوقت نفسه وكام من شهادات أخرى سلبية تقف موقفا مضاداً من الإسلام، لكن هذا لا يمنع من اعتبار الشهادات الأولى بمثابة اعتراف (حر) بهذه القيمة او تلك من قيم الإسلام التي تدفع بالغربيين الى إعلان رأيهم ذاك دونما أي نوع من انواع الاضطرار او القسر» (٦).

ينبغي أن لا نبخس الاستشراق الفرنسي حقه جملة وتفصيلا فندعي انه في معظمه كان يسير في اتجاه عدواني صرف، فهناك مستشرقون فرنسيون ذوو نيات حسنة ولهم اطلاع كبير ومباشر على تراثنا وثقافتنا بالرغم من وقوعهم في اخطاء جسيمة احيانا، لذلك فانهم ليسوا جميعا على قدر واحد من النجني والافتئات فالذين ينصفون الرسول ﷺ مرة ويسيئون اليه أخرى عن سوء نية او سوء فهم يمكن عدهم من المعتدلين إذ يمثلون الطرف الوسط بين المعتصبين والمنصفين.

لكن بالمقابل ينبغي لدارس السيرة النبوية أن لا يغتر بعبارات الثناء والمدح التي يصدرها بعض المستشرقين في حق الرسول ﷺ بل يجب النظر الى مجمل دراساتهم وتحليلها ونقدها والحكم عليها، إذ اضحى معروفا ان عبارات التمجيد والإشادة من طرف المستشرقين المعاصرين يقصد بها في معظم الأحيان خلق جو من الثقة والاطمئنان إلى نزاهتهم. لذلك يمكن القول: ان من غلبت مواقفه الإيجابية على غيرها اعتبر - الى حد ما - معتدلاً ومنصفاً ولعل ابرز المستشرقين الفرنسيين المعتدلين الذين تميزت دراساتهم في السيرة النبوية عن غيرها:

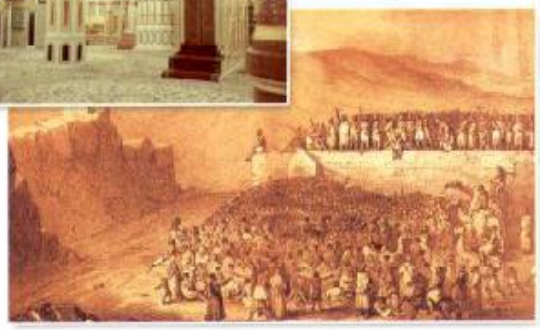

● من رسوم المستشرقين حول العالم الإسلامي

- اميل درمنغهم في كتابه «حياة محمد» وقد أشاد الأمير شكيب ارسلان بالكتاب الذي ترجمه «عادل زعيتر».

- «رجيس بلاشير» في كتابه «معضلة محمد» (٧) الذي يعتبر من أجود دراسات المستشرقين الفرنسيين بسبب اعتماده على المصادر الإسلامية الأصيلة ونقده للدراسات الاستشراقية السابقة فضلا عن محافظته على التسلسل الزمني السليم في سرد الوقائع والمعطيات. لكن بالرغم من ذلك هناك أخطاء كثيرة منها تحريف بعض الوقائع او التشكيك فيها وتفسير الأحداث بأسلوب الإسقاط مع الاضطراب في بناء النتائج والأحكام.

«روجيه ارنالديز» في كتابه «محمد» وقد قسمه الى قسمين، تناول في أولهما حوادث السيرة مختصرة حسب التسلسل الزمني وفي الثاني أورد نصوصا مختارة من الحديث النبوي حول وقائع السيرة النبوية.

هوامش:

1-Henri Massé: l'Islam, 3eme ed, librairie Paris 1940 25.

2- E.Montet: Mohomet et le Coran, Paris - p29.

3- Maxime Rodinson: Mahomet,ed seuil-Paris 1961

4- في حوار معه في مجلة رسالة الجهاد الليبية ن العدد 70 (أكتوبر 1988) ص 54.

5-Opcitp 331.

6- د. عماد الدين خليل: قالوا عن الإسلام: مؤسسة الرسالة 1999 المقدمة.

7- le problème de Mahomet وللمؤلف كتاب آخر في الموضوع يحمل عنوان في خطا محمد Sur les pas de Mahomet.

منهجيات الإصلاح والتجديد الإسلامي ٢/١

بقلم/شاكر عبدالقادر عبدالمقصود
باحث وكاتب مصري

إن الأبنية الاستراتيجية الحركية هي فعاليات ومنطلقات للثقة الداخلية ومحكات للحكم من الداخل (في إطار الانتماء العقدي الفعلي) على مسار ما بالنجاح أو الفشل وهو ما يعني في جوهره عملياً الحكم بالاقتراب أو البعد عن البناء التصوري الذي يمثل جوهر العقيدة وغايتها المعيارية فلا يكفي الادعاء والقول الذي يكذبه السلوك والفعل والحكم على السلوك والاتجاهات الحركية الفعلية للسياسات والممارسات المختلفة هو المقياس الحقيقي. فالإسلام لا يكون انتماء وفلسفة وجود وحياة بأن يصبح مجرد إشارة في دستور دولة ما في حين أن كل الممارسات تهمش الإسلام وتتجاهله بل تقصية من حياة الناس بالفعل على أننا يجب أن ندرك بداهة بوجود مساحة دائمة لا مفر منها بين النظرية والتطبيق أو بين الواقع والمثال وهذه المساحة تمثل في جوهرها صمام أمان ومساحة للتسامح مع الذات والآخرين عادة ما تأخذ شكل التغاضي الناشئ عن الثقة في حال المد الحضاري او في حالات الإخفاق والتراجع الحضاري ويعتبر مصدراً للتوتر وجلد الذات وكنتيجة للشعور الداخلي العميق بالفجوة المركبة بين الواقع والمثال من جهة والشعور بالصالة الناجم من الإخفاق والفشل من جهة اخرى وهذه الفجوة هي بؤرة وجوهر السلوك المتشدد والسلوك المتساهل كلاهما بحسب المنظور الذاتي للتقدم والتراجع (أو كون طرح قضية من القضايا مهمة أو مؤثرة أو انها غير ذلك) وبصفة عامة فكل تطرف يبدأ من نقطة مشتركة تمثل مرتكزا او حداً وسيطا بين اتجاهين متضادين سواء بشكل انسحابي أو بشكل اندفاعي متهور وتتوقف كفاءة وإمكانات الوصول إلى نقطة اتزان دينامي تمثل جوهر الاستجابة الوسطية المعتدلة كسلوكات فاعلة على أرض الواقع محتكمة الى إدراك استراتيجي على هذه المعادلة:

فقه الواقع - فقه الدور - فقه الأوليات (التدرج) - فقه الإمكانية

حيث نقصد بفقه الممكن عملية التكييف أو المواءمة مع الظروف الحياتية المختلفة اجتماعياً وثقافياً وحضارياً الخ... سواء كان ذلك على المستويات الفردية الخاصة أو الكلية العامة وبصفة عامه تعتمد الكفاءة الحركية القدرة على الوصول الى الممكنات التي تصبح بدورها مقاييس فاعلة في التقديم والحكم النهائي سواء بالنجاح أو الفشل.

وحصاد الإخفاق والفشل عادة ما يكون التطرف سواء الفكري منه أو الشعوري أو السلوكي وهذا هو جوهر الأزمات الإنسانية للمسلم المعاصر بكل مستوياته الوجودية وفي مختلف البنات الاجتماعية والثقافية والحضارية بل هو جوهر أزمة الإنسان المعاصر بصفة عامة.

استجابات مضطربة نتيجة تتابع الاخفاقات سواء إخفاقات المعنى على المستوى الفكري أو إخفاقات الخواء النفسي على المستوى الشعوري أو إخفاقات التواصل والفعل على المستوى السلوكي، وهو ما يجعلنا نسعى للتساؤل والبحث عن الكيفيات التي يمكن تدارك أو دفع الإخفاقات المختلفة بها على انه يجب علينا بدءا إدراك كون الإخفاق الناجم عن خلل تقديري بين الإمكانات التصورية والإمكانات الفعلية أو الحقيقية وهو ما يعني أن النجاح (الاقتراب من الواقع) يعتمد على الصدق والوضوح مع النفس في التقدير والتقويم والتحليل لمعطيات المعادلة السابقة وبحث أبعادها المختلفة (وما نود التأكيد عليه أن الشروط السالفة تنطبق على الحياة الخاصة بالفرد عينه الذي تنطبق فيه على الحياة العامة. وهو ما يعني أنها فلسفة أو نهج اسلامي للحياة ذاتها).

فقه الواقع: يتبنى فقه الواقع على إدراك حيوي ودينامي للمتغيرات لأن الواقع متغير بطبيعته سواء كان متغيراً زمانياً أو مكانياً فواقع اليوم ليس كواقع الأمس أو الغد أو واقع العهد الأول للدعوة الإسلامية لأن هناك اختلافا في البيئات الثقافية والفكرية وهي مختلفة على امتداد العالم الإسلامي ومن ثم نجد متغيراً بنائياً حيث إن واقع الأقليات الإسلامية يختلف بشكل شبه كلي عن واقع المسلمين داخل الدول الإسلامية هذا فضلا عن مستويات الإدراك والمحددات الأخرى مثل الواقع الخاص ببيئة أو مجتمع محلي أو فئة معينه إلخ... وهكذا يمكننا إدراك الكثير من المتغيرات التي تندرج في كليتها تحت مسمى

الاقتراب من الواقع يعني إدراك الإخفاق الناجم عن خلل تقديري بين الإمكانات التصورية والأمكانات الفعلية

فقه الواقع وجميعها في جوهرها تعكس «نسبوية» الواقع وحركيته. فالواقع في جوهره نسبي باعتباره متغيراً دائما و«النسبوية» في جوهرها تشمل كل ما يمكن أن يقال عن الواقع باعتباره متغيرا فهناك «نسبوية» داخلية و«نسبوية» خارجية و«نسبوية» عامة (محلية) وأخرى خاصة جزئية وهكذا.

أما فقه الدور: فشيء مختلف، فهو وإن كان أكثر ثباتاً وأقل «حراكية» فإنه لا يقل تعقيدا وتراكباً وتداخلا أيضاً وفي إطار مفهوم يستند في جوهره لبناء عقدي يبنى على أمور كلية تمثل مرتكزات وثوابت عقديه وأمور جزئية أقل أصولية وأكثر «حراكية» على أن هذا المسمى الكلي لفقه الدور يمكن تجزئته لمستويين متلازمين:

(أ) الدور الكلي (الأكبر) أو الدور الوجودي: وهو الذي ينبع مباشرة من البناء العقدي ويمكن تجزئته كذلك ليشمل ثلاثة مرتكزات أو مستويات يحددها الدور الوجودي للإنسان الذي جعل الله سبحانه وتعالى منه العلة والسبب في وجود الإنسان وفق ثلاثة مستويات ورؤى متباينة ومتدرجة.

(١) العبادة (الدور الأكبر، العام، أو العلة الأولى) «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات ٥٦).

(٢) الاستخلاف (الدور الخاص أو العلة الثانية)، «وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة (البقرة ٣٠).

(٣) الاستعمار (الدور الجزئي، الحضاري، أو العلة الثالثة) «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» (هود ٦١).

وهو ذات الترتيب عينه الذي يعكس بنائية الثوابت الكلية والجزئية وعلاقتها بعضها ببعض (ب) الدور الجزئي (الأصغر) أو الدور الاجتماعي: الدور الاجتماعي أقل تحديداً وأكثر «نسبية» وهو في جانب منه يخص الأدوار الاجتماعية الخاصة بالجنس أو السن أو الوضع الاجتماعي في قاعدة أو قمة التنظيم المجتمعي والدور الاجتماعي له جانب شرعي وتشريعي محدد من خلال العقيدة وتصوراتها الكلية وجانب آخر عرفي اتفاقي تحدده ثقافة المجتمع ومعاييره بما لا يخالف الشريعة ولا يناقض أحد المقاصد التي تنوخاه، ويقوم الدور الاجتماعي في التصور الإسلامي على اسس عدة لعل أهمها مفهوم الرعاية والتلازم والمسؤولية المزدوجة لتقابل الحق الواجب وهو ما يشير اليه المعنى المعبر في الحديث النبوي الشريف «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

- فماذا عن فقه الأوليات؟!

حقيقة الأمر أن فقه الأوليات قضية شائكة وفي حاجة الى دراسة مستوفاة من قبل علماء ومتخصصين فمن جهة، هل الأوليات العبادية تأخذ ترتيباً داخلياً بأهمية «نسبية» كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه حين أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن أم أن الأهمية «النسبية» تتوقف على دور العبادة أو الشريعة بحيث تقدم عبادات معينة في حالات معينة كنسبة مشروطة كتقديم (الزواج على الحج للشباب أو عدم التقيد في حال عدم حال الاستطاعة أو هل تتساوى الأهمية النسبية للعبادات الكلية لمجرد فرضها ولا مجال للمجادلة هنا أو التدرج واذ ذاك فما معنى فقه التعسير، وهل تتساوى الفرضيات في حال وجود الأقليات الإسلامية والدول الإسلامية ذات السيادة؟! وكيف يمكننا تجنب المداخلة الشائكة التي تسعى لجعل مفهوم التيسير والأوليات مدخلاً ذرائعياً وبداية حركة تقليم وإقصاء نفسي وفكري منظمين، وفي ضوء ذلك هل تفضل أحد علمائنا الفضلاء بايضاح دلالة ما يلي من المرويات:

- يأتي زمان على أمتي لو فعلوا عشر ما أنتم عليه لنجوا ولو تركتم عشر ما أمرتكم به لهلكتم

- خير القرون قرني ثم الذي يليه

- سوف تنحل عرى هذا الدين عروة عروة

- إن هذا الدين شديد فأوغلوا فيه برفق ..... إلى اخر تلك المرويات

- على أنني أعتقد والله أعلى وأعلم أن الحد الأدنى وفقاً لتصور عملي هو تحقيق السيادة الفعلية الحقيقية سواء على مستوى الدولة أو الأمة بحيث تضمن عدم التدخل في شؤونها الداخلية بما يصون سلامتها واستقرارها. وهو المفهوم الشامل للأمن بمعناه الواسع وهو الأمر المتطور عينه على المستوى الخاص الفردي بحيث يمتد مفهوم الأمن للآخرة، فالأمن للفرد هو سلامة في الدنيا ونجاة في الآخرة وإلا لأصبح ندامة، وعلى أساس من هذا التلازم والتواصل والتداخل أيضاً بين الدنيا والآخرة ووفقاً لحدود القدرة أو الاستطاعة يكون مفهوم التدرج أو ترتيب الأوليات .... ●

فقه الأوليات قضية تحتاج إلى دراسة مستوفاة من قبل علماء ومتخصصين

نظرة جديدة ومتأنية عن الحوار بين الحضارات من خلال كتاب:

الحوار... آدابه وأهدافه

عرض وتعليق:
د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي - مصر

العالم كله ينشغل بالحوار، ولم لا ..؟ فالحوار بين الحضارات هو عنوان العصر وطريق الأمم المتحضرة نحو التعاون والمستقبل، وقد نظمت الكثير من الجهات في السعودية (مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض) وفي الكويت وفي القاهرة، الكثير من الندوات والمؤتمرات، وأسفرت هذه الندوات عن توصيات مهمة أهمها إنشاء لجنة دائمة للحوار مع الشعوب والديانات الأخرى وغيرها من التوصيات المهمة التي دخلت حيز التنفيذ بنشاط العرب وتواصلهم مع أحداث العالم المعاصر.

وتضمنت بحوث هذه الندوات مختلف الموضوعات المتعلقة بالحوار بين الحضارات، واتسمت هذه البحوث بالدقة والعمق العلمي والمد الحضاري والبعد عن الأفق الضيق مع توضيح البعد الإسلامي الكامل للحوار مع الآخر من أجل سعادة وتقدم البشرية، وللاستفادة من المعطيات الحضارية من خلال التعاون والتبادل وغيرها من الأسباب التي تصل بالإنسانية الى السلام والنمو والرخاء.

وعقب هذه الندوات الدولية، التي كان لها صدى طيباً وسريعاً في العالم أجمع، بدأت الجهات المختلفة تقيم بعض الندوات والمؤتمرات عن موضوع الحوار بين الحضارات، وبدأت بعض دور النشر العربية تهتم بإصدار الكتب والأبحاث عن موضوع الحوار بين الحضارات لأنه موضوع الساعة ومعالجة الآثار السيئة لفكرة صراع الحضارات.. ومن هنا، كان اهتمامي الكبير بهذا الإصدار الثقافي والفكري المهم، الحوار آدابه وأهدافه للداعية الكبير الشيخ «منصور الرفاعي عبيد» وكيل أول وزارة الأوقاف المصرية الأسبق لشؤون المساجد والقرآن والصادر عن مركز الكتاب للنشر العام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، وهذا الكتاب طيب ومبارك وفيه إضافات متعددة، وفيه جهد علمي متميز ورؤية مستنيرة - من رجل فقيه - عن الجوانب المتعددة للحوار، بل لا أبالغ إذا قلت إن هذا الكتاب يعتبر إضافة قيمة لأبحاث ودراسات الندوة الدولية التي أقامتها المكتبة..

هذا الكتاب يقع في ١٤٤ صفحة من الحجم

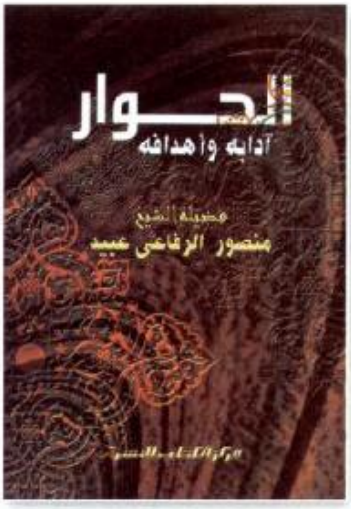

عوامل تنمية القدرة على الحوار تكمن في التدريب على فن الخطابة والتواصل مع الناس

الكبير ويتضمن خمسة فصول بعد المقدمة وقبل الخاتمة. ويبدأه المؤلف بإهداء يدل على هدف الكتاب (الى الباحثين عن الحق والحقيقة .. الى من يريدون نشر الخير وتعميمه .. الى الشباب والمدرسين .. الى الآباء والأمهات .. نقدم هذا العمل لخلق جو صحي نتنفس فيه الهواء النقي ونحل مشكلاتنا بهدوء ونبعد عن أنفسنا التوتر العصبي .. عندما يكون الحوار وسيلتنا الى التفاهم وهدفنا لمعرفة الحقيقة .. أقدم هذا العمل ليكون مرآة صادقة للجميع وأهديه لهم).

وتحت عنوان البداية: كان الفصل الأول الذي يتحدث فيه المؤلف عن تدريب الإنسان على أسلوب الحوار عبر مراحل عدة حياتية مهمة هي التي تصقل مواهبه ليتمرس على الحوار من خلال: الأسرة بصفتها المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل الكلام ومن ثم الحوار، فالأسرة هي المكان الأول الذي يتدرب فيه الطفل على الحوار ولها الدور الأكبر في صنع شخصية الإنسان وعلى الأب والأم أن يهيئا المناخ الاجتماعي المناسب لتعليم الطفل الحوار والتعامل مع الآخرين بحب وتعاضد وندية، ثم يأتي دور الإعلام الذي يبين للناس قوة الحوار وأثره في كيان الفرد والمجتمع من خلال الأفلام والمسلسلات والبرامج، ثم يأتي دور التعليم والمدرسة التي تؤصل منهج الحوار في نفوس الأبناء من حيث هو بين الطلاب وبين الطلاب والمدرسين وبين الطلاب والبيئة المدرسية ومن ثم البيئة الخارجية، ثم يأتي المسجد بدوره المهم للغاية، والذي يؤكد دعوة الإسلام للحوار المتحضر مع الآخر، حوار ليس فيه جدال عقيم ولا تصنع أوتصلب ولا أي شيء يبعد الحوار عن أهدافه السامية بل يرتقي في وجدان المسلم للتعاضد والتعاون في مختلف المجالات من أجل رقي الإنسان ونموه وتقدمه، متخذاً من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الأسلوب الأمثل للحوار مع الآخر، ثم تجيء الثقافة بعامة والكتب بخاصة لترسخ في ذهن القارئ كل ما يتعلق بالحوار من مبادئ وأهداف وأساليب ليرتقي الإنسان بفكره وعمله وممارساته وتعاملاته مع الآخر، فالكتاب وسيلة لنقل المعارف بين الأجيال وبين الشعوب والأمم، ولابد أن يلعب دوراً في تنمية مفاهيم الحوار في نفوس الجميع، ويصل المؤلف في هذا الخصوص إلى أن عوامل تنمية الحوار التي يكتسبها الإنسان منذ نعومة أظفاره تجعله دائما يدير حوارا بينه وبين نفسه، ويؤدي اكتساب المهارات والخبرات من الآخرين الى تعميق الحوار في النفوس، فأدب الحوار أدب مكتسب من خلال التنشئة والمعرفة والعلم والمعلومات ونبذ الاختلافات ومعرفة الاتجاهات والسلوكات والميول والعقيدة.

ويوضح المؤلف أن عوامل تنمية القدرة على الحوار تكمن في التدريب على فن الخطابة والتواصل مع الناس وفن الإلقاء والتحدث إلى الجماهير، وأن يختار المحاور الألفاظ السهلة المباشرة ويبتعد عن الألفاظ الغريبة التي تحتمل التأويل، وأن يكون يقظاً منتبهاً ولا يخرج عن موضوع التحاور، وأن تكون لغة الحوار هي اللغة السائدة بين الجمهور مستشهداً بقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ويتصدى الباحث في الفصل الثاني لموضوع

إذا غابت لغة الحوار ضاع الإيمان من دنيا الناس ودب الخلاف وظهر الاختلاف

مهم ألا وهو: مقومات الحوار، فيعلن أن الحوار هو أفضل طريقة للتفاهم بين الأطراف المتباينة التي تربطهم مصالح مشتركة. ليتمكن كل طرف من فهم سلوك وتصرفات الطرف الآخر حتى يمكن التعاون المشترك والعيش في سلام وأمان واطمئنان، ومن المقومات الأساسية للحوار ما يلي:

- الاحترام المتبادل بين المتحاورين، حتى لا يكون الحوار ساحة للتطاول والصراع وبداية نشوء الأزمات.

- ضرورة الإنصات الكامل لمن يتحدث وإعطاؤه الفرصة الكاملة للتعبير عن رأيه بحرية وصراحة ووضوح.

- نبذ التعصب لرأي أو فكر وإنما يكون الهدف هو البحث عن الحق والتعاون المشترك والبرهان على ذلك.

- عدم الحقد والكراهية بين أطراف الحوار، فالمحاورون جاءوا للتعاون وليس للخلاف والتعصب الأعمى.

- الإنصاف والعدل: من أجل إعطاء المحاورين حقهم من التقدير والاحترام لتجاوز الآثار النفسية لما سبق من معاملات وعداء.

- المعرفة التامة لأهداف الحوار من: تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين، وتبادل الأفكار والمعارف والأنماط والعلوم بين الجميع، واعتبار الحوار أداة لنقل التراث الثقافي بين الأمم والشعوب بصفته تراثاً عالمياً، ونقل التجارب بين بيئة وأخرى، وتحقيق الخير والصلاح للجميع، وتنمية العلاقات الإنسانية والمعرفية والعلمية والتقنية بين الأمم والشعوب، وحفز المواهب للابتكار بروح المنافسة الشريفة ليكون من وراء ذلك تحسين ظروف الحياة والتفاعل لإثراء الحياة وتنشيط العقول والتفاعل الحضاري.

وعن أسلوب الحوار يذكر المؤلف في الفصل الثالث، فيعلن أنه على المسلم أن يتعلم أسلوب الحوار لأنه لغة العصر، وأسلوب الحوار يقوم على توضيح المعنى المراد توصيله للآخر، وهو يحاور غيره عليه أن يكون فاهماً للموضوع الذي سيحاور فيه محيطاً بأبعاده وعنده إلمام بالمناخ الاجتماعي للبيئة التي عاش فيها محاوره وغرضه من ذلك:

- ترتيب الأوليات في الموضوع مع ربط كل أجزاء الموضوع بعضها ببعض.

- توضيح المضمون الإسلامي الذي سعدت تحت ظلاله الإنسانية.

تصحيح المفاهيم الاجتماعية.

ويتناول الكاتب موضوعين في غاية الأهمية: الأول: صراع الحضارات وضرورة تجنبه، لأن الحضارة هي نتاج عقل مفكر لديه قدرة على تقديم الأوليات مع تخطيط منظم منضبط على النظريات العلمية المبتكرة وقد يكون للبدن عمل في إرساء دعائم الحضارة فيكون ذلك بالدقة وحسن الأداء، وغرض أي حضارة انتفاع الإنسانية كلها ورفعة شأنها وتقدمها، وبالتالي لابد من أن يسود تعاون الحضارات وتكاملها لا تصارعها وفناؤها، والحوار وسيلتنا لتجنب هذا الصراع ولتحقيق هذا التعاون والتكامل والتعايش، والثاني: ضرورة الحوار، لأن العالم دخل في مرحلة من المتغيرات والتحولات الجذرية والكبرى.

والثورة الهائلة في وسائل الإعلام والاتصال، وكل ذلك يتم بإمكانات غير مسبوقة، وترتب على ذلك: الغاء الحواجز الثقافية واختفاؤها، ولذلك لابد من الحوار في عالم الاتصال المفتوح على تدفق المعلومات لأنه لا يمكن لأي مجتمع أن يعزل نفسه عن العلم وعن العالم، مع الالتزام العقدي والروحي، أي التمسك بروح العصر العلمية والتقنية والتحاور من أجل اقتناء أحدث العلوم المعرفية والتقنية بحيث لا يمس ذلك قيمنا الأصيلة ومفيدتنا الراسخة.

أما الفصل الرابع فقد خصصه المؤلف للحديث عن الاختلاف المقبول، وهو الاختلاف الناتج من اختلاف الألوان والألسنة التي خلق الله البشر عليها، ولهذا اقتضت مشيئة الله اختلاف تصورات الناس للأشياء من خلال أفكارهم، لأن العقول متباينة ومختلفة في التفكير، وتلك مشيئة الله، لتتكامل في النهاية المنظومة الإنسانية. لأن اختلاف الناس في تفكيرهم رحمة لتتعدد الحلول عند أي قضية، فالاختلاف في الآراء - مع عدم التشنج والتعصب - رياضة للأذهان وتلاقح للآراء والتعرف إلى جميع الاحتمالات وفتح مجالات التفكير يؤدي للوصول إلى أعظم النتائج وأيسر السبل ومن هذا الاختلاف ينبع الحوار البناء وتتضح فوائده التي تحقق الخير مادام ذلك يسير في إطار الحدود والآداب، ويضرب لنا الكاتب مثلاً بأصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا في اختلافهم يتحلون بالآداب العظيمة مثل:

- معالجة أمر الاختلاف بالحكمة ولا يتيحون أي فرصة للجدل المفضي إلى التنازع والشقاق.

- كانوا ينتقون أطايب الكلام ويتجنبون الألفاظ الجارحة.

- كان كل واحد يحسن الاستماع الى أخيه ورأيه ويحسن الظن به.

- الالتزام بطهارة القلب وعفة اللسان وتجنب الهوى.

- كل واحد يشعر في قرارة نفسه أن ما ذهب إليه أخوه من آراء يحتمل الصواب كالذي يراه لرأي نفسه.

فالاختلاف لا يفسد لود قضية والحوار هو السبيل للوصول لأرشد الأمور، فإذا غابت لغة الحوار ضاع الإيمان من دنيا الناس ودب الخلاف وظهر الاختلاف وتمسك كل برأيه وانقلبت حياة الناس إلى جحيم وتأخرت المجتمعات وتفككت الأسر وانهارت القيم وقضي على البشرية، لأن الحوار هو التحضر والطريق للتعاون والتعايش والتكافل والنمو والازدهار.

والحوار الدولي هو الطريق للسلام والطمأنينة والتعاون والتقدم بشرط أن يقوم على ثلاثة أسس قال تعالى: (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم. ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله) آل عمران - ٦٤ - وما عدا ذلك فالحوار ضروري فيه ولا شيء عليه لأنه دليل على الأخوة الإنسانية وطريق للمعرفة والعلم والنمو والرخاء والتقدم..

ويخصص الباحث فصله الأخير من كتاب الحوار آدابه وأهدافه للحديث عن نماذج من أدب الحوار في الكتاب والسنة ومن خلال حياة الصحابة.

وما أعظم الإسلام ديناً ورسالة وتشريعاً ومعاملات، فلقد كان العالم أجمع في مرحلة ما قبل الإسلام يعج في فوضى شاملة يأكل القوي الضعيف ويعتدي الكبير على الصغير، سواء في الجاهلية أو بين امبراطوريات تلك العصور من فرس وروم واغريق، فكانوا يتصارعون صراع الديوك ويلتهم القوي الضعيف ولا يعرفون سوى لغة القوة والغدر، فلما جاء الإسلام أمر بالحوار وعلّم المسلمين آدابه وكان الرسول ﷺ يحاور الناس بالرفق ويجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وعرفنا الله ورسوله بأن الحوار أفضل وسيلة للاقناع والتعاون والطمأنينة والسلام، فالحوار ما هو إلا وسيلة التفاهم بالحسنى والاقناع بالحجة لأن الناس كلهم اخوة والأخوة تزداد قوة بالحوار.

إن هذا الكتاب القيم الذي يضيف إلى فكر الحوار بين الحضارات يؤكد على مبادئ وآداب الحوار وأهدافه ويدعو الأمة إلى التحاور دائما للوصول إلى أرشد الأمور، هو كتاب هادف ومفيد ويدل على استنارة دينية من مفكر قدير لا يعرف للتعصب مكاناً ولا للعجز موضعاً، فهو دعوة خيرة للحوار بين ذاتنا، وبين ذاتنا ومن حولنا وبين حضارتنا والحضارات المعاصرة، لنقضي بهذا الحوار على كوامن الصراعات وأسباب النزاعات وننتزع فتيل الأزمات ومنفعات الحروب وعوامل الفتنة، فبالحوار تتجدد الأفكار وتنشط العقول وتتسع المدارك وتنمو الشعوب وتقوى الإنسانية ويعلو العلم وينتشر، فهذا الكتاب دعوة حق تضيف جديداً لمفاهيم الحوار وحق الإنسانية في سيادته على ما عداه من مفاهيم، وكما قال الناشر: إن الحضارات تتحاور ولا تتصارع وإن هذا هو الهدف المنشود الذي نعمل جميعاً من أجل إبرازه حتى تنتفع البشرية كلها به، والله الموفق والمستعان.

نحو حوار بنّاء بين الحضارات

مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر في التعامل مع الحضارة الغربية

بقلم الأستاذ- فهمي هويدي

مهم للغاية أن نسعى لإنجاح حوار الحضارات والإسهام فيه. ومهم بالقدر عينه أن نتفق على مبادئ الخطاب الإسلامي التي ننطلق منها في التعامل مع الحضارة الغربية لكن الأمر ليس سهلاً ولا الطريق معبدا، ذلك أن ثمة ملاحظات سبع يتعين الانتباه إليها قبل الدخول في الموضوع وطرق ذلك الباب، وهذه الملاحظات :

١- إن اعترافنا بأهمية الحوار بين الحضارات، لا ينبغي أن يتجاهل حقيقة أن الملف الخاص بذلك الحوار تراجع على نحو ملحوظ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كما أنه مرشح لأن يواصل تراجعه في العام الجديد، ذلك أن التطورات التي أعقبت ماجرى في سبتمبر، وخصوصا ما تعلق منها بإعادة النظر في الاستراتيجية الأميركية وتنامي قوة التيار الداعي إلى بسط هيمنة الإمبراطورية الأميركية، الأمر الذي استصحب تراجعاً نسبياً للدور الأوروبي في دائرة القرار، ذلك كله أسهم في تغيير أجندة المجتمع الدولي، حيث لم تعد الولايات المتحدة تعنى بمسألة حوار الحضارات ولا بالتعددية، وإنما أصبح عنوان «الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب» يحتل الأولوية القصوى، بل إن الموازنة التي خصصت لحوار الحضارات في الولايات المتحدة حولت إلى مايسمى بمشروع الدبلوماسية الشعبية ومبادرة الديموقراطية والتنمية، الذي استهدفت به الولايات المتحدة تحسين صورتها في العالم العربي والإسلامي، ومعالجة بدور الكراهية المفترضة للسياسة الأميركية، وهو المجرى الذي يصب في النهاية في وعاء تجفيف منابع الإرهاب. ولعلي لا أبالغ إذا قلت إن حوار الحضارات في المفهوم الأميركي أصبح عنوانا لتطلعات مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر فلها عناوين جديدة، ليس الحوار بينها، وإنما الإملاء جوهرها، بحيث أصبح المطروح الآن بقوة، هو كيفية تطويع الأفكار في العالم العربي والإسلامي، لكي تصبح أكثر تجاوبا وملاءمة للتصورات الغربية والأميركية بصفة أكثر خصوصية.

٢- إنني ألحظ في خطابنا العام اهتماماً كبيرا بالحضارة الغربية من دون الشرقية، ولست هنا بصدد الإقلال من شأن الأولى، التي لست في حاجة لأن أعدد إنجازاتها، لكنني أدعو إلى موقف متوازن لا يتجاهل الحضارات الشرقية أو الآسيوية، وهي المقدمة منها الهندية والصينية، التي هي حافلة بالقيم الإيجابية التي نحن أحوج مانكون إلى الإفادة منها وتمثلها وأرجوا أن أذكر أن الحضارة الغربية بالنسبة لنا، هي جهد إنساني رائع في التقدم، لا هو نموذج أو مثل أعلى لنا، ولا هو الوحيد في الكرة الأرضية، وإنما هو أحد النماذج - أهمها في الواقع - لكنه ككل تجربة إنسانية، لها نجاحاتها وإخفاقاتها.

٣- إنني أسجل تحفظاً شديداً على فكرة أن مايحتاج إلى تصويب ومراجعة كله في الجانب المتعلق بنا، ولاشيء مطلوب في المقابل من الطرف الغربي، ذلك أننا ونحن نعترف بأن لدينا سلبيات كثيرة نستدعي المراجعة وتستوجبها، إلا أن الطرف الغربي يحتاج بدوره لأن يراجع سياساته فضلاً عن حساباته ومنظومة قيمة، إذا ليس صحيحاً أن الغربيين يقفون منا موقف المعلم الذي يوجه تلاميذه، وما على الآخرين إلا السمع والطاعة، لكن الصحيح أننا جميعا تلاميذ في الصف عينه، وكل ماحدث أنهم تفوقوا وصاروا الأوائل ونحن تخلفنا كثيراً حقاً، لكننا لم نشهر إفلاسنا، ولدينا الكثير الذي يمكن أن نقدمه لهم، على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي والإيماني على الأقل.

٤- إنه من الخطأ البين أن يظن أن مجتمعاتنا وحدها التي تعاني من التطرف والأصولية، وإنما أزعم أن أمثال تلك الآفات موجودة في كل مجتمع إنساني، وأنها في العالم العربي والإسلامي أضعف منها في أقطار أخرى، ورغم الصدمة التي حدثت جراء أحداث سبتمبر، إلا أنني أذكر بأن في إسرائيل حكومة أصولية فعلت بالفلسطينيين أضعاف ما فعلته أحداث سبتمبر بالأميركيين، من حيث عدد الضحايا وكمية الدمار على الأقل، كما أن الأصولية المسيحية المتحالفة مع الصهيونية تتحكم الآن في القرار السياسي الأميركي، وتقف وراء مخططات هيمنة الإمبراطورية الأميركية وتفكيك وإعادة تركيب خريطة الشرق الأوسط، وهو مايدعونا إلى القول: إن أفعال تلك الأصوليات أشد وطأة وأبعد أثرا وأشد خطرا، على الأقل من حيث إنها هناك في موقع اتخاذ القرار، وهو مالم تبلغه الأصولية في عالمنا العربي والإسلامي، وخصوصا بعد انهيار نظام «طالبان» في أفغانستان.

٥- إنني أرجو الانتباه عنا حقيقة أن النموذج الذي نقدمه في ممارساتنا وحياتنا العملية، سيظل وحده الذي يمكن أن يقنع الآخرين برقي مشروعنا وإيجابية تعاليمنا وسمو شريعتنا، ويجب أن ندرك أننا مهما قلنا في مديح الإسلام وتبيان تفوق تعاليمه وإنجازات حضارته، فإن الذين يتلقون ما نقوله سيضربون صفحاً عن كل ذلك ثم ينظرون إلى أحوالنا ويصدرون في ضوئها حكمهم النهائي، فإذا وجدوا في أحوالنا ما يؤيد كلامنا قبلوه، وإذا وجدوا تناقضاً بين الاثنين أو تناقضاً، صدقوا أحوالنا وكذبوا كلامنا.

٦- هي أنه لاينبغي ولا يعقل أن نجري حوارا مع الحضارات الأخرى بينما حوارنا مقطوع مع أهلنا وبني جلدتنا وأبناء حضارتنا، ولعلي لا أبالغ إذا قلت أن حوارنا مع الحوارات الأخرى لن يكلل بالنجاح إلا إذا حققنا نجاحا ولو نسبيا في حوارنا مع أنفسنا وأخواتنا، ومع كل الساكنين في بيتنا العربي والإسلامي الكبير.

٧- هي أهم ما يعنينا في الأمر كله أن نكون أوفياء لديننا وصادقين مع أنفسنا ومع الله، فنحن لا نسعى ولا نتجمل في عيون الغرب، ورضاء الله عنا أهم من إرضاء الغرب وأهله ومن لف لفهم، وحين نحاول أن نستخلص المبادئ التي نعيننا على التعايش والتفاعل الإيجابي مع الغرب، فمعنيا يستهدف إزالة التشوهات التي لحقت بصورة الإسلام وتعاليمه وروجت لها دوائر تعددت أهدافها، بأكثر مما يستهدف نيل ذلك الرضى من الغربيين. أننا نوضح التباساً ولا نطلب عفواً أو إجازة من أي أحد، كما أننا بالقدر عينه لا نقدم اعتذارا لأحد.

إننا إذا أردنا أن ندخل إلى صلب موضوعنا فأرجو أن نتفق في البداية على أن القيم الدينية يمكن أن توظف لتحقيق الأهداف النبيلة والخيرة، كما يمكن أن توظف في خدمة الأهداف الشريرة، ويصبح السؤال المهم للغاية هو لماذا يتجه الناس حينما

إلى الأهداف الأولى، ولماذا يتجهون في حين آخر إلى الأهداف الثانية. وكلمة «لماذا» هنا تنصب على مجمل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أفرزت هذا الموقف أو ذاك.

اعتقاد خاطئ

في القرن التاسع عشر كان الاعتقاد الشائع بين المثقفين الأوروبيين أن الكاثوليكية والديموقراطية لا يجتمعان، وتبين لاحقاً أن ذلك اعتقاد خاطئ، لأن الديموقراطية الغربية تعايشت مع الكاثوليكية على النحو الذي يلمسه الجميع، في حين خرجت «محاكم التفتيش» من عباءة الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر، وفي أوائل القرن الماضي أشاع بعض الاقتصاديين أن النجاح الاقتصادي الذي حققته دول شمال أوروبا راجع إلى الأخلاق البروتستانتية، في حين تنبأوا بأن الجنوب الكاثوليكي سيظل فقيراً. لكن ما أن انتصف القرن حتى تبين خطأ ذلك الادعاء، حيث نمت إيطاليا وفرنسا - في الجنوب - بوتيرة أوسع من أوروبا البروتستانتية، وفي وقت لاحق أرجع بعض الباحثين الإزدهار الذي عاشت في ظله دول جنوب شرق آسيا إلى كون «الكنفوشية» تساعد على الحيوية الاقتصادية، لكن الأزمات التي واجهتها بعض تلك الدول دعت زعماء تلك الدول إلى القول: إن القيم الآسيوية تنطوي على خصائص سلبية.

بوسعنا والأمر كذلك أن نضيف أن المجتمعات الإسلامية التي تعاني من التخلف الآن هي ذاتها التي عاشت في ظل نهضة عظيمة في طور سابق. الأمر الذي يبرئ ساحة التعاليم من المسؤولية عن الأوضاع البائسة التي يعيش في ظلها العالم العربي والإسلامي.

لقد استشهد كاتب إسرائيلي ببعض المعلومات التي ذكرتها توا لكي يدحض المقولة التي يروجها بعضهم عن تعذر اجتماع الديموقراطية مع الإسلام، وكان الكاتب «شلومو افنيري» أستاذ العلوم السياسة في الجامعة العبرية، يعلق بما كتبه على نتائج الانتخابات التركية الأخيرة التي نجح فيها حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية، ولكنها في غيبة الديموقراطية التي إذا توافرت فإن الإسلام سيتعايش معها، كما تعايشت أوروبا معها.

هنا المعنى ردده أيضاً «فريد زكريا» رئيس تحرير مجلة «نيوزويك» الأميركية، الذي كتب مقالة نشرتها مجلة السياسة الخارجية (فورين بوليسي عدد نوفمبر وديسمبر) الذي خلص فيه إلى حد اعتباره عدوا للتقدم، ومن ثم استسهلوا اتهامه بالمسؤولية عن تدهور الأوضاع في الدول الإسلامية، متجاهلين مسؤولية الخرائط السياسية والأداء السيء في العالم الإسلامي عن تدهور تلك الأوضاع، وقال في هذا الصدد: إن الذين يروجون لفكرة تعارض الإسلام مع الحداثة، يقفون في المربع عينه الذي يقود المتطرفون الذين يرفضون الحداثة والديموقراطية بحجة تعارضها مع الإسلام.

ماذكره الكاتبان صحيح من حيث المبدأ، لكن أحد المشكلات التي تثار في هذا الصدد أن النخبة الغربية لا تكتفي بموقف التلاقي بين الإسلام والحداثة، بل تريده تعاطياً مع الحداثة كما يفهمها الغربيون، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بالحداثة «المستنسخة» الأمر الذي يضعنا أمام مفارقة لها تأثيرها البالغ على العلاقة بين الإسلام والغرب، وتتمثل تلك المفارقة في أن الغربيين الذين يتبنون شعارات الليبرالية والتعددية والتعايش مع الآخر، يقبلون بهذه القيم على الصعيد الوطني

● حوارنا مع انفسنا امر في غاية الأهمية

ويرفضونها على المستوى العالمي، بمعنى أنهم إذا قبلوا بالتعددية الحزبية والسياسية، فإنهم يرفضونها على الصعيد الحضاري، ويقبلون بالآخر المختلف سياسياً وفكرياً، لكنهم غير قادرين على استيعاب فكرة أن يختلف الآخر حضارياً. وتلك إشكالية لا سبيل إلى حلها في الجانب المتعلق بالمسلمين الذين من حقهم أن يكون لهم نموذجهم الحضاري الذي يختلف في مقاصده ومنظومة قيمه، وليس هناك ما يجبرهم على الالتحاق أو الانسحاق أمام النموذج الحضاري الغربي، ولا مفر هنا من الإشارة إلى أن شعور الغربيين بتفوقهم، وبكونهم الجنس الحضاري الغربي، وعدم وجود أي منافس له على وجه البسيطة، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، إن بعضاً مما يعتبره الغربيون عداء من جانب المسلمين للحداثة، هو في حقيقة الأمر «اختلاف» لم يحتملوه ويرفضون استمراره، انطلاقاً من تحفظهم على مبدأ «المغايرة» وإصرارا من جانبهم على أن يكون الآخرون استنساخاً لهم، أية ذلك أن الحقل الاجتماعي، وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية وعلاقة الجنسين بعضهم ببعض، أصبحت تتخلله اختلافات كثيرة بين النموذجين الغربي والإسلامي، ولعلي أشير هنا إلى ما طرأ على مفهوم الأسرة من تطور، والمحاولات اللحوحة من جانب المنظمات الغربية لإدخال زواج المثليين مثلاً ضمن نطاق الأسر الجديدة، واعتبار ذلك من قبيل «الحداثة» التي بلغتها بعض المجتمعات الغربية. وهو ما يؤدي إلى اتهام المجتمعات الإسلامية بالتخلف ورفض الحداثة في تجلياتها المختلفة.

يجرنا الحديث هنا عن الاختلاف في النموذج الحضاري والمفارقة في تعاطي قيمه التعددية إلى حديث آخر عن مفارقة أخرى تهم السلوك الغربي بالكيل بمكيالين فيم يخص حقوق الإنسان، وحق تقرير المصير بصفة أخص، وما الحاصل من قهر يومي للفلسطينيين إلا نموذج لذلك السلوك الذي يفتقد إلى العدل والإنصاف، ويتعارض مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان، والمأسوف عليه أن الموقف الغربي بصفة عامة والأميركي بصفة خاصة يقف في هذه القضية في صف المعتدي والغاصب، والمنكر على المظلوم حقه في أن يدافع عن نفسه.

إن السجل حافل بالملفات التي تندرج تحت العنوان عينه، وليس غائباً عن أذهاننا الدور الذي لعبته الدول الغربية في الدفاع عن حق سكان تيمور الشرقية في الاستقلال عن أندونيسيا، ثم إنكار تلك الدول ذات الحق على التيبتانيين والكوسوفيين في البلقان، وتجاهلهم لتطلعات مسلمي كشمير في الهند وسينكيانج في الصين وزنجبار في تنزانيا.

إذا أضفت إلى ما سبق ذلك

المعاملة التي تتسم بالتسمير والتعسف التي يلقاها المسلمون في الولايات المتحدة وفي بعض الدول الغربية، التي أصبحت تنظر إلى المسلمين جميعاً باعتبارهم مشبوهين أو متهمين، فإن المشهد في جملته يستدعي السؤال التالي: هل يمكن أن يتعامل المسلم باطمئنان وثقة مع السلوك الغربي في حين تثقل ضميره تلك الهموم والأحزان، التي يرى الغرب إما ضالعاً فيها أو مسؤولاً عنها؟

ثمة سؤال آخر متصل بما سبق هو ألا يعد ذلك السؤال الغربي تطرفاً من شأنه أن يعبئ المشاعر الإسلامية بالغضب الأمر الذي يهيئ الفرصة لتفريخ تطرف آخر على الجانب المقابل، يمثل رد فعل تصعب السيطرة عليه.

إن حقائق الواقع لها تأثيرها القوي في تشكيل المواقف، على نحو ينعكس سلباً على مفهوم التعاليم، وإذا كان قد قيل إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فتلك إشارة إلى أن التعاليم وحدها لا تكفي في صياغة سلوك الناس.

اللهم إلا إذا كانوا قد ربوا عليها منذ نعومة أظفارهم وعاشوا في ظلالها طوال الوقت، بحيث تظل الظروف مواتية لها، وهذه الأوضاع النموذجية تشكل استثناء في الواقع المعاش، ومن ثم فإن التعاليم تظل حداً أقصى لما يجب أن يكون عليه السلوك، يحتذيه الناس قدر الإمكان ويتطلعون إلى بلوغ مرتبته. فضلاً عن أنها تظل المرجعية التي يسترشد بها ويحتكم اليها في تقويم سلوك الأفراد أو المجتمعات.

ضوابط لابد منها

إن الموقف الفكري الإسلامي من الآخر، سواء غربياً أكان أم شرقياً، تحدده الضوابط التالية:

● فالناس في المفهوم الإسلامي خلقوا من نفس واحدة، من أب واحد وأم واحدة، ومن ثم فعلاقة النسب تربط بينهم «يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» (النساء - ١).

● ليس ذلك فحسب، وإنما في كل إنسان نفخة من روح الله «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» (الحجر - ٢٩)، ومن ثم فلكل إنسان كرامته التي ينبغي أن تصان، بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو دينه، بمعنى أن استحقاق الكرامة مترتب على حقيقة واحدة أنه إنسان: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» (الإسراء - ٧٠).

● ثم إن الاختلاف بين الناس شأن إرادة الله لحكمة قدرها، وهو الخالق القدير الذي كان بوسعه أن يخلق الناس أمة واحدة، كما أطلقهم من نفس واحدة: «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين» (هود ١١٨)، «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» (يونس - ٩٩).

● والأصل أن يتعاون الناس في البر والخير، وذلك أحد مبررات الاختلاف الذي هو سنة من سنن الله في الكون: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (الحجرات - ١٣).

● وطالما أن الآخر له شرعيته في المفهوم الإسلامي، وأن المطلوب هو التعارف والتعاون في البر والخير، فمن الطبيعي أن تكون المسألة هي الأصل الذي يتيح للتعاون المنشود أن يحقق المراد منه، وفي النداء القرآني: «يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» (البقرة - ٢٠٨) و«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم» (الممتحنة - ٨) «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (البقرة - ١٩٠).

هذه الآيات التي أوردناها تحت على مسألة الجميع وتنهي عن العدوان عليهم، لكنها تعلق ذلك على شرط واحد هو رعاية حقوق المسلمين والكف عن مقاتلتهم أو فتنتهم في دينهم، أي أن المسلمين في منظومتهم الفكرية لا يبدأون أحداً بعدوان ولكنهم يمدون يد التعايش والتعاون إلى الجميع إلا إذا اعتدى أولئك على كرامة المسلمين وحرماتهم، وفي هذه الحال تصبح الجبهة المعتدية «دار حرب» يجري عليها ما يجري على دار الحرب من أحكام، ويظل مصطلح دار الحرب عنواناً استثنائياً لحال يعتدي فيها الآخرون على المسلمين، في حين أن العنوان الأصلي لعلاقة المسلمين بالعالم الخارجي انه دار السلام أو أمة الدعوة.

● هل يتعامل المسلمون مع الآخر انطلاقاً من هذه المفاهيم؟

ردي على السؤال في شقين، الأول اننا يجب أن نعترف بأن ثمة اتجاهات في العالم العربي والإسلامي التبست عليها المفاهيم فأساءت التعبير عن الرؤية الإسلامية وكان سوء التعبير مقدمة لسوء التصرف، الأمر الذي يدعونا إلى ضرورة ترشيد تلك الاتجاهات وتصويب موقفها الفكري.

أما الشق الثاني فيتمثل في أن الانحرافات الفكرية التي نعاني منها هي من تجليات خلل في البيئة السياسية والثقافية في الداخل، وقهر وظلم يمارس من الخارج، فالطغاة والمستبدون يهيئون أجواء مؤاتية لغيبة التسامح والطلاق العنف، ولا ينبغي أن نتوقع من الذين يجلدون الناس ويدلونهم، أن يستقبلهم الناس بالبشاشة والورد، أما القوى الكبرى التي تمارس العدوان على بلاد المسلمين أو تتضامن مع المعتدين وتزودهم بالمال والسلاح، فينبغي أن لا تفاجأ إذا رد الناس على ظلمهم بتصنيفهم ضمن دار الحرب، وتعددت اجتهاداتهم في صد تلك الحرب، وردع المعتدين.

والأمر كذلك، فإنني أحسب أن المشكلة ليست في اعتدال المسلمين أو تطرفهم، وإنما هي -بالدرجة الأولى- في وطأة الظلم الذي يقلص تلقائياً من مساحة الاعتدال، ويغذي طاقات التطرف بغير حدود.

- بحث قُدم إلى الندوة السادسة لمستجدات الفكر الإسلامي، التي انعقدت في الكويت خلال الفترة ٨-١٠ ذو القعدة ١٤٢٣ هـ الموافق ١١-١٣ يناير ٢٠٠٣ م

● علماؤنا يجب أن يوضحوا لجماهير الأمة الموقف الصحيح من الآخر

الأمن الشامل في الإسلام صور ومواقف

بقلم :أ.د. حسن عبدالغني أبو غدة
كلية التربية – جامعة الملك سعود

تهدف جميع الدول والأنظمة اليوم إلى تحقيق المزيد من مظاهر الأمن الشامل في بنيتها الوطنية والاجتماعية، وفي علاقات الناس بعضهم ببعض، تفاديا لما قد يطرأ على المجتمعات والأفراد من مفاجآت تخل بأمنها واستقرارها، وتؤثر في حاضرها ومستقبلها، ولكل نظام أسلوب ومنهج فيما يسعى إلى تحقيقه.

منهج الإسلام في رعاية الأمن

عمل الإسلام على استتباب الأمن الشامل بجميع صوره وأنواعه بطرق كثيرة وأساليب متنوعة، جعلت كل فرد يحس في قرارة نفسه، أنه المسؤول المباشر عن أمن أسرته وجيرانه ومجتمعه، وعن سلامتهم واستقرارهم وازدهارهم، وفاء لهذه الجهات التي ينتمي اليها ويندمج فيها ويرتبط بها، وردا للجميل الذي ملوقت به عنقه، روى الشيخان أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وانطلاقا من هذا المبدأ في وحدة المشاعر والأحاسيس والهموم الأسرية والدينية والاجتماعية والوطنية، شرع الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك أهم أسباب أفضلية المجتمع الإسلامي فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران ١١٠، وفي الحديث الذي رواه مسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

النبي القدوة يرعى الأمن الشامل

تروي كتب الصحاح والسنن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يباشر بنفسه السهر على رعاية المجتمع وسلامته في المجالات الأمنية، والفكرية الثقافية، وفي العلاقات الاجتماعية، فضلا عن قيامه بمهمة الإرشاد والتوجيه والإعلام، وإعداد الفرد الصالح في المجتمع الصالح، وهذا ما يطلق عليه اليوم: «الأمن الشامل».

ومن هذه الوقائع والنماذج ما ذكرته كتب السيرة: أن أهل المدينة فزعوا في إحدى الليالي على صوت دوى في بعض جنباتها، فانطلق أناس تجاه الصوت، فإذا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتلقاهم راجعاً- بعد أن سبقهم إلى مكان الصوت واستبرأ الخبر- على فرس عري والسيف في عنقه، وهو يقول لهم مطمئنا: لن تراعوا، لن تراعوا، أي : لا تخافوا، لا تخافوا..

ومن هذه الوقائع النبوية في العمل على تحقيق الأمن الثقافي وإيقاف الانحراف الفكري: ما رواه الشيخان: أن بعض أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- تعاهدوا على التشدد في الدين والغلو فيه، فقال أحدهم: أنا أصلي الليل ولا أرقد، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال ثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً... فلما بلغه ذلك خطب في الناس وقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»..

وإنما فعل ذلك من أجل تحقيق الأمن الثقافي للمجتمع المسلم وحمايته من الانحراف الفكري والغلو في الدين، لئلا يصير هؤلاء النفر قدوة لغيرهم في الخروج على سنن الاعتدال والوسطية التي جاء بها الإسلام، فيضلوا ويضلوا غيرهم بغير علم ولا هدى، وهذا ما تشهده ولمن منه ساحات أدعياء العلم والدعوة..!!

ومن هذه الوقائع النبوية في العمل على تحقيق الأمن على صعيد العلاقات الاجتماعية وتجنيب الناس المنازعات والخصومات، ما رواه الترمذي: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر برجل يبيع قمحاً، فأنهم أن يدخل يده فيه، فضعل، فأصابها بلل، فقال: «ما هذا ياصاحب الطعام؟ هلاّ أظهرته حتى يراه الناس؟! من غشنا فليس منا».

صور ونماذج أخرى تحتاج إلى حضور أمني شامل

تتعدد وتختلف نماذج الخلل والنقائص في عموم المجتمعات، بل هي متجددة بتجدد حركة المجتمعات وتطورها، فقد يكون بعضها في المجالات الوظيفية بحيث لا يتقن الموظف عمله ولا يقوم بواجباته، وربما امتدت أطماعه إلى الممتلكات الخاصة أو العامة رشوة واختلاساً ومصادرة وتزويراً!.

وقد يكون الخلل في تصرفات طائشة يباشرها أفراد عن جهالة أو حقد أو كراهية، للإساءة إلى الأمن العام وقتل الأبرياء وترويع الآمنين، وإتلاف الممتلكات بغير وجه حق!.

أو يكون الإخلال بالأمن في إشاعة كاذبة يطلقها مغرض كذبا وبهتانا، لا يدري أنها هوت به في جهنم سبعين خريفا!.

وربما يكون الخلل الاجتماعي في نشاطات هدامة تمارسها عصابات عن طمع وأنانية للحصول على المال الخبيث، من خلال ترويج المخدرات ونحوها من السموم التي تفتك بالأفراد وتدمر المجتمع وتقضي على رجال مستقبله!.

أو يكون الخلل في ممارسات رعناء يقوم بها مراهقون يسيئون إلى المرافق الخاصة والعامة، في الأحياء والشوارع والحدائق والشواطئ ويتلفون المصابيح والأشجار، ويكسرون الأرصفة والأسوار، ويسيئون إلى استراحات الناس وأماكن جلوسهم..!

رفض وتصحيح

إن من حق المجتمع على أفراده أن يقابلوا ما يطرأ عليه من المظاهر السلبية أو التصرفات الشاذة المؤدية بالرفض والاستنكار والتصحيح، سواء أكان ذلك عن طريق فردي أهلي أم كان بالوسائل والطرق الرسمية، وذلك لسد أبواب الخلل قبل أن يستفحل الشر ويستشري الأذى والفساد ثم يصعب علاجه أو الحد منه.

ولقد صور الرسول -صلى الله عليه وسلم- مجمل ذلك في الحديث البليغ الجامع الذي رواه البخاري: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة - اقترعوا على أماكن الجلوس فيها - فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا).

وهكذا الأفراد في المجتمع يؤول مصيرهم إلى الخير والنجاة والأمن والسعادة إن تصدوا لصور الانحراف والتطرف والجريمة والفساد والشر، وقاوموا الخلل بالنصيحة والتوعية والوعظ والإرشاد، والتعاون مع الجهات المختصة في الأخذ على أيدي المتجاوزين..

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ التوبة ٧١ . ■

البعد العالمي في الخطاب القرآني

بقلم: عبدالكريم حامدي

من أبعاد القرآن وأهدافه التي أنزل لتحقيقها، صلاح العالم بجميع مكوناته، وفي مقدمتها الإنسان، ومن ثم جاء الخطاب القرآني مصبوغاً في أسلوبه وتشريعاته بما يحقق ذلك البعد الأعظم، وقد جاءت الرسالات السماوية السابقة خاصة لأقوام ومجتمعات إقليمية، محدودة الزمان والمكان والتشريع، إلى أن جاءت الرسالة المحمدية، فأرادها الله أن تكون خاتمة الشرائع ومهيمنة عليها فاستوعبت بذلك الزمان والمكان والإنسان، بما تضمنته من بعد عالمي لشؤون البشرية وقضاياها في جميع المجالات المعرفية والعمرانية. وقد تجسد ذلك البعد ميدانياً وواقعياً طوال القرون الماضية التي انتشر فيها الإسلام وعم ربوع الأرض شرقاً وغرباً، ولم يعجز بشرائه التشريعي عن استيعاب قضايا الشعوب، بل وجدت فيه الرحمة والعدل والإنصاف والحرية فعاشت في ظله مكرمة عزيزة، وإن الغياب العالمي لحكم الإسلام وشريعته بسبب ضعف أهله والقائمين عليه، لايعني أفول شمسه ونوره، ونهاية سلطانه، بل سيعود لربوع الأرض وستنعم شعوب العالم وقاراته مرة أخرى بهداه، مصداقاً لقوله تعالى:(هوالذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) الفتح: ٢٨، إن الظهور لهذا الدين آت لامحالة حسب الوعد الإلهي، وهو الذي يتلاءم مع البعد العالمي الذي دلت عليه نصوصه وتشريعاته في القرآن الكريم. إن هذه الدراسة تكشف جانباً من تلك الحقيقة في هذا الوقت الذي تكالبت فيه القوى المعادية على المسلمين التي تحاول فرض نظامها العالمي عليهم، جاهلة أو متجاهلة أن هذه العولمة غريبة في أهدافها ومقاصدها عن قيم الشعوب ومبادئها وثقافاتها، إذ تهدف إلى طمس خصوصياتها وهوياتها، وهذا ما يتنافى مع رسالة القرآن العالمية التي جاءت لتحافظ على قيم الشعوب الدينية والثقافية التي لاتتعارض مع أصوله ومبادئه. ومن ثم فإن عالمية القرآن السمحة هي البديل لما تعانيه الشعوب من قهر واستبداد، وفيما يلي إبراز أهم مظاهر ذلك البعد العالمي في الخطاب القرآني.

أولاً: عالمية الكتاب

مما يدلّ على البعد العالمي في الخطاب القرآني، أن الله تعالى ختم الكتب السابقة بكتاب عام لجميع الأمم والشعوب على اختلاف أجناسهم، ولغاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وأن هذا الكتاب ـ القرآن ـ مهيمن على ماورثته البشرية من التعاليم السماوية الماضية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص: ٨٧، أي:«ماالقرآن إلا تذكير لجميع الناس ينتفعون به في صلاح اعتقادهم وطاعة الله ربهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم، وكيف يعاملون غيرهم من الأمم الذين لم يتبعوه»(١). وقد وصف الله القرآن بعدة أوصاف تدلّ على بعده العالمي في الهداية والإصلاح، وأنه أفضل الكتب صلاحاً وإصلاحاً، وأكملها لكل الأمم ولجميع الأزمنة، كوصفه بالكريم في قوله:(إنه لقرآن كريم) الواقعة: ٧٧، فالآية فيها إشارة إلى: «تفضيل القرآن على أفراد نوعه من الكتب الإلهية، مثل «التوراة، والإنجيل، والزبور، وفضله عليها بأنه فاقها في استيفاء أغراض الدين وأحوال المعاش والمعاد وإثبات المعتقدات بدلائل التكوين والإبلاغ في دحض الباطل دحضاً لم يشتمل على مثله كتاب سابق، وبخاصة الاعتقاد، وفي وضوح معانيه وفي كثرة دلالته مع قلة ألفاظه، وفي فصاحته، وفي حسن آياته، وحسن مواقعها في السمع، وذلك من آثار ما أراد الله من عموم الهداية والصلاحية لكل أمة، ولكل زمان»(٢). وكوصفه بالعلو والحكمة في قوله: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) الزخرف:٤، وذلك لما حواه من الحكمة، ولما فيه من صلاح أحوال النفوس والقوانين المقيمة لنظام الأمة(٣). وكوصفه بالمجيد، في قوله تعالى: (ق والقرآن المجيد) ق:١، فالقسم بالقرآن كناية عن التنويه بشأنه؛ لأن القسم لايكون إلا بعظيم عند المقسم، فكان التعظيم من لوازم المقسم، ووصف القرآن بالمجيد: لكونه مشتملاً على أعلى المعاني النافعة لصلاح الناس(٤). وكوصفه بالهيمنة في قوله: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) المائدة:٤٨، أي شاهداً وقيماً على الكتب السابقة عليه، وذلك لما فيه من صلاح للبشر في العاجل والآجل(٥). يقول سيد قطب: «لقد جاء هذا الكتاب لينشىء أمة وينظم مجتمعاً، ثم لينشىء عالماً ويقيم نظاماً، جاء دعوة عالمية إنسانية لاتعصب فيها لقبيلة أو أمة أوجنس»(٦). ويقول: «إنه جاء لإنشاء مجتمع عالمي إنساني، وبناء أمة تقود هذا المجتمع العالمي، وأنه الرسالة الأخيرة التي ليس بعدها من السماء رسالة»(٧) وذلك لأن «القرآن الكريم، وحده، بحكم كونه نصاً إلهياً مطلقاً، هو القادر على استيعاب وتصويب مختلف مناهج العلوم النقلية والعقلية والطبيعية والاجتماعية والإنسانية وغيرها وتقويمها كذلك، وهو وحده بحكم عالمية رسالته القادر على استيعاب مختلف الأنساق الحضارية وتصويبها وتقويمها وترقيتها»(٨).

ثانياً: عالمية الرسالة

ومن الدلائل على البعد العالمي في الخطاب القرآني، إخباره بأن الرسالة المحمدية جاءت للعالمين، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، قال

المتتبع للخطاب القرآني يجده مرة يخاطب الإنسان ومرة يخاطب الناس ومرة يخاطب المؤمنين

تعالى: (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) الفرقان: ١، فالآية ترسم الغاية من تنزيل القرآن على الرسول . عليه الصلاة والسلام . وهو كونه رسولاً للعالمين، فالرسالة تدل على ثبوت تلك العالمية منذ مطلع البعثة النبوية، بما تحمل من طابع عالمي ووسائل إنسانية كاملة ذات بعد عالمي[٩]، ويقول: (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الأعراف: ١٥٨، فالآية تثبت باللفظ الصريح عالمية الرسالة النبوية، ومعنى ذلك أنها لا تختص بقوم، ولا أرض، ولاجيل، بل هي للناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، بما تضمنته من قوانين تتناسب وتطور البشرية الأخير، وكمال أصولها العقدية، وقابليتها للتطبيق المتجدد في فروعها العملية، وكذا ملاءمتها للفطرة الإنسانية التي يلتقي عندها الناس جميعاً[١٠]، وقوله: (وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧، فالتعريف في قوله . للعالمين . يفيد الاستغراق، فهو شامل لكل مايصدق عليه اسم العالم، وتفيد صيغة الخطاب أن الرحمة منحصرة في الرسالة الخاتمة، ومعنى ذلك أنها أوسع الشرائع رحمة بالناس، فإن الشرائع التي سبقتها . وإن كانت تتصف بالرحمة، إلا أنها لم تكن رحمة عامة، إما لكونها لا تتعلق بجميع أحوال المكلفين، كشريعة إبراهيم . عليه السلام . كانت رحمة خاصة بحال الشخص في نفسه، وليس فيها تشريع عام. وقريب منها شريعة عيسى . عليه السلام . وإما لأنها تشتمل على أنواع من المشقة في أحكامها اقتضتها حكمة الله تعالى في سياسة الأمم[١١]، يقول الشيخ القرضاوي: «إنها رسالة لكل الأزمنة والأجيال ليست رسالة موقوتة بعصر أو زمن مخصوص، ينتهي أثرها بانتهائه، كما هو الشأن في رسالات الأنبياء السابقين على محمد . صلى الله عليه وسلم . وهي كذلك غير محدودة بمكان، ولا بأمة، ولا بشعب، ولا بطبقة، إنها الرسالة الشاملة التي تخاطب كل الأمم، وكل الأجناس، وكل الشعوب، وكل الطبقات»[١٢].

ثالثاً: عالمية الخطاب

ومما يدل على البعد العالمي للخطاب القرآني: تميز خطابه بالعالمية، حيث صيغ صياغة العموم والشمول المستوعب للإنسان.

والمتتبع للخطاب القرآني يجده مرة يخاطب الإنسان، ومرة يخاطب الناس، ومرة يخاطب المؤمنين:

. فخطابه لعموم الإنسان، كقوله في معرض الوصية بالوالدين: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) الأحقاف:١٥، وكقوله في معرض بيان مسئولية الإنسان عن نتائج أعماله: (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) النجم: ٣٩، وقوله: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) الانشقاق:٦، فالوصية والمسؤولية تخاطب عموم البشر في هذا الكون أينما وجدوا، فكل إنسان مطالب بالإحسان إلى الوالدين، وكذلك كل إنسان مسؤول عن نتائج أعماله من خير أو شر.

. وخطابه لعموم الناس على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ولغاتهم وأوطانهم، كالأمر بعبادة الله تعالى في قوله: (يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) البقرة: ٢١، وكالأمر بالأكل من الحلال الطيب، في قوله: (يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) البقرة: ١٦٨، وكالأمر بالتقوى في قوله: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) النساء:١. فهذه النصوص تخاطب الناس عامة، فهم مأمورون بعبادة خالقهم الذي خلقهم، ومأمورون بالأكل مما رزقهم من الحلال الطيب ومأمورون بالخوف منه وتقواه.

. وأما خطابه للمؤمنين، فهو عام أيضاً لكل من تحقق فيه وصف الإيمان، في أي مكان وزمان من العالم. كخطابهم بفرض القصاص في قوله: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) البقرة: ١٧٨، وخطابهم بفرض الصيام عليهم في قوله: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) البقرة: ١٨٣، وكخطابهم بالدخول في السلم في قوله: (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) البقرة: ٢٠٨، وكخطابهم بترك الربا، ونهيهم عن أكل أموال الناس بالباطل، وأمرهم بالوفاء بالعقود، في قوله: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا) البقرة: ٢٧٨، وقوله: (يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) النساء: ٢٩، وقوله: (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) المائدة:١، فهذه النصوص وغيرها كثير في القرآن مما ورد بهذه الصيغة والأسلوب الخطابي العالمي الذي يشمل الإنسان بعامة والناس والمؤمنين في أي زمان ومكان من العالم عامة. والناظر في الخطاب القرآني يجده متنوع الدلالة والغاية، كالخطاب الدعوي، والترغيبي، والترهيبي، والبرهاني، والعلمي والتاريخي والتشريعي، وكلها تخاطب الناس بعامة مطلقة من قيد الزمان والمكان.

ويلاحظ أن الخطاب الديني الإلهي مر بدورين:

. دور الخطاب الاصطفائي الحصري، وهو خطاب يتوجه في مضمونه إلى دوائر بشرية معينة،

القسم بالقرآن كناية عن التنويه بشأنه لأن القسم لايكون إلا بعظيم

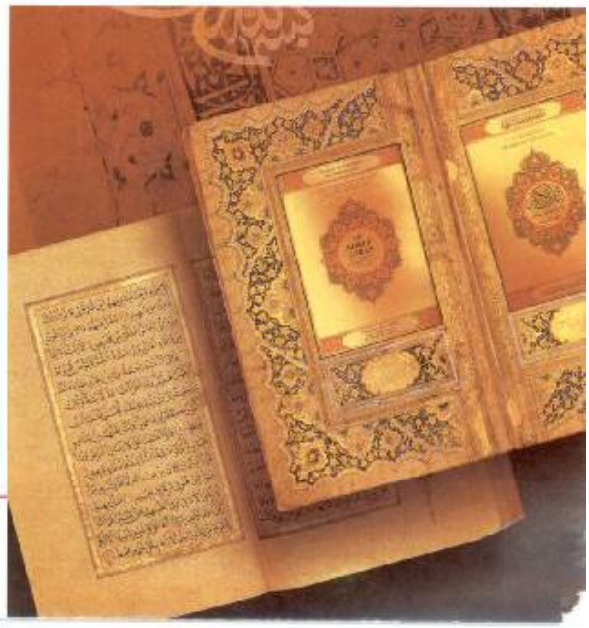

كما جاء في قوله: {إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين} آل عمران: ٣٣. فالآية تشير إلى الخطاب الاصطفائي الحصري الذي يبتدىء بآدم، ثم بقوم نوح، ثم بخلائف قوم نوح، ثم بإبراهيم، وإلى يعقوب والأسباط ثم آل عمران من ذرية إبراهيم، وإلى يحيى بن زكريا ثم تحول الخطاب إلى ذرية إسماعيل بن إبراهيم انتهاء بمحمد خاتم النبيين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام. فكل الرسل والرسالات المذكورة في القرآن إنما جاءت بخطاب إلهي حصري اصطفائي ينتهي ببعثة خاتم الأنبياء.

. دور الخطاب العالمي، ويبدأ ببعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قيام الساعة، ومن ثم فإن ختام النبوة ليس مجرد توقيت زماني فحسب، بل ختامه يقترن بحدث كبير، وهو انتهاء الخطاب الإلهي الحصري الاصطفائي لينطلق الخطاب العالمي من الأرض المحرمة وليس من الأرض المقدسة، ويبدأ بالتخصيص العربي نهاية للاصطفاء واقتناحاً للعالمية في الوقت ذاته[١٣]. وفي هذا الشأن يقول الغزالي: «فخطاب القرآن عالمي، ورسالته خاتمة، وله بعد في الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، وله بعد في المكان بحيث يشتمل العالم كله»[١٤]. ومن هنا صيغ التشريع صياغة عامة تستوعب قضايا الإنسان وحاجاته المتجددة الحاضرة منها والمستقبلية وجاءت معظم النصوص عامة في اللفظ والمعنى، حتى اشتهرت تلك القاعدة الأصولية: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[١٥]، ومفاده أن سبب النزول لا تقيد معاني النصوص ودلالاتها بمن نزل فيهم، بل تتعدى لتشمل غيرهم ممن لم ينزل فيهم الخطاب. كما جاءت نصوص القرآن في معظمها ظنية الدلالة تحتمل أكثر من معنى، ليتسع تفسيرها بما يتلاءم والمقصد من عالمية الخطاب، فلا تعترضها الظواهر الجغرافية، ولا الأحداث التاريخية، ولا التطور الحضاري للبشرية، وهذا ما يشهد له الفقه الإسلامي، فإنه ذو نزعة عالمية. وإن كتب بلغة العرب وفي أرضهم. إلا أن مضامينه عالمية؛ لكون المصدر الأول لهذا الفقه عالمي النزعة، ألا وهو القرآن، وقد حكم هذا الفقه شعوبا شتى في بقاع الأرض، فلم يعجز عن الوفاء بحاجاتها[١٦]. فالخطاب القرآني بعالميته استطاع استيعاب الحضارات القديمة، بما تحويه من ثقافات متنوعة وأديان متعددة وأعراف مختلفة، ولم يكن ذلك مانعاً ولا حائلاً أمام تلك الشعوب من الاندماج مع المسلمين والتعايش معهم مع الحفاظ على خصوصياتهم الدينية والثقافية.

وما زال الخطاب القرآني إلى اليوم قادراً على إعادة ذلك الدور المفقود؛ لأن الله الذي كتب له العالمية حفظه من التبديل والتحريف الذي أصاب الكتب السابقة، «وإذا كان أقصى ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة هو إقرار التعدد، فإن عالمية الخطاب الإسلامي عملت وتعمل على استيعاب التعدد بعد الإقرار به، ودفعه باتجاه العالمية، ليتحول إلى عامل دفع في إطار تنوع بشري إيجابي تهيمن عليه أنوار الهدى ودين الحق»[١٧]. ●

الهوامش

١. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط. ١٩٨٤م. (٣٠/١٦٥).

٢. ابن عاشور: المرجع نفسه، (٣٣٣/٢٧).

٣. ابن عاشور: المرجع نفسه، (١٦٢/٢٥).

٤. ابن عاشور: المرجع نفسه، (٢٧٦/٢٦).

٥. ابن عاشور: مقاصد الشريعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: ١٣.

٦. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط٧، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م، المجلد الثالث، (١٤/ ٢٥٤).

٧. سيد قطب: المرجع نفسه، المجلد الثالث، (٢٥٤٨/١٤).

٨. طه جابر العلواني: أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص: ١٣.

٩. سيد قطب: المرجع السابق، المجلد الخامس، (٣٥٤٨/١٩).

١٠. سيد قطب: المرجع السابق، المجلد الثالث، (١٣٧٩/٩).

١١. ابن عاشور: التحرير، (١٦٧/١٧).

١٢. يوسف القرضاوي: الخصائص العامة في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص: ٩٥، ٩٧.

١٣. أبو القاسم حاج أحمد: المنهجية المعرفية في القرآن العظيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أميركا، ط ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص: ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢.

١٤. محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن، دار الانتفاضة، الجزائر، ص: ٢٨٤.

١٥. محمد صديق خان: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م، ص: ٢٦، ٤٨.

. محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علمي التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م، (١/١٦١)، (٢/١٥٦)، (٢/١٩٠).

١٦. القرضاوي: الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط٣، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م، ص:١٢، ١٣.

١٧. طه جابر العلواني: المرجع السابق: ص:٥٧.

مازال الخطاب القرآني حتى اليوم قادراً على إعادة ذلك الدور المفقود

● عالمية الاسلام لا تفرق بين انسان وآخر

جولة فكرية في سورة الماعون

بقلم عبدالهادي صافي

بسم الله الرحمن الرحيم يقول تعالى ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين. فذلك الذي يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين. فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون. ويمنعون الماعون﴾. الماعون ١-٧

تتفتح سورة الماعون، بالاستفهام، على فضاءات دلالية واسعة، وتقدم أغراضاً بلاغية ومجازية كثيرة، فهي منذ مطلعها تؤسس للاستخدام المجازي، وتعودنا منذ البداية على أن المجاز هو إحدى الركائز التي يقوم عليها التعبير القرآني. إن القرآن يمنحنا حرية التفكير، كما يمنحنا حرية الفهم والتفسير، وعلى هذا الأساس نتساءل ما المقصود بيوم الدين؟ ومن هو المكذب بيوم الدين؟ وكيف يكون التكذيب بيوم الدين؟ هل هو مجرد انكار ليوم القيامة؟ أم أن الأمر يتعلق بالأعمال والممارسات المنافية للدين؟ إن السياق القرآني يدل دلالة قوية على أن المقصود بالتكذيب هو القيام بالأعمال السيئة اللا إنسانية التي تنم عن قسوة في المشاعر وعدم الشعور بآلام الآخرين ومساعدتهم في أيام الشدة والمحنة، والدليل على ذلك تعريف المكذبين بأنهم هم الذين يزجرون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين، (يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين)، وأنهم يؤدون صلاتهم وهم منشغلون عنها (الذين هم عن صلاتهم ساهون).

وإذا تلاحظ أن الأفعال التي يمارسها المكذب بيوم الدين تتصف بالعنف والقسوة، والدليل أنها جاءت مشددة (يكذب، يدع، لا يحض)، والتشديد في بنية الفعل يدل على القوة والشدة، وتتصف هذه الأفعال بالاستمرار، لأنها أتت بصيغة المضارع، كما نلاحظ في المفردات اللغوية فهي تحتمل معان عدة ولا تقف عند احتمال واحد، وهذه المفردات ذات انتقاء رفيع وليس أدل على ذلك من استخدام كلمة (الطعام) لاختيار حاجات ضرورية في حياة الناس.

وعلى هذا الأساس من الدعوة إلى العمل الجاد كان الويل للذين يسهون عن الصلاة لأنهم يؤدون فعل الصلاة غير مخلصين في أدائها (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) ولقد استعمل القرآن كعادته في استعمال الكلمات الموحية، كلمة (ساهون) فهي من الكلمات التي تمنحنا فرصة التأويل، وتطلق احتمالات عدة في التفسير، فقد تفيد السهو عن الصلاة وقيد الانصراف عن التدبر، وهذا المعنى تؤيده كلمة (يراءون)، وتعضده جملة (ويمنعون الماعون) ليفيد السهو معنى الانصراف عن أهداف الصلاة الكبرى السلوكية والعملية، ومنها حجب الماعون عن الناس.

إن السورة جاءت دعوة إلى عمل الخير والحض عليه، ودعوة إلى التآزر والتآخي والتراحم وكل ما من شأنه تقوية المجتمع وبنائه بناء سليماً، فالكف عن القسوة في معاملة اليتيم، والكف عن البخل والشح، من دلائل استقامة المسلم وحسن إيمانه بالدين، وعكس هذه الأمور من زجر اليتيم والبخل من علامات المكذبين بيوم الدين.

إن الأمر لا يتعلق بالدين ومعطياته ولا الإيمان ومسلماته فحسب، وإنما يتعلق بالعمل والإخلاص في الممارسات اليومية، ويتعلق بهذا الترابط بين الناس والتعاون فيما بينهم، لأن الإيمان الصحيح ليس مجرد شعور وإحساس داخلي، وليس مجرد اتصال بخالق الكون بالعبادات فلا بد من أن يكون له رصيد من العمل في واقع الحياة والمجتمع.

ومن ذلك ننتهي إلى أن المكذب بيوم الدين هو الذي يؤدي جملة من الأعمال السيئة اللا إنسانية، فهو الذي (يدع اليتيم) وهو الذي (لا يحض على طعام المسكين) ثم جاء الوعيد لهؤلاء الذين يصلون ولا يتدبرون، والذين يمارسون العبادة من دون أن تؤثر فيهم وتصنعهم صنعاً آخر، ويقبلون على المساجد وقلوبهم ملأى بالنفاق، لأنهم لا يقدمون العون لأحد.

ولا يلبون نداء لمستغيث، (ويمنعون الماعون) ولكلمة الماعون أيضاً هذا الإيحاء القوي فليس المقصود به هنا - فيما أظن - الآنية التي تستعار ويتداولها الناس في حياتهم اليومية إذا ايتاعوا وإذا اشتروا وإذا التمسوا لأنفسهم متاعاً من متاع الحياة فحسب، وإنما المقصود بشكل عام حجب الخير عن الناس، وقد فسر الزمخشري في (الكشاف) معنى الماعون بالزكاة، واستشهد بقول الراعي:

قوم على الإسلام لما يمنعوا ... ماعونهم ويضيعوا التهليلا

ونقل عن ابن مسعود في تفسير (الماعون) قوله «ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها»، وعن عائشة: الماء والنار والملح ويعلن الزمخشري: «وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحاً في المروءة في غير حال الضرورة». ومن ذلك نفهم أن لكلمة (الماعون) احتمالات كثيرة في تأويل معناها وسعة في تفسيرها.

وتحتفل الآيات بعد ذلك في سورة الماعون بهذا اللون الموسيقي البديع وهو السجع الذي التزمته في جميع الآيات لتحافظ على هذا الرابط الإيقاعي بعدما حققت الرابط الفكري والمايسك النفسي، فيخرج القارئ بعد ذلك وقد شدته هذه الوحدة الفكرية والنفسية وهذه الموسيقا الواحدة. ونلاحظ أيضاً في سورة الماعون أنها ذات وحدة فكرية متكاملة، فقد جاءت متصلة الأفكار، وآيات مترابطة الأجزاء، أولها يفضي إلى آخرها وكلها يهدف إلى شيء واحد، هو الحض على أن تكون صلاتنا متفقة مع أهدافها السامية، وهي التدبر والمسارعة إلى التقيد والالتزام بمبادئها ومعانيها. فإصلاح المجتمع يبدأ من نقطة التآزر والأمراض الاجتماعية والآفات الاقتصادية لا تنتج إلا من هاتين الثغرتين (ضعف اليتيم وحاجة المسكين) وما يتولد عنهما وما يتفاقم من شرور وآثام، وحسب التعبير الاقتصادي (مصاعف التنمير) فالأمر الواحد سواء كان أم شراً يتوالد عنه خير كثير أو شر كثير.

الآية بعد ذلك تمثل رداً على المدعين الذين يدعون أن في آيات الله تشكك وأنه لا رابط بين القضايا التي يطرحها. فهو ينتقل من موضوع إلى آخر من دون تهيئة لهذا الانتقال، ويكون هذا في السور الطوال والقصار على حد سواء، ولا رابط بينها في المعاني والأفكار، ولا نسق يجمعها. فقد رأينا في أثناء تحليلنا للآيات، كيف أن الوحدة المعنوية متحققة وكيف اجتمعت الآيات على نسق فكري واحد، لا يعتوره التجزؤ والانقسام بين آية وأخرى وإنما رأينا أن الآية تفضي إلى آية، وتسير الآيات بعضها تلو بعض في نظام معجز ونسق فكري لا مجال فيه إلى التنافر، وقد زادت الوحدة النفسية الآيات ترابطاً وتماسكاً ثم جاءت أخيراً الوحدة الموسيقية فهذا الآيات لا يمكن تفريقها عن بعضها بعضاً، ولا يمكن أن نبدل آية مكان آية أو أن نغير كلمة عن موضعها، لأن البناء الموصوف بحكمة وقدرة لا بد أن ينزعزع ولا بد أن يتصدع ومن ثم لا بد أن يختل التوازن وأن يهتز التناسق الفني الذي يمسك الآيات كلها.

لقد بدأت الآيات بجلاء صفة المكذب بيوم الدين، وراحت تعدد هذه الصفات السلوكية (دفع اليتيم بغلظة وقسوة، وبخل عن إطعام المساكين) وربطت ذلك كله بأنه من زمرة الذين ينشغلون في صلاتهم يمنعون الماعون ولا يقبضون حق اليتيم ولا حق المساكين، فربط القرآن إذا السلوك العملي في واقع الحياة بالإيمان الصحيح وبالصلاة الصحيحة. فمنع الماعون مرتبط بالتكذيب بيوم الدين، ومن يمنع عن الناس ما يحتاجون إليه لا يصح إيمانه لأنه مكذب بالدين وبيوم القيامة ولا يعترف بهما.

لابد للإيمان من أن يكون له رصيد من العمل في واقع الحياة والمجتمع

تحسين النسل جينياً باختيار الأزواج الحاملين لصفات وراثية مرغوبة

الاهتمام بالنواحي الصحية للفرد والأسرة والمجتمع، هو شغل الأمم والشعوب، بغية تكوين مجتمع يتمتع أفراده بالقوة البدنية والعقلية، ولهذا فقد انبرت الهيئات والمؤسسات الصحية في كل مجتمع، إلى رعاية أفراده صحياً، سواء قبل الولادة أو بعدها، لتجنيبهم الأمراض التي قد تصيبهم لأسباب بيئية أو وراثية، وقد كان لاكتشاف الجينوم البشري وحل رموز «الشفرة الوراثية» في عصرنا، أثر في الاستفادة منه في مجالات الرعاية الصحية المختلفة التي منها: تحسين النسل وإنجاب ذرية قوية لا تحمل الكثير من الأمراض الوراثية، باختيار أزواج حاملين لصفات وراثية معينة، مثل: قوة البنية، أو طول القامة، أو قوة المناعة، أو زيادة الخصوبة، أو شدة الذكاء، أو عدم حمل أمراض وراثية خطرة من أسلافهم، أو نحو ذلك من صفات مرغوبة.

وتحسين النسل وراثياً يطلق عليه «اليوجينيا» (Eugenics)، وهي لفظة مشتقة من عبارة يونانية، تعني الفرد الطيب الحسب والنسب، النبيل العرق، ويتم هذا التحسين بانتقاء مجموعة من الأفراد هم الأكثر صلاحية من غيرهم، لاشتمالهم على صفات وراثية مرغوبة، وتشجيعهم على الزواج ممن كان مثلهم، وحضهم على التكاثر، ومعاونتهم على تربية ذريتهم، ومثل هذا لا يمكن تحقيقه إلا بإجراء الفحوص الجينية على الراغبين في الزواج قبل إتمامه، للوقوف على مدى ما تحمله جيناتهما من تشوهات أو أمراض وراثية، وذلك لتجنيب نسلهما الإصابة بالأمراض والتشوهات التي قد تنتقل إليهم من أسلافهم.

ومعروف أن كثيراً من الناس لديهم استعداد وراثي للإصابة بالأمراض والتشوهات الوراثية، المنتقلة إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم من جهة الأب ومن جهة الأم، منها: أمراض القلب والأوعية الدموية، مثل: وجود ثقوب بين تجاويف القلب، أو ضيق في الصمامات، أو مرض الأوعية الرئيسة التي تمد القلب بالدم، ومرض فرط كوليسترول الدم العائلي (Familial Hyper-colesterolemia)، ومرض «فرط تراي جلسيرنات الدم العائلي» (Familial Hyperliglyceridemia)، ومرض «فرط مجموعة دهون الدم العائلي» (Familial Combined Hyperlipoidemia)، ومنها: أمراض الدم، مثل: «أنيميا الخلايا المنجلية» (Sickle Cell Anemia)، ومرض «الثالسيميا» (Thalassemia)، ومرض «عدم تجلط الدم» (Hemo-philia)، ومنها: مرض «البول السكري» (Diabetes Mellitus)، ومرض «تليف الرئة الكيسي أو الحويصلي» (Cystic Fibrosis)، ومرض «النقرس» (Gout)، ومرض «القرحة الهضمية» (Peptic Ul-cer)، ومرض «ضمور العضلات» (Muscular Dystrophy)، ومرض «البله المميت أو مرض تاي ساك» (Taysachs Juvenile Amaurtic Idiocy)، ومنها أمراض الجهاز المناعي بالجسم، ومرض السرطان، وارتفاع ضغط الدم، والتشوهات الكروموسومية الجسمية والجنسية وغيرها، حيث تمكن العلماء منذ العام ١٩٩٤م من حصر الأمراض والتشوهات الوراثية، التي تنتقل عن طريق الجينات في ٦٦٧٨ مرضاً وتشوهاً وراثياً، ومن العلماء من قال: إنها عشرة آلاف مرض وتشوه وراثي، والكثير من هذه الأمراض والتشوهات يمثل خطورة على صحة حياة من تنتقل إليه، إذ إن بعضها غير قابل للعلاج (١)

وقد رغب الشارع في الزواج، لأنه يتحقق به مقصود من إنجاب النسل الذي نعمر به الأرض، إذ روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٣)

كما رغب كل من يريد الزواج باختيار الزواج الذي يتحقق بالزوج منه، المقصود الشرعي من الزواج، ومن الصفات التي رغب الإسلام في توخيها عند إرادة الزواج: الدين، والعفة، والصلاح، والكفاءة، والخصوبة، وحسن الخلق، والبكارة، والزواج من غير القريبات، ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:

١. قال تعالى: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ النساء:٢٤.

٢. قال سبحانه: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ النور:٣٢.

٣. روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»(٤)

٤. روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»(٥)

٥. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»(٦)

٦. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها،

● أ.د عبدالفتاح محمود ادريس، أستاذ الفقه وأصوله وقواعده في جامعتي الأزهر والإمارات والجامعة الأميركية المفتوحة

التحسين يتم بانتقاء أفراد لديهم صفات وراثية مرغوبة بتشجيعهم على الزواج ممن كان مثلهم

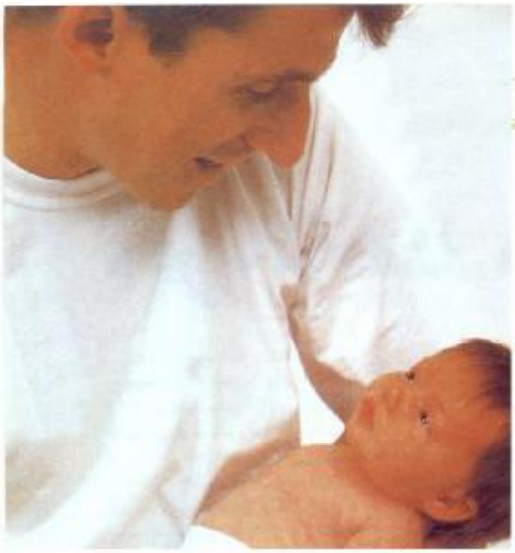

الصفات المرغوبة في الزواج لايمكن الوقوف على حقيقتها ومدى توافرها إلا بإجراء الفحوص الطبية السابقة على الزواج

فاظفر بذات الدين تربت يداك».(٧)

٧. روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يردينهن، ولا تزوجوهن لمالهن فعسى مالهن أن يطغينهن، ولكن تزوجوهن لدينهن، ولأمة خرماء ذات دين أفضل».(٨)

٨. روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة».(٩)

٩. روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انكحوا أمهات الأولاد، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة».(١٠) وفي رواية أخرى من حديث معقل: «فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».(١١)

١٠. روي عن جابر بن عبدالله قال: «خطبت امرأة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلا جارية تلاعبها وتلاعبك».(١٢)

١١. روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لبني السائب، وقد اعتادوا الزواج من قريباتهم: «قد أضويتم فانكحوا الغرائب»، كما روي عنه أن قال: «اغتربوا ولا تضووا».(١٣)

وجه الدلالة من هذه النصوص

أفادت هذه النصوص أن الإسلام وإن رغب في الزواج، إلا أنه رغب في توخي بعض الصفات في الطرف الذي يراد الزواج منه، من شأنها تحقيق دوام العشرة بين الزوجين، وتحقيق مقصود الشارع من إنجاب النسل الكثير الصالح، الذي يتحقق به إعمار الأرض.

وتحقيق ما رغب فيه من هذه الصفات لا يتأتى إلا باختيار وانتخاب الصالح من الأزواج: ديناً، وكفاءة، وخلقاً، وصلاحاً، وعفة، وبكارة، وخصوبة، وبعض هذه الصفات المرغوبة لا يمكن الوقوف على حقيقتها، ومدى توافرها في الطرف الذي يُراد الزواج به، إلا بإجراء الفحوص الطبية السابقة على الزواج، فكان إجراء هذه الفحوص قبل الزواج أمراً مشروعاً، لأنه وسيلة إلى تحقيق أمر مرغب فيه من قبل الشارع، وللوسائل حكم غاياتها.

ولما كان إنجاب النسل القوي أمراً مشروعاً، فقد استحدث من وسائل الفحص الجيني، ما يمكن به معرفة ما إذا كان الزواج بين اثنين يحملان جينات معينة، يترتب عليه إنجاب نسل سوي، أو فيه أمراض أو تشوهات وراثية، تضعف منه، ولهذا فإن هذا الفحص الجيني مشروع، لأنه وسيلة إلى تحقيق مقصود الشارع. ومن ثم فلا يوجد مانع شرعي من توخي الصفات الوراثية في مريد الزواج ذكراً كان أو أنثى، قياساً على الصفات السابقة، التي رغب فيها شرعاً في النصوص السابقة، وذلك لأن توخي هذه الصفات الوراثية يتحقق به إنجاب الذرية القوية، التي تعمر الأرض، ويتحقق بها مقصود الشارع من الزواج. ■

الهوامش

١. د. محمد الربيعي: الوراثة والإنسان، ٥٨، ٦٤، ٦٦، ٧١، ٩٢، ١٠٤، ١٢٠، ٢٢ـ، ١٣٠، ١١، ١٣٤، ١٣٥، د. محمد خليل يوسف، د. عبدالسلام أحمد عمر، د. أحمد يوسف المنيني، د. أميرة يوسف: الوراثة وأمراض الإنسان، ٦، ١١، ٤٠، ٤١، ١١٦، ١١٩، ١٧٧، ١٧٩، م.ط. عبدالباسط الجمل: عصر الجينات، ١٠٤، ١٠٥، ١٤٣ـ ١٤٤، مبادئ وأساسيات علم الوراثة، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، د. عبدالهادي مصباح: العلاج الجيني: ١٧٤، ١٧٥، د. عبدالهادي مصباح: العلاج بالجينات: ١٧٣، ١٨٢، ١٨٣، د. زولت هارسيناوي، ريتشارد هتون: التنبؤ الوراثي: ١٤٢، ١٤٤، أ.د. عدنان العذاري: أساسيات في الوراثة: ١٩٧، ٢٠٥.

٢. أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٧/٣.

٣. أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣٨/٣.

٤. أخرجه الحاكم وصحح إسناده، وأخرجه البيهقي وابن ماجه في سننهما، ورمز له السيوطي بالصحة (السيوطي: الجامع الصغير ١٣٣/١).

٥. أخرج الحاكم وابن ماجه والبيهقي بعضه، ورمز له السيوطي بالصحة (المصدر السابق).

٦. أخرجه الحاكم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر، والترمذي والبيهقي من حديث أبي حاتم المزني، ورمز له السيوطي بالصحة (المصدر السابق، ١٦/١).

٧. أخرجه الشيخان في صحيحيهما (عبدالباقي: اللؤلؤ والمرجان ٣٤٣/٢).

٨. أخرجه ابن ماجه في سننه وسكت عنه المنذري (المنذري: الترغيب والترهيب ٤٦/٣).

٩. أخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه، وأخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي: إسناده حسن (ابن حجر: تلخيص الحبير ١١٦/٣، الشوكاني: نيل الأوطار ٢٣٢/٦).

١٠. أخرجه الشافعي وأحمد في مسنديهما، وأشار إليه الترمذي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه جرير العامري وقد وثق (تلخيص الحبير ١١٦/٣، ونيل الأوطار ٢٣٢/٦).

١١. أخرج هذه الرواية الحاكم وأبوداود والنسائي، وصحح الحاكم إسناده (الترغيب والترهيب ٤٦/٣ـ ٤٧).

١٢. أخرجه الشيخان في صحيحيهما (اللؤلؤ والمرجان ٣٤٤/٢).

١٣. أضووا: أي أتى بولد ضاو، أو ضعيف البنية، وتضووا: من ضوى إذا ضعف وهزل، وهذا الأثر أخرجه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء ٧٢٤.

أثر القصة في الأطفال

بقلم يحيى حاج يحيى
المملكة العربية السعودية

مما لا شك فيه أن قارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفا سلبيا من شخوصها وأحداثها، فهو على وعي أو غير وعي منه أقحم نفسه على الحوادث ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك، وبعد ذلك يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق أو يستنكر أو يتملكه الإعجاب (١).

إن هذه المقولة تنطبق على الصغار والكبار، بل هي في عالم الصغار أشد انطباقاً لحبهم الشديد للحكاية واستماعهم بها في وقت مبكر ابتداء من عمر الثانية، ولذا نجد لزاما على أولياء الأمور والقائمين على تربية الأطفال وتوجيههم أن يكون اهتمامهم أكبر في ما يقراه الطفل أو يسمعه، لأن الخطورة في كتب الأطفال - والقصص جزء كبير منها - ليست بالسهولة التي ينصورها بعضنا!

فأثر هذا اللون في تشكيل القناعات وتربية الأذواق لا يستهان بها.

يقول «فرانسوا دانيال» في المؤتمر العالمي للكتاب، المنعقد في مدينة (نيس) العام ١٩٧١م: «إن كتب الأطفال يمكن أن تغير من ذوق العالم، بل تستطيع أن تغير العالم ذاته».

وأيا كانت درجة مصداقية هذا القول فإن التيارات المختلفة تصول في هذا الميدان، إذ امتلأت المكتبات والأسواق بالقصص والمغامرات والمسرحيات التي لا تتناسب في كثير مما تعرضه مع مدارك أطفالنا. بل إن كثيراً مما هو موجود اليوم بحاجة الى أن نعيد النظر فيه، ونسعى الى تنقيته وترشيده.

ولسوف نقف عند بعض الأنواع من القصص التي شاعت بين الأطفال لنتبين مدى سلبيتها أو إيجابيتها من خلال تأثيرها، لا في سلوكهم وحده، بل في معتقداتهم، لأن السلوك تابع للاعتقاد وهو صورته المنظورة المتحركة.

فعلى صعيد حكايات الجن نجد أنها دخلت الى مخيلة الأطفال بعمومها ورهبتها عن طريق الحكايات الشعبية التي تروى لهم؟! وهي بهذه الصورة تدفع بعض الآباء - بحجة الخوف على أبنائهم - أن ينكروا أمامهم وجود تلك المخلوقات، ليبعد في زعمه ما تثيره من رعب وتصورات مخيفة، وبذلك يخالف أمامهم ما جاء في الكتاب والسنة!

إن العرض السليم لهذا اللون من القصص لا يستبعد وجود هذه المخلوقات، كما أنه لا يقبل بالتناول المرعب المخيف المهول لها. وإنما ينطلق من خلال ما ورد في القرآن الكريم: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات /٥٦، وأنه استمع نفر من الجن إلى القرآن فآمنوا به وبرسالة النبي ﷺ وكفر آخرون، وقد سخرهم الله تعالى لنبي من أنبيائه هو «سليمان» عليه السلام، فصنعوا له المحاريب وغير ذلك، وأنهم خلق من خلقه عز وجل، وأنهم لا يؤذون أحداً، ولا يقدرون أن يفعلوا شيئاً إلا بإذن الله وتقديره، فندخل الى هذا الموضوع من باب العقيدة، بعيداً عن الأساطير والخرافات وبذلك نبعد الرهبة والخوف عن نفوس أطفالنا، ونحقق المتعة والفائدة لهم، ولا يجد الأب حرجاً، ولا المربي موقفاً صعباً عند الحديث عن قصص الجن، ومن ثم تتحقق لهم التسلية والإمتاع من خلال الصدق والاعتقاد السليم، وتسلم خواطرهم وتصوراتهم فلا يخدشها إنكار لهذه المخلوقات، ولا يرهبها تعظيم لها من خلال التضخيم والمبالغة.

كما أنه لابد من ملاحظة وجود هذا اللون من القصص وملاءمتها للأطفال وأن ذلك لا يتعارض مع الطفرة التكنلوجية الحديثه وأنهم يعيشون في عصر الأقمار الصناعية، لا لأنها تلبي كثيراً من حاجاتهم الخيالية والعاطفية فحسب، بل لأنها جزء من اعتقاد أثبته الكتاب وأكدته السنة.

ورب قائل يقول: إن ما ورد من قصص الجن والحديث عنهم في القرآن والحديث محدود في حوادث ومواقف، والطفل يحتاج الى مزيد من هذا اللون - ويأتي الجواب: أن قصص الجن لون واحد من ألوان القصة وهناك ألوان كثيرة من القصص يسعد بها الطفل، فلماذا نحصره في قصص الجن فقط؟

ومن الألوان المحببة للأطفال بعض من قصص التاريخ، ولاسيما الأطفال في الثامنة والتاسعة، حيث يميلون في هذه السن إلى معرفة الماضي ويبدؤون بالتوجه الى التراجم وقصص السيرة الذاتية، وكذلك أطفال العاشرة والحادية عشرة يبحثون في هذه السن عن القدوة والمثل الأعلى، وقد تنبه أسلافنا إلى هذا الأمر فقاموا بتعريف الأطفال بسيرة الآباء والأجداد، فقال زين العابدين الحسين بن علي: «كنا نعلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّم السور من القرآن». ونقل عن أحد أحفاد سعد بن أبي وقاص قوله: «كان أبي يعلّمنا المغازي والسير ويقول: يا بني إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها».

إننا لا ننكر أن هناك مجموعات من القصص التاريخي قد سدت فراغاً في مكتبة الطفل المسلم. فهناك من كتب عن السيرة النبوية وأحداثها من الميلاد حتى الوفاة، وهناك من خص الغزوات بقصص اظهر فيها بطولات الصحابة - رضوان الله عليهم - وشجاعة رسول الله ﷺ، وهناك مجموعات قصصية استعرضت حياة الصحابة وأثر التربية النبوية فيها، والتابعين واستقامتهم على المنهج.

ونذكر هنا ما قدمه الدكتور «عبدالرحمن رأفت الباشا» - يرحمه الله - في سلسلتين خص بهما الناشئة: فقدم أكثر من خمسين صحابياً في سلسلته «صورة من حياة الصحابة»، وخمسين تابعاً في سلسلته «صور من حياة التابعين» من منظور إسلامي هادف.

إلا أن بعض الكتّاب لم يميز بين ما يجب أن يقال للأطفال، وبين ما يجب أن يؤخر قليلاً، ربما

لماذا نحصر الطفل في قصص الجن فقط مع أن هناك الواناً كثيرة من القصص يسعد بها الأطفال

الأساطير تتنافى مع قيم الإسلام وعقيدته ومبادئه فلا يصح أن تقدم للطفل المسلم مترجمة أو مقتبسة أو معرَّبة

تنضج عقولهم، وتستوي مداركهم وتتوازن محاكمتهم للأمور. فعمد هذا الصنف من الكتاب إلى التاريخ بما فيه، وراح يعرض على الأطفال معركة صفين والجمل وفتنة مقتل عثمان ومقتل علي ﷺ من دون مراعاة للملابسات في مثل هذه الأمور التي لا يستوعبها الطفل حق الاستيعاب؟! مع أن تاريخنا الإسلامي مليء بالبطولات الرائعة، والصفحات البيض الناصعة، وفيه من المواقف والرجال ما يبعث العزة في نفوس النشء، فهل استوعب هؤلاء الكتاب كل ما في التاريخ من بطولات، وجوانب مضيئة حتى يعرضوا على الطفل خلافات لا يستطيع أن يقدرها حق قدرها، وهو في هذه السن المبكرة؟

وأما قصص الأساطير التي هي عبارة عن حكايات فسر بها الإنسان الأول ظواهر طبيعية كانت تخيفه كالصواعق والرعد والزلازل تفسيراً دينياً، فكان هناك إله للصواعق، وإله للبحر، وإله للبراكين فقد أخذت حيزاً لا يستهان به في مكتبة أطفالنا! وانقسم المهتمون حولها إلى فريقين، الأول: يرفض أن تذكر الأساطير للأطفال في مرحلة الطفولة تعليماً أو ثقافة أو حكاية، وحجتهم في ذلك أن الأساطير معقدة تعقيداً محيراً للأطفال، ومربكا لهم. والآخر: يرى وجوب تعليم الأساطير للصغار والكبار على السواء. وحكايتها لهم، ووجهة نظرهم إنها تقدم تسلية للأطفال، وتستثير خيالهم، فيستمتعون بالمغامرات المثيرة، وبالخصومة والمنازعات بين أبطالها، وتبهجهم بما تقدمه من عجائب(٣).

والقصة كما يراها الروائي الدكتور «نجيب الكيلاني» هي أن الأساطير تتنافى مع قيم الإسلام وعقيدته ومبادئه. فلا يصح أن تقدم للطفل المسلم مترجمة أو مقتبسة أو معرَّبة، نظراً لخطرها العلمي والديني ولكن هل يستمر هذا الخطر طويلاً؟ إنه من الممكن أن يقرأها الطفل ولكن بعد أن يكبر، ويحصن ضد الخزعبلات، ثم تقدم له لمجرد العلم بالشيء مع توضيح أخطاء تصوراتها، لأنها نشأت في عهود الوثنية والضلال(٢). ويركز له على أن الإسلام ألغى الخرافة من حياة أتباعه لمجرد أن آمنوا به، وأن المؤلهات التي يرد ذكرها في بعض التمثيليات باعتبارها آلهة متعددة للحرب والسلم والحب والجمال والريح والمطر، وما إلى ذلك ... إنما هي مؤلهات خرافية ترتبط بأساطير بعيدة عن واقع الحياة والوحدانية المطلقة لله(٤).

وهناك نوعان اخران من أنواع القصة يتطلب الأمر من الأب والمربي أن يطلع عليهما قبل أن يدفع بهما الى الصغار وهما

وتحرّرت كذلك بعائلة الأيوبي، وتحوّلت إلى تعبير عن الجماعة البشرية.

●نموذج مما يوجد في بعض كتب الأطفال في الأسواق

القصص المترجمة وقصص المغامرات

فأما المترجمة على الرغم مما فيها من تعريف بعادات الشعوب وأخلاقها، واطلاع وعلى آدابها وفتح لآفاق جديدة، تخرج الطفل من المجال الضيق المحصور الى مجال إنساني أرحب، فإن كثيراً منها يسبب الانحرافات، ويأتي بالتأثير السيء، «وفي أحيان كثيرة تنتقى على أسس علمية وتربوية ونفسية وعقدية، تتنافى مع عقيدتنا الإسلامية، بحيث تمتلئ بالشعارات والممارسات غير الإسلامية، وتنقل عن الغرب اسلوبه في السلوك والعادات والتقاليد»(٥).

«كما أن تدفق هذه المطبوعات وغيرها يسد الطريق على الإنتاج المحلي، وفي الوقت نفسه يسهم في (فرصة) الأجيال الجديدة، وهي في أكثرها لا تعطي شيئاً ولكنها مثيرة وجذابة بأناقتها وألوانها الزاهية»(٦).

وليس معنى هذا ألا يطلع أطفالنا على ما كتب لغيرهم، ولكن معناه أن نطلع أولاً عليه، ثم نقرر أصالحاً كان لهم أم غير صالح. ولا نجد بأساً أن يقرأوا من هذا المترجم قصص (أليس في بلاد العجائب - سجين زندا - رحلات جلفر) على سبيل المثال...

وأما النوع الآخر فهو قصص المغامرات التي كثيراً ما تطغى عليها المبالغات (كالسوبرمان وطرزان ورامبو) وغيرها. وهذا النوع يستهوي الأطفال في سن العاشرة والحادية عشرة، «وخطورة هذه القصص أن بعضها قد يكون له أهداف غير شريفة كأن يشتمل على حوادث مشجعة على التهور أو اللصوصية»، (٧) ثم إن قيام أبطال هذه القصص بالأعمال الخارقة، وإكثار الطفل من قراءة هذا النوع يؤثر مستقبلاً على نظرته إلى المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه، فيرى من خلال ما يقوم به هؤلاء الأبطال من أعمال خارقة تشابهاً مع ما يجريه الله عز وجل على يدي أنبيائه!! فتفقد المعجزة مفهومها الحقيقي لمشابهتها بعمل يقوم به إنسان عادي.

«والمأساة في هذا النوع أن الصغار يتعلمون أن الأبطال ينفذون كل ما يحلو لهم بأيديهم وسلاحهم المتطور؟! والبطل فيها ينتزع مهمة القانون والقضاء بيده، وهذا سيء جداً على نفسية الطفل الذي اعتاد اللجوء الى والديه في فض النزاع بينه وبين إخوانه .. إنها تمنع ظهور أهم القيم والسلوكات في النفوس ألا وهي احترام القوانين، واحترام الكبار، والذوق واللياقة، إذ تضع الطفل فجأة أمام بطل خارق يأخذ كل شيء بيديه»(٨).

إن ما تقوم به القصة لا يقوم به غيرها من الأنواع الأدبية، فحري بنا أن نقدم لأطفالنا ما يناسبهم ويحقق لهم المتعة والفائدة معاً. ■

الهوامش

(١) «منهج التربية الإسلامية» - محمد قطب - ج١ - ص/١٩٣ .
(٢) «في أدب الأطفال» - د. علي الحديدي - ص /١٥٩ .
(٣) «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» - د. نجيب الكيلاني - ص /٨١-٨٢ .
(٤) نحو منهج إسلامي أمثل - يوسف العظم - ص /٢٠ .
(٥) «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» - د. نجيب الكيلاني - /٣٥ .
(٦) «كتب الأطفال في عالمنا المعاصر» - عبدالتواب يوسف - ص /٢٠ - ٢١ (بتصرف)
(٧) «في أدب الأطفال» - د. علي الحديدي - ص /١٠٢ .
(٨) صحيفة «الشرق الأوسط» العدد ٣٦٤٥ .

تجربة النضال باللغة العربية في أفريقيا

(النموذج النيجيري)

بقلم: الخضر عبد الباقي محمد
باحث وكاتب نيجيري

سجلت اللغة العربية حضوراً واضحاً وإنجازات ملموسة في مجتمعات غرب أفريقيا، ويظهر ذلك جلياً من خلال عدد من المعالم الحضارية والثقافية التي أفرزتها الثقافة العربية في حياة الأفارقة ومجتمعاتهم، فقد كان لقيام الدولة الإسلامية في «صوكوتو» في مطلع القرن التاسع عشر أثره الفاعل في إحياء الثقافة العربية في منطقة غرب أفريقيا، حيث مكن الإسلام من انتشار اللغة العربية والسعي نحو تعلمها لمحاولة قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية، وظهرت الكثير من المؤلفات العلمية باللغة العربية، وأولت تلك الدولة اهتماماً باللغة العربية وخصصت جل إنفاقات بيت المال على نشر الثقافة العربية والإسلامية، وقد أدى هذا الاهتمام إلى ازدهار العلوم وبخاصة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والتصوف، وأثرت العربية في اللغات المحلية حيث أصبحت اللغات تكتب بألفاظ عربية كما هي حال «لغة الهوسا» حتى جاء الاستعمار الأوروبي البريطاني العام ١٩٠٣ م واستبدلها بالحروف اللاتينية.

وعلى الرغم من الهجمات الشرسة والمحاولات الاستعمارية من قوى الهيمنة ومخططات التنصير لقطع الصلة بين المسلمين وتعلم اللغة العربية، من خلال حملات استهداف قوية وضربات متتالية في حاضرتها، فيما بين حرب التغريب من الأعداء من ناحية، وحال تجاهل وعقوق من بعض أبنائها من ناحية أخرى، فإنه لايزال هناك إقبال تلقائي على اللغة العربية لدى المواطنين النيجيريين المسلمين وبحماس ونشاط كبيرين، وبدأت العربية تتجذر في عمق المدن النيجيرية وتؤكد حركة الاستعراب والسعي لاكتسابها؛ وتتواصل وتتوسع وسط أمواج عالية تتجاذبها نحو المد وظاهرة المستعربين وامتداد حركاتهم النضالية بلغة الضاد في مواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، فإذا كان المستعرب هو من يطلب العربية ليصبح لسانه عربياً، فإن المسألة لم تقف عند هذا الحد في جنوب الصحراء الأفريقية، بل أصبحت مسألة تعريب الألسن هاجساً وشغلاً شاغلاً لتعلماء المسلمين الأفارقة ويعتبرونه نضالاً باللغة يستميتون لأجله، لأنه جزء لا يتجزأ من إسلامهم، لهذا رأينا جهوداً ذاتية مخلصة تبذل ومساع حثيثة تكرس تلك عجمة مناك بل آلاف الألسن للشباب والناشئة ومن ثم الكهول، ويقوم في هذا العمل بها أكثر من سبعين ألف مدرسة عربية إسلامية على طول نيجيريا وعرضها، وهناك محاولات فرديةوجماعية ودعوات متكررة بإلحاح شديد من أنصار اللغة العربية وروادها إلى إقرار العربية لغة رسمية في البلاد، وتأتي الدعوات لنشر اللغة العربية لتقف أيضا حائط صد في وجه محاولات أخرى تسير على قدم وساق لنشر الثقافة «الانغليفونية» في «نيجيريا»، لتلعب بذلك دوراً مزدوجاً في مواجهة المد الغربي المتزايد داخل البلاد.

معاناة مضاعفة.

ورغم هذه الجهود لا يمكننا القول: إن الحملة التي يخوضها دعاة اللغة العربية في «نيجيريا» تسير من دون معوقات بل على العكس من ذلك فإن هؤلاء تواجههم تحديات مابين داخلية وخارجية، ومن بين تلك التحديات مايلي:

١- أن المدارس العربية التي تعنى بتدريس اللغة تعد على أصابع اليد وأنشئت بجهود ذاتية، وليست بجهود حكومية أو مؤسساتية، مما كان له تداعيات سلبية في دعم وتمويل تلك المدارس. وبالطبع في القدرة على التجديد والإبداع وابتكار الوسائل ومواكبة الأساليب العصرية التي من شأنها تفعيل رسالة هذه المدارس.

٢ - عدم الاعتراف الحكومي بالمدارس العربية: - بالرغم من الجهد المضني الذي يبذله أصحاب المدارس العربية، فإن ٩٨ ٪ منها ليس معترفاً به رسمياً من السلطات الحكومية في البلاد، وخصوصاً في القسم الجنوبي من نيجيريا، وهذا بالطبع له انعكاسات خطيرة على المؤسسات التعليمية وأصحابها وخريجيها، ورغم أن هذا الوضع لم يكن مرضياً لأصحاب المدارس العربية إلا أن الظروف القاهرة أجبرتهم على الرضوخ له، وفي مقدم ذلك مخاوفهم من السيطرة الحكومية الكاملة التي من شأنها المساس برسالتها وأهدافها الإسلامية، إضافة لعدم قدرتهم على الوفاء بالمتطلبات الرسمية للاعتراف الحكومي الذي يستلزم كلفة باهظة.

٣- ظاهرة الازدواجية اللغوية - الثقافية - من أبرز المشكلات التي تقابل جهود المستعربين في نيجيريا ظاهرة الازدواجية الثقافية التي يعيشها المجتمع، ونظرة هذا المجتمع الى المستعربين، فالثقافة السائدة الرسمية في الأوساط الرسمية وبين صفوف النخبة والمثقفين هي الثقافة الإنجليزية «الأنغليفونية»،ولذلك فإن كثيراً من المثقفين بثقافة عربية وفي أي مجال من المجالات إذا لم يكونوا على قدر من الثقافة الإنجليزية التي تؤهلهم لتقديم أنفسهم، فليس لهم حظ في حضور فاعل ومعتبر على الساحة، مهما بلغوا من الكفاءة والتمكن في مجالات تخصصهم.

٤ - التغييب المتعمد لرواد

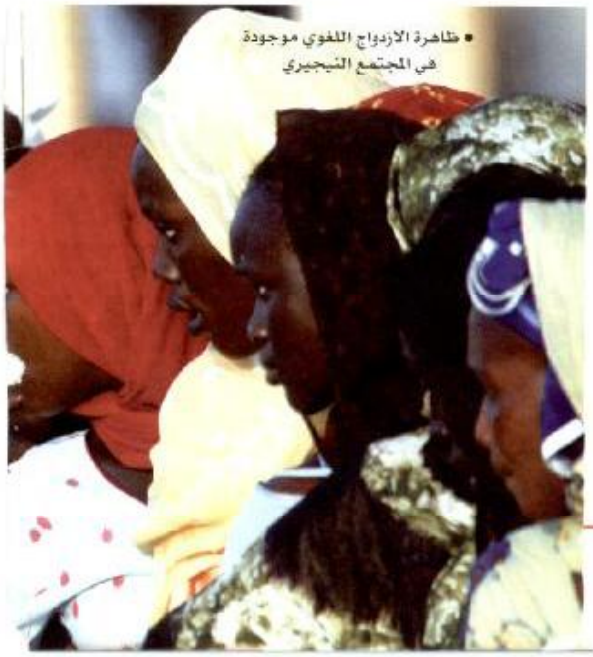

• ظاهرة الازدواج اللغوي موجودة في المجتمع النيجيري

الثقافة العربية في الساحة الثقافية، بسبب عدم الاعتراف الحكومي بالمدارس التي تدرّس العربية، فإن الساحة الثقافية هي الأخرى ترفض الاعتراف بمنتقضي اللغة العربية ما جعل المستعمرين يشعرون بشيء من الدونية، ويعيشون حالة من التهميش والاغتراب داخل مجتمعهم.

٥- مزاحمة الإنجليزية للعربية أو بتعبير أصح (مخالفة الإنجليزية للعربية) وملاحقاتها في كل مجالات الحياة، وهو أمر مشهود وطبيعي في مجتمع يعتمد على الإنجليزية، ولا تحفل وسائل الاتصال الجماهيرية فيه بأن تجعل حظا للغة العربية للتعبير عن نفسها، مما لا يمكّن هذه اللغة أن تنمو، أو يتحسن مستوى المستعربين عن طريق اكتساب مصطلحات ومهارات لغوية جديدة من خلال التعامل اليومي المتعدد.

٦- تدني المستوى الاقتصادي؛ إذ يعدّ الوضع الاقتصادي عاملاً قوياً في تصاعد معاناة رواد العربية في البلاد، فالضغوط الاجتماعية تضاعف من وطأة المعاناة على المستعربين، وهناك أكثر من ٧٠ ٪ من هؤلاء يعيشون في ظروف اجتماعية مالية قاسية جداً ، نظراً لعدم الاعتراف الرسمي بمؤهلاتهم أو قصر مجال عملهم فقط على التدريس في المدارس العربية الدينية الأهلية، كما أن عدم الترحيب بالمتخصصين منهم في مجالات أخرى غير الدينية بسبب النظرة السائدة عنهم عن عدم كفاءتهم وأهليتهم، لأنهم تعلموا بغير لغة العلم، على حد زعمهم، حول عدداً من ذوي الاختصاصات مثل الإعلام والهندسة والاقتصاد وغيرها ،على الرغم من فلتهم، إلى مدرسين عاديين للعلوم الدينية.

٧- مجانية تعليم العربية أو (شبه المجاني) لضمان الإقبال عليها ،في ظل الأوضاع العامة للعربية والمستعربين، جلب على المدارس والمدرسين تداعيات سيئة للغاية، فمجانية التعليم العربي كان لها تأثيرها على تواضع أجور المدرسين، ونتيجة لذلك أضعفت عطاءات هؤلاء المدرسين وتسبب ذلك في ظهور مشكلات كثيرة بين مؤسسي المدارس العربية، أهمها أنهم يعتمدون في تسديد المرتبات على الهيئات الخيرية وطرق أبواب الأثرياء على رغم مما في ذلك من مشقة ومذلة، وسلبيات.

٨- عدم وجود وسائل الاتصال بالعربية، لأن فقدان الوسائل المعينة القدرات الاتصالية يعد المشكلة الكبرى، نظرا لشدة الحاجة إليها، على الرغم من وجود أعداد هائلة من طلبة العلم والأساتذة الذين يتشوقون الى ذلك، فوجود منبر إعلامي باللغة العربية يسهم في توحيد الفكر والرأي العام لهذه الشريحة، إضافة إلى ذلك ليس هناك مطابع ودور نشر عربية ، الأمر الذي يشكل عائقا لنشر المحاولات العلمية والإبداعية، فعلى سبيل المثال هناك جهود من بعض الأساتذة في تأليف بعض الكتب والقواميس اللغوية لطلاب المدارس العربية كا(القاموس النائي « (عربي /هوسا) وآخر (هوسا / عربي) للدكتور «محمد الطاهر داود» وهو عمل مضى عليه أكثر من عشر سنوات وحتى الآن لم يتم نشره، لارتفاع كلفة النشر المطلوبة في دور النشر في البلاد العربية، بالإضافة الى ان نشره محلياً يحتاج إلى بعض الخدمات اللازمة لإخراج مثل هذه القواميس، وهناك كتاب آخر في مبادئ تعليم اللغة العربية وغيرها من الأعمال التي كلفت أصحابها الكثير من الوقت والجهد ، وفي النهاية لا يستطعون أن نشرها، وهذا ماجعل الكثير منهم يتوقف عن الاستمرار».

٩- الدور السلبي لبعض الجاليات العربية»، ولقد يكون من المستغرب أن هناك بعضا من العرب أنفسهم ساهموا في تراجع المد العربي في نيجيريا بسبب الموقف السلبي الذي اتخذوه حيال الجماهير النيجيرية المتعطشة بالإسلام وبحب العربية، فبعض الجاليات العربية المقيمة على أرض «نيجيريا» لم يكن لهم تفاعل إيجابي مع الجهود المحلية لنشر العربية والترويج لها، بل يتهربون من كل دعوة للغة العربية ويزهدون في إظهار أنفسهم عربا فضلاً عن نصرة العربية ، أو تشجيع القائمين على نشرها ، مع العلم أنه بإمكانهم القيام بدور فاعل ملموس في هذا المجال ، فأمامهم فرص كثيرة وكبيرة مثل الدعم المادي وتقديم الجوائز والحوافز، لأن لديهم إمكانات هائلة لكون بعضهم تجاراً ورجال أعمال.

سبيل الخلاص:

وإذا كان هذا بعضا من معاناة المستعربين في «نيجيريا»، فإنني أرى كأحد المهتمين والمعنيين بهذا المجال أن الحاجة ملحة لتقديم المساعدة لهؤلاء في مهمتهم لنشر لغة القرآن في تلك البلاد التي تقع في غرب أفريقيا، وعلى رأس المساعدات المطلوبة إيجاد وسيلة اتصال جماهيرية يمكن من خلالها مخاطبة المتحدثين بالعربية، وتقديم ثقافة مشتركة لهم، وأوكد على أن الصحيفة اليومية هي الأنسب لمخاطبة هذه الشريحة، وفي الوقت نفسه فإن الصحافيين العرب مدعوون لمزيد من الاتصال برواد التعريب في «نيجيريا» ولمزيد من التفاعل معهم، ولا يقل ذلك أهمية عن إنشاء النوادي والمراكز الثقافية، وزيادة عدد المنح الدراسية المقدمة لأبناء نيجيريا من البلاد العربية، حيث تعد هذه المنح من أكبر وأعظم العوامل في توسيع قاعدة المتحدثين بالعربية، وأخيراً فإنه من المهم تعميق عرى العلاقات بين الجامعات النيجيرية ممثلة في أقسام اللغة العربية ونظيراتها في البلاد العربية. ■

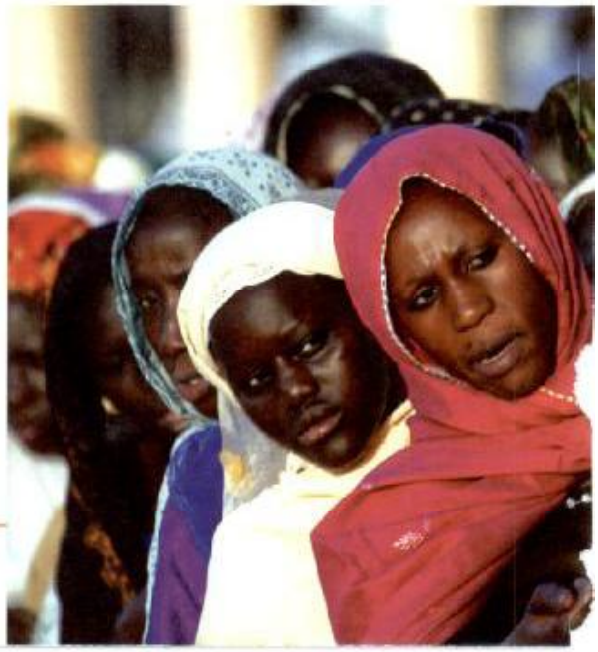

العقاد .. وعبقرية الصدّيق رضي الله عنه

نظرة إلى خير صاحب

بقلم: كمال عبدالوهاب أحمد – مصر
(باحث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)

متى «نصر الله»؟!.. نعم، متى .. متى؟!.. سؤال ملح يتردد في خاطر كل مسلم غيور، فيختلج له وجدانه، ويلهج به لسانه، وذلك إزاء ما جرى ويجرى من نوازل ومهازل تتعرض لها أمتنا العربية والإسلامية، لعله - سبحانه وتعالى - يبدل حالاً بحال، فيجعل من بعد ضيق وشدة فرجاً ومخرجا، ومن بعد ذلة ونكوص عزة وغلبة!

ولكن «نصر الله» لن يهبط - هكذا - من السماء هديه من ذهب على طبق من فضة .. فالسماء لا تمطر مفاجآت او معجزات!.. بل يتحقق هذا النصر باتباع «منهج الله» كما جاء في قرآنه الكريم وسنة نبيه الأمين ﷺ.. أي أن «نصر الله» مشروط بشرط واضح تشير اليه الآية الكريمة صراحة: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾(محمد ايه ٧). ولذلك كان ينبغي قبل أن نسأل (متى) أن نسأل (هل) .. بمعنى هل انتصرنا لله حتى ينتصر لنا ويثبت أقدامنا؟! .. هل أخذنا بالأسباب حتى ننتظر النتائج ونجني الثمار؟!

لقد علم الرسول ﷺ أصحابه مما علمه ربه، وكان لهم - ولمن تبعهم - ان علمهم كيف يكون الأخذ بالأسباب فريضه واجبة، وان البحث عن هذه الأسباب اعتمادا على النفس .. يجب أن يكون عزماً وحركة .. سعياً وإقداماً لتحقيق مراد الله وحكمته من وراء خلق الإنسان ورسالته في هذا الوجود.

ولقد وعى الصحابة الأجلاء الدرس النبوي العظيم، فلم يركنوا أو يتقاعسوا، بل جاهدوا في الله حق جهاده وعملوا وصبروا وصابروا: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾(الأحزاب الآية ٢٣) .. وهنا تحقق وعد الله: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾(الروم آية ٤٧)، فدانت لهم الأرض، وأصبحوا سادة وكبراء، وأسسوا دولة وحضارة أضاءت أرجاء الدنيا كلها.

وكان على رأس هؤلاء الصحابة الميامين «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه، الذي اختارته العناية الإلهية، ليكون صاحباً لخير البرية، صديقاً وفيا ورفيقا، فنعم الصاحب هو، بل نعم الصديق والرفيق:

- صدق لحظة كذب الجاحدون المعاندون!

- وأمن حين أنكر الكافرون المشركون!

- وسلّم وقت ارتاب المشككون الحاقدون!

- واتبع ساعة ابتعد المستكبرون المتعالون!

- وأيقن بعد أن أوجس الواجفون المذبذبون!

- ثم حارب عندما ارتد المرتدون المنافقون!

سئل النبي ﷺ: يا رسول الله! أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قالوا: إنما نعني من الرجال. قال: أبوها.

وكان (عليه الصلاة والسلام) يقول: ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا «أبا بكر»، فإن له يداً يكافيه الله بها يوم القيامة.

ويفسر ذلك قوله ﷺ: ما أحد أعظم عندي يداً من «أبي بكر»: واسابي بنفسه وماله، وأنكحني ابنته.

وكان «عمر بن الخطاب» يقول: «أبو بكر» سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله ﷺ.

يستهل «العقاد» حديثه ببيان حقيقة مكانة «أبي بكر» التي لو لم يؤيدها لسان المقال لأبدها لسان الحال، فإن «أبا بكر» كان ألزم الناس للنبي وأعرفهم بسره وجهره، وأقربهم الى ثقته وحسن رأيه، وكان النبي ﷺ يسمر عنده في شؤون المسلمين ويركن الى مشورته في كثير من الأحايين، وإذا بلغ من شأن رجل أن يكون أحب الناس الى النبي ﷺ فهو أهل لحبه وأهل لثقته لامراء، لأن هذا الحب في النفوس العظيمة قرين الثقة والتقدير لا يخلو منهما ولا ينفصل عنهما، فمن استحق منها الحب الراجح فقد استحق عندها الثقة الراجحة في آن.

فلم يكن حب النبي «أبا بكر» حب الرجل يجزي به من يحبه ويخلص له ويوليه الجميع من ذات نفسه وماله ثم لا مزيد، ولكنه كان كذلك حب الرجل من يستحق منه الحب لفضيلته وكفاءته واقتداره على معونته فيما تجرد له من عمل عظيم لا يضطلع به كل معين.

أما حب «أبي بكر» محمداً، فهو حب الإيمان والإعجاب والولاء، وهو الحب الذي تهون فيه على المرء نفسه وماله وذووه، وينزعه من ماضيه ليستولي على حاضره كله، وما هو أعز عليه من الحاضر وما فيه، وهو الأمل فيما يشهد، بل الأمل فيما وراء الغيب.

يلقي «العقاد» ضوءاً كاشفاً على «مفتاح شخصية» الصديق، موضحا انه الإعجاب بالبطولة ذلك ان «أبا بكر» كان رجلاً عصبي المزاج دقيق البنية، خفيف اللحم، صغير التركيب وأصحاب هذا التكوين يغلب عليهم أحد أمرين: إن كانوا من كرام النجيزة ❖ فهم مطبوعون على الإعجاب بالبطولة والإيمان بالأبطال وإن كانوا من لئام النجيزة، فهم مطبوعون على الحسد والكيد، وهما ضرب من الإعجاب المعكوس.

ولهذا يصح أن يقال: إن أصحاب البنية الدقيقة والمزاج العصبي مطبوعون على الشعور بالعزة على حال من الأحوال، فإن كانوا كراما شعروا بها مغتبطين مؤيدين، وإن كانوا لئاما شعروا بها محنقين متبطين.

إن الإعجاب بالبطولة هو الوسم الذي يتسم به كل عمل من أعماله، وكل نية من نياته، وهو السر الذي نراه كامنا في كل رأى يرتئيه، وكل قرار حاسم يستقر عليه.

والإعجاب بالبطولة في التاريخ الإنساني شيء عظيم. ليس بعد البطولة منزلة يشرف بها الإنسان أشرف من منزلة الإعجاب بها والركون اليها.

لأن الفضيلتين معا لازمتان جنبا الى جنب في كل أمر جليل، ثم في تاريخ الإنسان وكل طور من أطوار التقدم ارتقى اليه.

ويزيد «العقاد» الأمر توضيحاً بالاشارة إلى أن البطولة التي أعجب بها «أبو بكر» هي البطولة التي ليس أشرف منها بطولة تعرفها النفس الإنسانية.

هي بطولة الحق، وبطولة الخير، وبطولة الاستقامة، وهي بعد هذا - وفوق هذا - بطولة الفداء، يقبل عليها من أقبل وهو عالم بما سيلقاه من عنت الأقوياء والجهلاء .. تلك هي بطولة «محمد» ﷺ.

بعدها نجد «العقاد» يركز شعاعاً نافذا يضيء لنا ويظهر دور «أبي بكر» الرائع في تأسيس وتأمين الدولة الإسلامية، فذكر أن الصديق وطّد العقيدة وسير البعوث، فشرع السنة الصالحة في توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه في حرب الردة، وشرع السنة الصالحة في تأمين الدولة من أعدائها بتسيير البعوث وفتح الفتوح. فكان له ﷺ السبق على خلفاء الإسلام في هذين العملين الجليلين.

إن الذين أسلموا على يديه كانوا من عظماء القوم وضعفائهم على السواء.

فقد كان لإسلامه أثر بالغ بين السادة، وكذلك بين العبيد والأتباع.

الإعجاب بالبطولة هو الوسم الذي يتسم به كل عمل من أعمال أبي بكر وكل نية من نياته

فقد أسلم على يديه رهط من أكبر السادة والقادة في الإسلام .. أسلم على يديه «عثمان بن عفان»، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن ابي وقاص، وابو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عبدالأسد ابو سلمة، وخالد بن سعيد.. ومنهم من أسلم وهو شاب ناشئ كسعد والزبير، فكانا فتوة للإسلام حين جد الجد واشتدت سواعده بسواعد فتيانه الأبرار.

واشترى نفرا من العبيد المرهقين: منهم «بلال بن رباح» مؤذن النبي ﷺ، وهو لا يبالي - ما يبذل من ماله وجهده لينقذ اولئك المساكين من ايدي المشركين ويريحهم من قسوة السادة المتجبرين، فكان كسبه لقلوب الضعفاء اربح للإسلام واجدر بسمعته ورحمته من كسبه قلوب العلية الاعلام. ولعل الدعوة الجديدة كسبت بين الأمم بهذه الرحمة اضعاف ما كسبته بهداية الشرفاء الذين اقتدوا به ونهجوا إلى النبي من طريقه.

ثم كانت البيعة بالخلافة..

وكان بعث «أسامة بن زيد». وكانت حروب الردة، وكانت بعوث العراق والشام، فقام على هذه المآثر الثلاث التي لا يقضي حقها من الإكبار كل ما قام بعد ذلك من بناء.

بعث أسامة العنوان الأول كما ذكر «العقاد» لسياسة عامة في الدولة الإسلامية، هي في ذلك الحين خير السياسات، كان قوامها كله طاعة ما امر به رسول الله ﷺ.

وقد كان التمرد هو الخطر الأكبر في ذلك الحين لامراء: كان النفاق يطلع رأسه في مكة والمدينة، وكانت القبائل البادية تتسابق الى الردة في انحاء الجزيرة، وكان جند «اسامة» نفسه يودن لو استبدل به أميرا غيره. وكان «اسامة» اول من يشك في طاعة القوم اياه ويترقب ان يخلفه على البعثة أمير سواه، تمرد، أو تدبر بتسمرد. في كل مكان!. فإن بضيت الطاعة فقد بضي كل شيء.

وهنا تسعف الصديق طبيعة هي أعمق الطبائع فيه، أو هي العبقرية الصديقية في أوانها.

هنا تسعفه ﷺ القدوة القويمة بالبطل المحبوب ﷺ وهنا يقول وقد خوفوه الخطر على المدينة والجيش بفارقها:

«والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله! ولو أن الطير نخطفتنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش اسامة!»

لقد رأى «أبو بكر» العصمة - حق العصمة - في رأي واحد لا يرى قبله ولا بعده، وهو الضاعة في غير لي ولا خوادة ولا إبطاء، فشيع البعثة وهو ماش على قدميه وعبدالرحمن بن عوف يقود دابته بجواره، فقال «اسامة»: يا خليفة رسول الله، لتركبن أو لأنزلن. فقال: والله لا تنزل، ووالله لا اركب، وما علي أن اغبر قدمي في سبيل الله ساعة.

ثم قال لـ «اسامة»: اصنع ما أمرك به رسول الله ﷺ .. ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله.

ويتساءل «العقاد»: أفكان المؤرخون المحدثون على صواب في امر هذه البعثة حين قالوا إنها من النوافل بعد مقتل القاتل لزيد أبي أسامة؟! .. يجيب «العقاد» مؤكدا: إنهم لعلى خطأ في كل تقدير فدروه، لأن مقتل قائد في معركة ليس بالجريمة الفردية التي يعاقب عليها القائد وحده، وانما المسألة هنا مسألة الجيش كله، وهيبة الأمة التي أرسلت ذلك الجيش وتمثلت فيه بقوتها ومناعة حوزتها، فإن لم يقع في روع الأعداء المقاتلين أن ذلك الجيش قوة تهاب فقد بطل الغرض كله من القتال!

● عباس محمود العقاد

وفي هذه البعثة بعينها، ماذا كان يحدث لو أن قبائل «غسان وقضاعة» استضعفت شأن المسلمين، وفي ايديها الطريق بين بلاد العرب وبلاد الروم؟!..

يضيف «العقاد»: أن كل شيء جائز، وأوله إغراء الروم بالهجوم ولهم عون من تلك القبائل ومن يجتمع اليها من المجترئين والمتحزبين.

ولقد ادرك اناس في عصر أبي بكر صواب الرأي في إنفاذ تلك البعثة.

وروى مؤرخو تلك الفترة أنها كانت لا تمر بقبيل يريدون الارتداد إلا تخوفوا وسكنوا، وقالوا فيما بينهم لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء!

فإذا كان بقاء أسامة جائزا لدفع خطر، فإرساله كذلك جائز لدفع خطر مثله، وفازت الدولة بين هذا وذاك بدرس الضاعة، وهو يومئذ ألزم الدروس!

يرى «العقاد» أنه هكذا قدر للخليفة الأول أن تتوطد على يديه دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في سياستها الخارجية.

إنه سير البعوث لإخضاع الجزيرة العربية، وهي ترتج رجتها الكبرى، وليس معه من الجند إلا قلة محدودة من أهل تلك الجزيرة!..

وإنه سير البعوث الى تخوم فارس والروم، وليس معه من قوة غير المسلمين من العرب، مع ما بين جيش الخليفة وجيوش المرتدين من تفاوت!

ويتساءل «العقاد» أيضا: أفكانت هذه البعوث مجازفة؟!.. أفكانت يقيناً لا تصحبه الروية، وهي في الدين الإسلامي مطلوبة مع اليقين؟!.. ويرد «العقاد» شارحا أن الخليفة الأول قد أعطى الرؤية حقها، كما أعطى اليقين حقه.

وحسبنا من ذلك حيطته في حراسة المدينة وتبييت الجند بالمسجد حين تجرد لكفاح أهل الردة. ثم وصيته لـ «خالد بن الوليد»، وأيضا لـ «يزيد بن أبي سفيان» في فتوح الشام، ويردف «العقاد»: فالرجل الذي لا تفوته فائتة من شأن القبائل التي يرسل إليها بعوثه، والرجل الذي يختار القائد فيحسن اختياره، ثم لا ينسى وصيته وتحذيره وإتمام عدته بما يقارب عدة عدوه، والرجل الذي يفرق ذلك كله بالحيطة في مدينته، ليس هو الرجل الذي يزجي البعوث إلى تخوم فارس والروم، ولم يأخذ للأمر حيطته أو رويته، وإنما يرجو الغلبة بالفيل على الكثير، لأنه يعتمد على «عدة الإيمان» ويعلم كما قال لـ «يزيد بن أبي سفيان»: «قد نبأنا الله أن الفئة القليلة منا تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنا مع ذلك ممدكم بالرجال في إثر الرجال حتى تكثموا ولا تحتاجوا الى زيادة إنسان».

كان ﷺ يعلم أن الفرس قد خسروا قبل الإسلام وقعة «ذي قار»، وهم أقوى صولة والعرب أضعف شأناً من شأنهم بعد الإسلام .. وكان يعلم أن الروم قد صبروا على بعثتين عربيتين بلغتا من بلادهم إلى التخوم وأوغلتا في بعض الأطراف، ثم فترت همتهم عن مقابلة ذلك بالقمع والقصاص السريع. وكان يعلم ايضا أن العرب إن طلبوا الدين حاربوا صادقين في القتال، وإن طلبوا الدنيا حاربوا صادقين في القتال. وانهم موعودون بالنصر ومؤمنون بصدق الوعد، ومقبلون بنفوس تحب الموت كما يحب أعداؤهم الحياة!.. ليس هناك - إذن - مجازفة او تسرع. بل هو القرار الحكيم في الوقت المناسب السليم.

وقبل الختام، يرسم «العقاد» صورة مجملة للصديق ﷺ فيشير إلى انه الأمين، وأكثر من الأمين .. الأمين في الصداقة والحكومة والسيرة والمال، والأمين في الإيمان .. عصمته العواصم من فتنة الغواية، فولد كريما تعنيه العزة بين الأقوياء، ولا يعنيه الطغيان على الضعفاء. وكبر وليس له مارب في سيادة باغية، ولا في صولة دائمة، وكبر في تكوينه حدة الشعور وحماسة اليقين، وسليقة الإعجاب، وعصمة المروءة والوقار. وكبر وكل فضيلة فيه تكبر الى امادها، فلما مات كان أكبر ما كان، وأكبر ما يتأتى أن يكون.

مات وهو صاحب الدعوة الثاني في الإسلام، فكان الثاني حقا بعد النبي ﷺ في كل شيء، من قبول الإسلام إلى ولاية أمر الإسلام الى تجديد دعوة الإسلام، ثاني اثنين وأول مقتد وأول مجيب.

ذلك موضعه في تلك الدعوة الإنسانية التي نشأت في أمة واحدة، ثم غيرت ما بعدها في جميع الأمم، سواء منها من علم بها وما لم يعلم، وهو دعوة صديقة وصفيه ونبيه محمد ﷺ.

وبعد .. فقد كنا مع «العقاد» وقفات من عبقرية الصديق، فنعل في سيرته العطرة - وغيرها - ما ينتشلنا من مستنقع العجز والهوان الذي سقطنا فيه. ويدفع بمياه نظيفة في بحيرة أوضاعنا الراكدة الآسنة .. وصدق الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». ■

* التحيزة: الطبيعة*

هل تصلح الدراما أن تكون وثيقة تاريخية؟

بقلم حسين منصور محمد السخاوي – مصر

سؤال ينور في الرؤوس ثم يضيع صداه في زحام الأفكار وسرعة إيقاع الزمن وهرولته، ولكنه يتجدد دائما وتثيره مسلسلات التلفاز التي تأخذ التاريخ مادة لها أو تستمد مادتها الأساسية من التاريخ، فمن «عمرو بن العاص الى بونابرت مرورا بـ «هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين قطز، والظاهر بيبرس» نبحث عن دقة الحدث وتدقيق المؤرخ، وحياديته فنجد القليل منها قد تحقق، ولكن ما يتأكد لنا دائما هو بقاء الرؤية الأحادية للمؤلف التي قد يقدم الاعتماد عليها عملا شائها لا يراعي دقة الحدث المسرود ولا مستوى لغة الخطاب في الزمن عينه الذي يتناوله المسلسل ويكون المبرر في ذلك أقبح من ذنب، وهو نحن لا نقدم درسا في اللغة أو التاريخ، نحن نقدم مسلسلا اجتماعيا يأخذ من التاريخ، وعلينا حينئذ ان نسكت وكأنه ليس من حقنا أن نغار على لغتنا التي يراق دمها باسم الدراما فلا يجب ان نسأل، هل هكذا كان يتحدث «عمرو بن العاص» القرشي؟ وهل تعبير مثل «وقد رفيع المستوى» يمكن اعتباره منتميا لأساليب العرب في فترة ما قبل الإسلام او في صدره.

إن لغة كالتي قدمها مسلسل عن «عمرو بن العاص» في رمضان قبل الماضي ١٤٢٤ هـ في تلفاز جمهورية مصر العربية لم يكن ينقصها سوى مفردات من اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسية لتتحول الى لغتنا نفسها التي نستخدمها في حياتنا اليومية وكأن لا فرق بين الزمانين يمكن أن نراعيه لنحفظ لزمن الحدث قيمته وإعداد المشاهد لاستقبال قيم تختلف عن قيم السوق التي يعيشها: فلغة تقترب من لغة اهل المدن لا تتناسب مع قوم عاشوا محاربين ودرجوا في الصحراء، وبناء على اللغة فإن «عمرو بن العاص» كان قريبا تاريخيا لـ «عمر بن عبدالعزيز» فلا فرق بين مكة ودمشق في نظر المؤلفين ثم تأتي بعد اللغة والحدث صورة الشخصية التاريخية التي قدمها مسلسل «عمرو بن العاص» فنجد المسلسل يتعامل مع صفة الدهاء التي اشتهر بها «عمرو بن العاص» باستخفاف فيتحول بفعل المؤلف الى (الحاوي) الذي يخرج البيضة من عين الإنسان، أو يحول الحمامة البيضاء الى كتلة من رماد: فهل تريد أن يكون انطباع الناس عن «ابن العاص» الذي لم يروه أو ربما لم يقرأوا عنه هو الانطباع عينه عن البهلوان؟

وتأتي الصورة الباهته لـ «عبدالله بن عمرو بن العاص» فهو صبي يتحدث كالطفل ويتحرك كتاجر مبتدئ كل ما يعنيه أن يكسب من تجارته، «عبدالله بن عمرو» الذي كان رسول الله ﷺ يأتمنه على حديثه، قال مجاهد «رأيت عند (عبدالله بن عمرو) صحيفة فسألته عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد (عبدالله) نفسه» يقول «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه».

وكان يقرأ التوراة ويعلمها ويعرف السريانية

وقد أقره معاوية على ولاية مصر بعد وفاة والده، وهو أحد مؤسسي مدرسة مصر في الحديث والفقه ونقل عنه فقهاؤها ورواة الحديث فيها، يقول عنه أبو هريرة «ما أجد من صحابة رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني الا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب».

ثم يأتي ما هو أخطر ويمس العقيدة مساً خطيرا

فـ «عمرو بن العاص» يقتحم على ملك عمان مخدعه بليل وفي وجود نسائه، فهل تحقق المؤلف من ذلك تاريخيا؟ هذا ما أشك فيه الشك كله، فهذه وصية «أبي بكر» لجيش أسامة «أيها الناس لا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا صغيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقطعوا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة أو بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».

ثم يأتي السؤال هل هذه الوصية كانت نابعة من روح الإسلام أم أنها محض بلاغة من «أبي بكر»؟ هل سمع «عمرو بن العاص» هذه الوصية حتى لا يكره ملك عُمان على الدخول في الإسلام أو يقبل «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» البقرة ٢٥٦

لماذا نُصدّر قيم مجتمعنا؟

(إن أهل المدينة يحبون الفسق والزور وخصوصاً في شهر رمضان)

هل تحقق المؤلف من ذلك تاريخيا قبل أن يقدم لنا صورة عن أهل المدينة وكأنها نسخة من القاهرة في احتفالها بشهر رمضان رغم أن القاهرة لم تبن إلا في أيام الفاطميين وفي زمن «جوهر الصقلي» ومن يحمي تراثنا وأبناء جلدتنا من ذلك الزيف الذي يمس الوعي بتاريخنا ومن يحمي رمز أمتنا من العبث؟

نعود مرة ثانية للسؤال الذي بدأنا به، ويثور مرة ثانية عندما نجد برامج التلفاز تستشهد عند تناولها لحدث تاريخي أو تقديمها لشخصية سياسية بمشاهد قدمتها السينما أو الدراما التلفازية، فالحديث عن ثورة العام ١٩١٩م المصرية يصاحبه عرض لمشاهد من أفلام «حسن الإمام» المأخوذة عن ثلاثية «نجيب محفوظ» الروائية وكأن الفيلم شاهد عيان على الحدث وكذلك الحديث عن «صلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز» رغم ان المشاهد التي يتم الاستناد إليها والتي تمثل رؤية المؤلف والمخرج السينمائي، فقط إلا أن برامج التلفاز تقدمها كأنها حقيقة ثابتة.

إن الثقة فيما تقدمه الدراما من موضوعات تاريخية جعل احد أشهر مذيعي قناة النيل للأخبار المصرية وهو «تامر أمين» يستسلم استسلاما تاما لها في حلقته عن المجاهد «الليبي «عمر المختار» لمشاهد الفيلم الذي يحمل الاسم نفسه «عمر المختار» وذلك في برنامجه الأسبوعي بالنمط الصغير خلال العام المنقضي ٢٠٠٤م ولدرجة أنه كان ينطق اسم القائد الايطالي «جرازياني» باللكنة نفسها التي قدمت بالفيلم الأمريكية (جرتسباني) فلمجرد عدم التدقيق في صحة اسم شخصية تاريخية معروفة يجعلني كمشاهد أتوجس عند تلقي ما يقدمه البرنامج من معلومات الغرض منها بناء وعي الجماهير بتاريخها ونضال أمتها.

ومن واجبنا حين نتحدث عن التاريخ الديني منه على وجه الخصوص أن نذكر عملا جديرا بالتقديم وهو مسلسل «محمد رسول الله» الذي كتبه الراحل «عبدالفتاح مصطفى» عن قصة «عبدالحميد جودة السحار» والذي قدم جانبا من حياة الأمم الدينية وبخاصة بني اسرائيل وانتقال النبوة من نبي الى آخر من «ابراهيم عليه السلام مرورا بلوط عليه السلام الى موسى، كليم الله واللغة الراقية التي قدم بها واقتفاء اثر الحدث وتأصيله يجعلنا نقف احتراما لعمل يحترم المشاهد وعقيدته حين يبرز القرآن كمصدر أساسي ومصباح هداية حين تختلف الروايات.

وآخر ما تم عرضه من أعمال درامية تمثيلية تأخذ من التاريخ مادتها الرئيسة مسلسل «الطارق» الذي كتبه «يسري الجندي» وبعد مشاهدته ثار السؤال نفسه: هل يصلح المسلسل لأن يقدم لنا وثيقة تاريخية نتلقاها بنفس راضية؟ وكانت إجابتي لنفسي قاطعة: لا.

إن حساسية الحدث الذي تناوله مسلسل الطارق تكمن في أنه يدعي التاريخ للفتح الإسلامي للأندلس كما عرفت فيما بعد وهي حلقة مهمة في سلسلة الفتوح الإسلامية التي انتقلت من «مكة المكرمة» ثم انتقلت قيادتها إلى «دمشق وبغداد» لتصل الى أطراف الأرض ناشرة الدين الحق ومؤكدة دعوة محمد ﷺ وأنها دعوة للناس كافة، وان نشر الدين يستلزم الدعوة باللسان.

قال تعالى (يأيها المدثر. قم فأنذر) المدثر ١، ٢، حين أرسل محمداً ﷺ الرسل إلى الملوك والقياصرة والجهاد الحربي ممثلاً في غزواته ﷺ وسراياه التي أرسلها إلى أطراف الجزيرة العربية يحميها إيمانها بما أنزل الله من أمر الجهاد.

وما يؤكد إجابتي بالنفي أمور عدة منها:

- أن الفتح الإسلامي مبني على عقيدة تدعو إلى الجهاد وهو مستمر من دون ارتباط بشخص بعينه، وهذا تؤكده المسيرة طوال تاريخها يقودها «محمد ﷺ

أو خالد بن الوليد، أو أبو عبيدة بن الجراح أو سعد بن أبي وقاص، أو عمرو بن العاص أو عقبة بن نافع أو موسى بن نصير أو طارق بن زياد». وبلا اتكاء على مساعدة أو انقلاب والٍ على ملكه كما فعل «يوليان» حاكم سبتة وهذا يؤكده استمرار الفتح واتجاهه ناحية فرنسا في غرب أوروبا ومحاولة الالتفاف لفتح روما وقسطنطينية وأن توقف فيما بعد.

(الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) التوبة ٢٠

ثم ماذا ننتظر من مسلسل أخذ مؤلفه على عاتقه تقديم صورة بانورامية للحياة السياسية قبل فتح الأندلس، فينتقل من قسطنطينية إلى دمشق إلى شبه جزيرة إيبيريا متناولا كذلك استيلاء «فريدريك» على اسبانيا، وأسطورة «فلورندا» ابنة حاكم سبتة «يوليان»، وحياة البربر وارتداد كسيلة وموقف «الكهنة» ونشأة «طارق بن زياد» واستشهاد عقبة وتولية «موسى بن نصير» وموت «الوليد» ونوبة «سليمان بن عبدالملك» أن يدقق في الحقائق التاريخية فيقدمها نامة لا خلاف عليها ولكنه أخذ من كتب التاريخ ما يخدم فكرة الدراما التي تقوم على الحدث والفعل اللذين يصنعان الصراع مثل الخلاف بين «موسى بن نصير وطارق بن زياد» قائده ومحاولة «سليمان» أن ينسب فتح الأندلس لنفسه طالبا من «موسى» أن يبطئ في الحضور الى دمشق حتى يموت «الوليد» أخوه.

ثم إن «موسى وطارق» استكملا الفتح معا الى نهايته فأين الضغينة والخلاف الذي تختلف حوله الروايات؟

فالأساطير التي حولها المسلسل إلى حقائق لا يمكن الاتكاء عليها عند عرض حدث تاريخي في أهمية فتح الأندلس مثل قصة «لذريق» أو «فريدريك» مع «فلوريدا»، وكذلك أسطورة الطلسم التي لعب الخيال الشعبي دورا كبيرا في بنائها ملء الفراغ الذي تركه الفتح والانتصار المذهل للمسلمين على «القوط» في نفوس الشعب الأسباني.

ان اقحام فكرة التسامح الديني من دون داع لوجودها ممثلة في حوار الأب «أوباس» مع «أبو عمر» الذي يمثل داعية مسلما وقوله: إن المسيحية كانت مثل الإسلام، ولكن جاء من أفسدها من الملوك مثل «لذريق»، وكان إفساد الملوك لأديانهم هو الداعي لوجود الإسلام الذي بشر «عيسى» عليه السلام بنبية قبل أن يولد «لزريق» (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ... الآية) الصف - ٦

وهل تشر الدعوة الإسلامية مرهون بفساد من كانت تتوجه ناحيتهم جيوش الإسلام المجاهدة؟ أم أن نشر الدعوة واجب مطلق يتحتم القيام به نحو كل من لا يدينون بالإسلام من دون قيد أو شرط؟

إن تسامح الإسلام قد أثبته موقف ملوك اسبانيا بعد سقوط قرطبة حيث مارسوا كل ألوان التعذيب ضد المسلمين ليتركوا دينهم على يد «فرناندو وايزابيلا»، ومحاكم التفتيش الشهيرة.

● المسلسلات الإسلامية يجب ان تعتمد على مادة تاريخية موثقة

بين «جان دارك وطارق بن زياد»

ثم يأتي أخطر ما قدمه مسلسل «الطارق» وهو شخصية «طارق بن زياد» التي تتحرك طوال الوقت بدافع من نداء خفي يدفعه نحو «القوط» لينقذ رفقاء طفولته وتلك النبوءة التي قدمها له عراف بأن اسمه سيطلق على جبل، وتبقى النبوءة ملازمة له حتى النهاية ممثلة في شخص العراف الذي يظهر له داخل خيمته وقت الحرب.

إن شخصية «طارق بن زياد» بهذا الرسم الذي قدمه المسلسل تتحول إلى جان دارك أخرى، «جان دارك» في الضفاء الفرنسية التي عاشت اثناء حرب المئة عام في القرن الخامس عشر لما احتل الانجليز مدنا فرنسية وطلبت من الملك شارل أن يحارب الانجليز وتحرير فرنسا وأنها ستشاركه الحرب واثقة من النصر وكان الدافع في ذلك أنها تسمع أصوات ما يدعون بالقديسين ولكن رجال الكنيسة اتهموها بالهرطقة وحكموا عليها بالحرق، وردت الكنيسة الكاثوليكية اعتبارها في عامي ١٩٠٩م، ١٩٢٠م رغم أن المحاكمين لها كانوا من رجال الدين.

ثم يأتي السؤال: هل استمرار الفتح الإسلامي مرتبط بشخص أو رغبة في تخليص شخص؟ هل ينصب القائد المسلم نفسه مخلصاً متبنياً فكرة التخليص والمخلص المسيحية؟ بالتأكيد لم يكن ذلك يدور في رأس أي قائد أو جندي مسلم وقت سيره نحو الفتح الذي يوجبه نشر الدعوة بالجهاد والحسنى.

وتقديم الحدث التاريخي الذي يتناول فترات لاقنع فيها مشعوعا بتبرير لهذه الحروب بضعنا في موضع المدافع حتى لا نتهم بالضعف أو البربرية مثلا وكأن الأمر لم يكن منعقدا بالعقيدة.

إن المعارك التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم عبر مسيرة الفتح الإسلامي كلفتهم عددا كبيرا من الشهداء في فتح بلاد فارس والعراق. وفي حروبهم مع الروم وفي شمال إفريقيا، وفي الأندلس تقدمها الدراما التلفازية باستخفاف شديد وتصور المعركة كأنها نوع من اللهو مع صبي ضعيف يقتل أو يهرب من أول جولة، ان الرومان الذين بنوا حضارتهم على أساس عسكري لا يهزمون بهذه السهولة من دون خسائر واضحة في الطرف الآخر ولا يقبل العقل الواعي ذلك، وإذا ذكرت كتب التاريخ أن المسلمين انتصروا على الروم أو الفرس أو القوط فهذا لا يعني أنهم أمم ضعيفة لا تقوى على القتال، وأن يوم مؤته يوم مشهود في تاريخ المسلمين.

فمعركة مثل معركة «شذونة» التي دارت بين جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد وجيش القوط بقيادة لذريق استمرت سبعة أيام شديدة القتال قدمها المسلسل «الطارق» في دقائق بمس فيها سيف القوطي سيف المسلم وكأنهم يلهون، في حين يبالغ في عرض ملابس القادة، وقصور الملوك.

«قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما» الفتح ١٦

إن الذي يميز كتب التاريخ في تقديم الوقائع أن الدراسات التاريخية الجادة والدقيقة التي يقدمها المؤرخون تعرض كل ما طرح حول الحدث وتوثق ما ورد من روايات وتصوب ما تصوره الدراسة الجادة بأمانة وحياد أما الدراما التلفازية سواء أكانت سينمائية أم تلفازية فهي تمثل رؤية أحادية، تبناها المؤلف وهي اقتطاع من سياق التاريخ لتأكيد وجهة نظر المؤلف أو المخرج الذي يكون له اتجاهه الفكري الذي قد لا يتطابق والرؤية الإسلامية الصحيحة ثم تزيينها وتقديمها على أنها حقيقة ثابتة. ■

مراجع

١- دولة الإسلام في الأندلس (محمد عبدالله عنان)
٢- محاكم التفتيش في الأندلس (محمد علي قطب)
٣- ملحمة السيد (ترجمة الطاهر مكي)
٤- دراسات عن الأندلس (محمد محمد زيتون)
٥- فجر الإسلام (أحمد أمين)
٦- على رقاب العباد (أنيس منصور)

جماليات الفن الإسلامي تظهر في الخزف والزجاج والقاشاني

بقلم: أ. د. بركات محمد مراد
أستاذ الفلسفة الإسلامية - كلية التربية
جامعة عين شمس - مصر

تعتبر الحضارة العربية الإسلامية إلى جانب حضارة الشرق الأقصى من أكثر حضارات العالم التي اهتمت بهذا الفن

فن الخزف من اروع ما ترك لنا الفنان في العالم الإسلامي القديم بأصالة خاصة وإبداع متميز، فهو فن ينتج من رؤية فنية لها استقلالها، ولقد اكتشفت قطع الخزف الإسلامي القديم في الفسطاط وسامراء والرقة والمدائن، وتبين أن هذه الأواني إنما صنعت للزينة أو لرجال الحكم.

واشتهرت هذه المدن بصناعة الخزف من صحون وأطباق وأوان، ولذلك اعتبرت الحضارة العربية الإسلامية إلى جانب حضارة الشرق الأقصى من أكثر حضارات العالم التي اهتمت بهذا الفن.

ولقد اشتهرت إيران بهذا الفن، ومن ثم انتشر في البلاد العربية في عهد العباسيين، حيث تعود أقدم النماذج المهمة إلى بداية الحكم العباسي وتمكن الخزافون في العراق من الاستفادة من العلوم المزدهرة لاختراع تقنيات جديدة في ظل الخزف وتزيينه، منها مثلا تقنية الخزف ذي البريق المعدني وهي تقضي بوضع غشاء رقيق من المعدن فوق قشرة الخزف الملونة أو الشفافة، وقد انتشرت هذه التقنية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وانتقلت من الأندلس إلى إيطاليا في القرن الرابع عشر ميلادي.

والخزف طين مشوى بأشكال مصبوبة ومغطاة بدهان أزرق أو أخضر أو ذي بريق معدني بإضافة أملاح الحديد والأنتمو إليه، وغالبا ما يكون الخزف مرسوما فوق الطلاء أو تحت الطلاء، أو مرسوما بالبريق المعدني، ويصنع عادة من طفل أصفر مغطى بطبقة غير شفافة من الميناء القصديرية، ترسم عليها الزخارف بالأكاسيد بعد حرقها، وكان الخزافون يشوون سطح الخزف، مما يحدث عليها فراغات صغيرة بملأونها بالألوان، ولا تعود أهمية الخزف الإسلامي إلى تقنياته بل إلى رسوماته التي تختصر جمالية الفن الإسلامي.

وبرغم أن الخزف الإسلامي اقل صلابة من البورسلين الصيني، فإنه تميز في التزجيج

القصديري بدفء ونعومة في الملمس، وتميز في لون الضخار المزجج بطلاء رصاصي بلمعان براق، وتميز في انية (الفرات) FRIT بلمعان باهت، والأهم من كل ذلك تمكن الفنان من وحدته الزخرفية وصياغتها بإحكام على كل خامة استخدمها في إبداع متجدد.

ولقد خرجت لنا حفريات زاره Sara وهرتزفيلد Hersfeld في سامراء، اروع أمثلة من الأواني ذات البريق المعدني، وفي جامع القيروان مئة وتسعة وثلاثون بلاطة تشكل إطار محراب الجامع الكبير لعلها صنعت بطريقة القرطاس Borbotine التي تنتج من دفع عجينة لينة في ثقب قمع أو قرطاس فيشكل رسوما نافرة، ومن الخزف ما ينسب الى مدينة الرقة (في سورية) وهي ترجع الى القرنين «١٢ - ١٣ الميلاديين» أي إلى العهد السلجوقي والأتابكي.

ولقد عثر على أنواع كثيرة من خزف الرقة ذي البريق المعدني وذي الزخارف المرسومة، وهناك أنواع أخرى من خزف الرقة نوع رسمت زخارفه باللون الأسود تحت طلاء أزرق فيروزي (١).

وهناك الأواني المرسومة بألوان متعددة كالصحن الذي عثرت عليه بعثة الباحث «أولغ غرابار» في آثار «قصر الحير الشرقي» الذي أنجز في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي وهو من مجموعة متحف «تدمر»، وهناك بعض المنحوتات الخزفية الصغيرة التي تمثل حيوانات أو شخصيات ومنها على سبيل المثال منحوتة على شكل امرأة مقتعدة الأرض وقد طلي جسدها بقشرة زرقاء فيروزية. وفي المتحف الوطني بدمشق نماذج من خزف مدينتي الرقة والرصافة بجميع أنواعه، ولقد استمرت صناعة الخزف في مصر وسورية في العهد الفاطمي وفي العصر الأيوبي والمملوكي.

ويمكن تقسيم الإنتاج الخزفي الإسلامي الى ثلاث فترات: الأولى الانتاج الخزفي من القرن التاسع تمتد الى القرن الثاني عشر، وكيف استطاع فنان ذاك العصر أن يخرج في الدولة العباسية من إسار الخزف الصيني كصناعة، إلى صياغة الخزف ذي البريق المعدني مما اعطاه حرية في التركيب التي شكلها على الخامة، وانتقل هذا الأسلوب الى مصر الفاطمية ومنها الى سوريا ثم وصل الى الأندلس غربا وايران شرقا، والفترة الثانية تبدأ من القرن ١٤ - ١٧م، وفيها يمكن استيضاح استقلالية الخزف الإيراني في المقاطعات الشرقية أو في تركيا بعيدا عن المؤثر الصيني.

ولعل الفترة الثالثة التي ظهرت في القرن ١٢ - ١٣ الميلاديين تمثلت في إحياء الفنان الإيراني لتقنية خزفية مصرية تعرف بعجينة «الفريت Frit»، هذه التقنية أعطت للفنان قدرة تشكيلية أوسع ثم جاء أسلوب الرسم تحت طلاء التزجيج ليعطي بدوره حرية حركة للفنان الخزفي، وذلك مع استمرار الإبداع بالأسلوب القديم من استخدام الرسم فوق التزجيج أو البريق المعدني (٢).

وتعتبر الحضارة العربية الإسلامية، إلى جانب حضارة الشرق الأقصى، من أكثر حضارات العالم التي اهتمت بهذا الفن، وتعود أقدم النماذج المهمة في هذا الفن الى بداية الحكم العباسي حيث تمكن الخزفيون في العراق من الاستفادة من العلوم المزدهرة لاختراع تقنيات جديدة في طلي الخزف وتزيينه، منها مثلا تقنية الخزف ذي البريق المعدني، وهي تقضي بوضع غشاء رقيق من المعدن فوق قشرة الخزف الملونة أو الشفافة، وأقدم نماذج الخزف ذي البريق المعدني عثر عليها في مدينة الفسطاط وسامراء، وقد انتشرت هذه التقنية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وانتقلت من الأندلس ومنها إلى إيطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي.

كذلك اعتمد الخزافون على تقنيات أخرى مثل تقنية الرسم تحت القشرة الزجاجية الشفافة، أو على العكس، أي فوق القشرة الكثيفة والمعتمة، وكانوا أيضاً يشقون سطح الخزف، مما يحدث عليه فراغات صغيرة يملأونها بالألوان، ولا تعود أهمية الخزف الإسلامي فقط إلى تقنياته بل الى رسوماته التي تختصر جمالية الفن الإسلامي.

وتتنوع القطع الخزفية من حيث تقنياتها ورسوماتها، فهناك الأواني التي رسمت زخرفتها بالأسود تحت قشرة شفافة بلون الفيروز، وهناك الأواني المرسومة بألوان متعددة كالصحن الذي عثرت عليه بعثة الباحث «أولغ غرابار» في آثار «قصر الحير الشرقي» والذي أنجز في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي وهو من مجموعة متحف تدمر ويتميز هذا الصحن باحتوائه على رسم لأرنب بأذنين طويلتين، وهو يحتل مركز الصحن بينما تحيط به كل من جوانب الدائرة أوراق ملونة بالأخضر والبني تتلاءم والألوان التي رسم بها جسد الأرنب.

ومن الملاحظ أن الدمار الكبير الذي لحق في مدن سوريا الشمالية بسبب الغزو المغولي العام ١٢٥٩م دفع بالعديد من الخزافين الى الانتقال الى مصر والى دمشق التي تعرضت هي الأخرى العام ١٤٠٠م لغزو مغولي جديد بقيادة «تيمورلنك» ما أدى الى تدمير حي الخزافيين، هذا الواقع يفسر توقف انتاج الخزف في مدن سوريا الشمالية واقتصاره في القرن الرابع عشر الميلادي على محترفي القاهرة

سادت الرسوم والأشكال الهندسية والنباتية المنمقة الأسلوب في صنع الخزف والقاشاني في العصر العباسي

ودمشق.

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كان الخزف الأندلسي ذو البريق المعدني موضع تقدير كبير في كل أوربا والشرق الإسلامي، وقد وجدت قطع كاملة منه في الغرب حتى في صقلية وشلزويج - هولشتين (Schleswig-Holstein) بينما اكتشفت منه قطع كثيرة في أكوام القمامة في الفسطاط بمصر.

ومن هنا لا يدهش المرء إذا علم أن الأطباق والصحون والزهريات الخزفية ذات البريق المعدني المصنوعة في «بلنسية والمزينة» بشارات النبل قد أصبحت في القرن التاسع وأوائل العاشر للهجرة الموافق القرن ١٦١٥ الميلادي رموزاً لارتفاع المكانة الاجتماعية التي ينمناها الجميع، ولم يقتصر اقتناؤها على الأسر الأسبانية، بل حازها أيضا نفر من أصحاب الذوق الرفيع من الأوربيين أمثال: أدواق «بيرغنديا وآل مديتشي في فلورنسا، وملوك نابولي، بل البابا ليو العاشر» (٣).

وهناك تأثير مباشر بصورة أكبر مارسه الفخار الإسلامي، وبخاصة الأنواع الأندلسية منه المطلية بالقصدير المزجج وبما يسمى بـ «السجرامنتو» -(sgrail off) أي الزخارف ذات البريق المعدني، وقد وجدت هذه الأنواع والزخارف في صناعة الفخار الإيطالي الناشئة التي لم تلبث أن بلغت شأوا غير عادي من الازدهار (٤).

وكانت بعض أشكال الزخارف على الأنية الخزفية مثل القصعات الصغيرة، والزهريات، والقدور، وأواني العقاقير المسماة «البرللي» Albarelli بالإضافة الى وحدات زخرفية كانت قد صنعت أصلا في الشرق الإسلامي ثم تطورت في الأندلس، قد اضيفت اليها تحسينات جديدة في المراكز الصناعية الإيطالية المختلفة (٥).

وثمة أوان خزفية يتميز بها الخزافون المصريون والسوريون عن غيرهم، وهي تسم الفن المملوكي بسمات خاصة ومميزة، ونعني بتلك الأواني تلك التي اعتمدت زينتها على الخط العربي، وبخاصة الثلث المملوكي حيث يظهر بشكل نافر على الأواني مؤكدا على الطابع النبيل للحرف العربي.

وكان الخط العربي قد بدا يزين كثيراً من الصناعات الفنية الأخرى التي أبدعها الفنان المسلم من المعادن مثل النحاس أو البرونز المطعم بالذهب والفضة التي نعرفها من خلال الطاسات والصحون والصواني والمقالم والمحابر والمباخر، التي تحتفظ بها متاحف العالم باعتبارها قطعا فنية رائعة منقطعة النظير (٦).

ويلاحظ الباحثون عند دراستهم للخزف تحت ظروف الحكم المملوكي وفرة توقيعات الخزفيين على الأواني التي يصنعونها، والتي تشير الى ان عادة التوقيع قديمة تجدها في مصر منذ الحكم الفاطمي، كما هي الحال مثلا مع الصحون والأقداح التي تحمل اسماء كل من «مسلم وسعد وابراهيم».

وفي زمن المماليك شاع مثل هذا النوع من التوقيع الذي رمز به الحرفيون الى فنونهم، وعلى كل حال فإن وجود توقيعات الفنانين او غيابها لا يحددان قيمة العمل الفني لأن الفنون الإسلامية، لا تعبر عن مشاعر الفنان الذاتية في كثير من الأحيان، ولا تريد أن تروي لنا أو تؤرخ للأحداث العامة، بل هي تقوم على أسس وعناصر تترجم فلسفة جمالية خاصة، عبرت عن علاقة صوفية بالله وبالطبيعة.

أما القاشاني الذي ينسب الى مدينة «قاشان» الإيرانية التي ازدهرت فيها هذه الحرف الفنية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وكان في طليعة الحرفيين الذين عملوا فيها «أبو القاسم عبدالله بن أبي طاهر القاشاني». ويعد هذا الفن من الفنون التطبيقية الإسلامية العريقة، وقد ساد في أكثر من مرحلة، وشهد هذا الفن تطورات متلاحقة، ارتبط بالعمارة فزينها وجملها، وحرك كتلها ومساحتها، وفراغاتها الداخلية بلوحات بديعة، شكلتها بلاطات خزفية مرصوفة بعضها إلى جانب بعض، كما تجسد هذا الفن في شكل حرف وصناعات استعمالية وصل بعضها الى مصاف التحف الفنية الرفيعة كعناصر تشكيلية وكقيم تعبيرية ودلالية وتقانية.

وتتألف لوحة القاشاني من مجموعة ألواح أو بلاطات متعددة الأشكال والقياسات يرصف بعضها بجانب بعض، بشكل مدروس، لتؤلف في النهاية منظراً عاماً متكاملا من رسوم وزخارف وتشكيلات هندسية أو نباتية مطعمة احياناً بالهيئات المشخصة لطيور وحيوانات، قد تقتصر لوحات القاشاني على الكتابات، وابرز الألوان التي استعملت في القاشاني الإسلامي هي الأزرق والزهري.

ومعظم الفنون التطبيقية، والحرف والصناعات اليدوية الإسلامية، لعب الخط العربي دوره الأساسي في تشكيل البيئة الزخرفية الرئيسة في عملية تزيين العمارة والحرف والصناعات التطبيقية الإسلامية وتزويقها، على اختلاف خاماتها وموادها ووظائفها، ومن بينه القاشاني الذي تميز بالجمع الموفق بين الزخارف والتشكيلات المستوحاة من الكتابة العربية أو المشكلة منه، أو المحيطة بها، وهذه الزخارف والتشكيلات ذات بريق معدني ملون بالأزرق والفيروزي، تستوي مع الخلفية أو تبرز عنها بنفور بسيط.

وقد سادت الرسوم والأشكال الهندسية والنباتية المنمقة الأسلوب في الخزف والقاشاني العباسي، تطعمت بالخطوط

والكتابات العربية، ومن شواهد هذا الأسلوب المتقن زبدية يضمها متحف دمشق الوطني، عليها كتابات توضح انها صنعت في «الحيرة» ما بين النهرين وتحمل خصائص تشكيلية تكاملت فيها القيمة الجمالية والدلالية بالقيمة الوظيفية، وهذه سمة عامة تنسحب على الفنون الإسلامية بجميع اشكالها وضروبها، وبخاصة منها التي اعتمدت على معطيات الخط العربي وقدراته التشكيلية والدلالية المتفردة في زخرفتها وتنميقها وتزويقها.

ومعظم الخزف العباسي، أنتج في «سوسة» و«سامراء»، وفي وقت مبكر في «الحيرة»، وهو خزف إسلامي قلبا وقالبا، ويعتقد أن «سوسة» و«سامراء» اول من انتج هذا النوع من الخزف بصيغة راقية، بغية إرضاء اذواق الخلفاء العباسيين الذين كانوا يرغبون بالرفاه، ثم تحت رعاية الخلفاء الفاطميين الذين جاروهم بالذوق والرفاهية، كما كانت مدينة «الرقة» في سوريه من أهم المراكز التي انتجت الخزف والقاشاني في العصور الإسلامية، وقد حافظت «الرقة» على دورها الريادي في انتاج هذه الحرف والصناعات والفنون حتى دُمرت على يد المغول العام ١٢٥٩م (٧).

وفي الأندلس ذاعت شهرة الخزف المالقي، كما يظهر الزليج (زليخو) وهو طلاء خزفي، ولكن صناعة الزجاج في العهد الفاطمي بلغت شأوا عاليا في مصر وسورية، واهم ما فيها الزجاج برسم البريق المعدني وألوان الميناء. واستخدم الزجاجون أطيافا من الألوان المائلة للخضرة او الحمرة، وفي المتاحف العالمية نماذج من الزجاج الفاطمي المحلى برسوم نافرة ملونة طُبعت باشكال حيوانات أو بزخارف نباتية، وثمة زجاج مذهب ومطلي بالميناء، كانت دمشق وحلب من أهم مراكز انتاجه.

ويذكر «القزويني» (١٢٠٣ - ١٢٨٣م) تقدم صناعة هذا الزجاج في دمشق ويصف ما في أسواقها من أكواب وأوان بديعة، ولقد انتقلت مصنوعات دمشق إلى أسواق القاهرة، ومنها الى العالم، وهكذا حملت صناعة الزجاج اسم دمشق غالبا، ومن أبهى المصنوعات الزجاجية (المشكاة) التي كانت تحمل دائما اسم دمشق مع أن بعضها كان يصنع في القاهرة في عهد «الظاهر بيبرس والناصر قلاوون» (٨).

وكان لفن الزجاج دور مهم تمثل باختراع تقنية جديدة تقضي بتذهيب الزجاج وطليه بالميناء، ومعروف أن صناعة الزجاج قديمة جدا وترجع الى زمن المصريين القدماء، وقد عثر المنقبون في قبور الفراعنة منهم «تحوتمس الأول» على نماذج قديمة جداً من الزجاج التي تعود الى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد غير أن اختراع تقنية نفخ الزجاج التي ظهرت في القرن الأول للميلاد في الحوض الشرقي من المتوسط أحدث ثورة في تاريخ هذا الفن، مما مكن من انجاز اوان زجاجية متفاوتة الأحجام والأشكال. ولقد عرف هذا الفن انتشارا واسعا خلال فترة الامبراطورية الرومانية.

أما في العالم العربي الإسلامي، فان أجمل الأواني الزجاجية كانت مصنوعة في مصر وسوريا وهي منجزة خلال الحكم الأيوبي ومن ثم المملوكي، وتعود اهمية هذه المرحلة الى توصل معلمي الزجاج في المدن السورية مثل دمشق وحلب والرقة، الى اختراع تقنية حرفية جديدة مكنتهم من تذهيب الزجاج - كما ذكرنا من قبل - واستعمال مواد الميناء الملونه بصورة مغايرة لم تعهدها من قبل في الحضارات السابقة.

وتقضي هذه التقنية بوضع الميناء، وهو على شكل «بدرة» بوساطة ريشة على سطح الزجاج، وفي الوقت نفسه كان بالإمكان تذهيب الزجاج إما بوساطة ورقة ذهبية أو غبار ذهبي يلتصق بالزجاج بوساطة الزئبق، وتقتضي هذه التقنية الجديدة أن يسخن الزجاج في الأفران الخاصة مرتين، المرة الأولى حتى يتم الحصول على الشكل المراد للانية، والمرة الثانية حتى يلتصق الذهب والمواد الملونة.

إن استعمال خامات غالية كالذهب والفضة في طلاء الخزف الذي عرف بالبريق المعدني يمثل صفة خاصة انفرد بها الخزف الإسلامي، او استعمال التذهيب فوق الطلاء أو الحفر والتخريم والميناء، مثل دقة ومهارة فائقة عند الفنان المسلم حيث تمكن من تحويل قطع الخزف الى لوحات فنية أبدع فيها الفنانون بالدرجة الإبداعية نفسها في المخطوطات واللوحات المنفصلة، وكان كل ما يستعمله الإنسان المسلم في حياته اليومية من فناجين واقداح وكؤوس وصحون وسلاطين وأكواب وأباريق وسرج وسائل لإثارة إعجابه ودهشته وإبهاره.

وترجع اقدم النماذج العربية المعروفة من الزجاج المذهب والملون الى نهاية القرن الثاني عشر، وهي مصنوعة في سورية التي كانت مدنها - كما مر بنا - من اشهر مراكز فنون الزجاج في العالم، من هذه النماذج كأس موجودة حاليا في متحف مدينة «شارتر» الفرنسية، ويتميز بزينته المستندة الى اشكال هندسية صافية ملونة بالأزرق تتوجها عبارات ذهبية مكتوبة بخط النسخ، وهي تغطي الكأس من كل الجهات.

خلال القرن الثالث عشر الميلادي انتج فناذو الزجاج السوريون نماذج جميلة موزعة على اشهر متاحف العالم منها قنينة صغيرة مصنوعة في مدينة حلب العام ١٢٥٠م وهي من مجموعة المتحف البريطاني، وترجع أهميتها الى اعتمادها أكثر من ثمانية الوان من الميناء مما يجعلها تحفة فنية في تاريخ فن الزجاج في العالم.

ومن خلال تنوع أشكال الأواني الزجاجية وأحجامها، نلاحظ تنوع الصور المرسومة على بعض الكؤوس التي حوت رسوما شبيهة الى حد كبير برسوم المخطوطات المعاصرة لها، ومنها كأس من مجموعة متحف «والتر غاليري» للفنون في مدينة «بالتيمو» في أميركا حيث تشاهد عليها رسوما لأبنية تعلوها القباب الملونة بالأزرق والأحمر، وتطل من نوافذ تلك الأبراج تارة وجوه بشرية وتارة أخرى مصابيح ملونة ومعلقة في أعلى كل نافذة.

وتختصر رسوم هذه الكأس جمالية فن التصوير الإسلامي من حيث رفضها لمبدأ المحاكاة الطبيعية والتجسيم، مؤكدة على التسطيح والغاء مبدأ البعد

الفنان المسلم استخدم في صناعة البلور والزجاج أكثر من أسلوب صناعي مثل القالب والنقع والقطاع وغيرها.

الثالث، وهي صفات جمالية تادى بها الفنانون الغربيون منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومنهم الفنان الفرنسي الشهير «ماتيس» الذي تأمل طويلا في الفنون الإسلامية وأعلن عن إعجابه بها حتى إنه لم يتردد في الذهاب إلى مدينة ميونخ العام ١٩٠٦م لمشاهدة معرض خاص حولها، تأملات نجد صدى مباشرا لها في لوحاته (٩).

وهناك نوع آخر من الأواني الزجاجية لاقى رواجاً كبيرا في تلك الفترة، هو المصابيح الملونة والمذهبة التي كانت تعلق في سقوف الجوامع بوساطة السلاسل، وهي تعتمد على شكل واحد وكانت تزين بكتابات تعتمد على خط الثلث المملوكي، وتضم آيات قرآنية وتعابير تمجد السلطان مثلا «عز لمولانا السلطان الملك العادل» إلى جانب الخط كان يرسم على تلك المصابيح أيضا الفروع النباتية والأزهار ومنها «زهرة اللوتس» وشعارات السلاطين المماليك مثل الكأس.

وهكذا عرف الفن الإسلامي أنواعا متعددة من الزجاج والبلور، استعمل الفنان المسلم في صناعتها أكثر من أسلوب صناعي مثل القالب والنقع والقطاع وغيرها، كما كتب على بعضها أسماء لبعض الخلفاء بخط كوفي جميل، ومن أبرزها ما وصلنا من مشكاوات زجاجية مزخرفة بالمينا والتي كانت تستخدم لإضاءة المساجد، وكان الفنان يبذل جهدا كبيرا في توزيع المساحات توزيعا جماليا، وتوزيع الألوان، فتنعكس الألوان على المكان وتجعل منه بوتقة للألوان المختلفة، وذلك لإبهار الداخل الى المكان.

هذه هي أبرز فنون الزجاج والخزف والمعادن خلال الحكم الأيوبي ثم المملوكي وهي الفنون الأساسية التي تجلى بها الإبداع العربي الإسلامي، ثم بدأ فن المعادن بالانحطاط منذ القرن الرابع عشر الميلادي بسبب اهمال المماليك البرجية له، وقد تميزت هذه المرحلة بحروبها الأهلية وانتشار المجاعة والطاعون مما ألحق ويلات كثيرة بالشعب المصري، تحدث عنها المؤرخ «ابن إياس»، ومما زاد في سوء الحال الاقتصادية اكتشاف البرتغالي «فاسكو دي جاما» طريق رأس الرجاء الصالح العام ١٤٩٧م، ما دفع الى تحول التجارة بعيدا عن المنطقة العربية، إلا ان هذه الحال المأساوية لم تؤد إلى توقف النشاط الفني، فقد شيدت في عهد السلاطين البرجية مجموعة من الجوامع والأضرحة التي تعد من روائع العمارة الإسلامية ومنها جامع برقوق وضريحه ومدرسة «قايتباي» الذي عرفت الفنون في عهده نهضة جديدة، حيث إن اسم هذا السلطان يظهر على عدد مهم وقيم من الطاسات والكؤوس والشمعدانات، وغيرها من التحف الإسلامية التي سيعثر عليها فيما بعد. ■

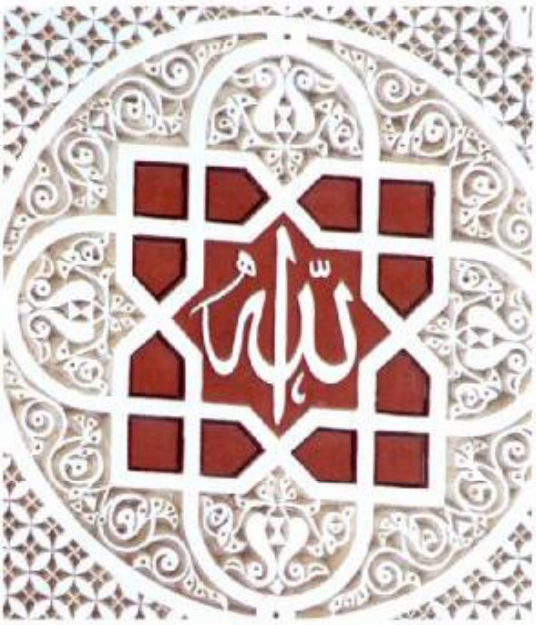

المصادر والهوامش:

١- د. عفيف البهنسي: جمالية الفن العربي ص ١٩٧ ، ١٩٨

٢- أوليفر واطسن: كنوز الفن الإسلامي ترجمة غادة حجاوي قدومي ص ٢٦٠ نشر فليب ويلسون، لندن.

٣ - آ. و. فروتنجهام: A.W.Frothingham الأواني الخزفية الإسبانية ذات البريق المعدني نيويورك العام ١٩٥١م.

٤- ب. ركهام: B.RAKHAM «دليل الخزف الإيطالي» ص١ ، ٢، ٨٢ لندن ١٩٢٣م

٥- رتشارد انتجهاوزن: أثر فنون الزخرفة عند المسلمين على الفنون الأوربية ص ٤٦٨ تراث الإسلام ج١ العام ١٩٨٨م

٦- من أهم هذه القطع قطعة فنية مهمة وأثيرة ومعروفة من قبل المهتمين بالفنون الإسلامية حتى إن أحدهم كرس لها كتابا بأكمله صدر منذ سنوات عدة في باريس، وهي طاسة كبيرة من مجموعة اللوفر، كانت تستعمل في عمادة ملوك فرنسا واستعملت في عمادة أحد أمراء أسرة نابليون العام ١٨٥٦م وتعود شهرة هذه الطاسة إلى الشخصيات الكثيرة والرسومات المنقوشة التي تزينها والتي صنعت بشكل دقيق وجميل، وعليها توقيع الفنان «محمد ابن الزين» الذي أبدعها، انظر اوراس مخلوف: «فنون الزجاج والخزف المعدني مجلة الوحدة العدد ٥٦ بيروت مايو ١٩٨٩م

٧- محمود شاهين: الخزف والقاشاني الإسلامي، مجلة الفيصل العدد ٣٢٠ الرياض، ابريل عام ٢٠٠٣م

٨- د. عفيف البهنسي: جمالية الفن العربي ص ١٩٩

٩- أوراس مخلوف: فنون الزجاج والخزف والمعادن مجلة الوحدة ٥٦، بيروت العام ١٩٨٩م

بيت المسلم

الفتق عند الأطفال

أنواعه.. أعراضه.. وعلاجه

82

الوعي الإسلامي

76

المراهقة.. كيف نتجاوزها بنجاح؟

ملكات لعرش الجمال..!!

قالت: سليلة الأصائل 79

80

عندما تكتئب البراعم

68

حينما يصبح الكمبيوتر أخطر معاول الهدم الاجتماعي!!

70

لغة الحوار بين الزوجين

التدخين عند النساء خطر اجتماعي وإنساني

72

حينما يصبح (الكمبيوتر) أخطر معاول الهدم الاجتماعي!!

تحقيق- محمد عبد الشافي القوصي

في الآونة الأخيرة بدأ الحديث عن الدور الخطير الذي يلعبه الكمبيوتر في عزل الأفراد اجتماعياً وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع. فالأفراد يقضون وقتاً طويلاً في التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت مايؤدي إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام.. ما سيؤدي بدوره إلى نشر نوع من العزلة الاجتماعية وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي، كما سيؤدي انتشار الإنترنت إلى نشر أنماط جديدة من القيم والسلوكات في المجتمع العربي كله، ولعله من المهم أن نشير أولاً البداية إلى نتائج الدراسة التي أجريت على المجتمع العربي كله.

ولعل من المهم أيضاً أن نشير بدءاً إلى نتائج الدراسة التي أجريت في مدينة «دبي» حول التفكك الأسري، وأظهرت النتائج أن ٣٠ في المئة من إجمالي الأسر تعاني من مشكلات أسرية رغم اختلاف أنماطها وهذه المشكلات تعد بمثابة القنبلة الموقوتة التي ستنفجر في أي وقت، فيما أشارت دراسة أخرى أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر الى ان ٣٧,٥ في المئة من الأسر تعاني من مشكلات أسرية ومن اهم هذه المشكلات، انحراف الأبناء، والعنف الأسري بجميع أشكاله، وغياب القدوة، والخلافات الزوجية التي تنتهي في كثير من الأحيان إلى الانفصال وغيرها من المشكلات، وعن أسباب انتشار التفكك الأسري توضح الدكتورة «عزه عزت» الأستاذة في المركز القومي للبحوث الاجتماعية أن ازدياد التفكك الأسري من الناحيتين الكمية والكيفية معاً داخل المجتمعات العربية يعكس في حقيقة الأمر مناخاً اجتماعياً متوتراً تتعدد فيه الضغوط الاقتصادية والاجتماعية. ويعود هذا التحول إلى رياح التغريب التي تكاد تعصف باستقرار وخصوصية الأسر العربية، إضافة إلى الانفتاح الجديد على العالم عبر الفضائيات والإنترنت ووسائل الإعلام العصرية.

خلافات الأزواج بسبب الكمبيوتر قادتهم إلى «ساحات المحاكم»!

إنطوائية الكمبيوتر!!

وحول هذه الإشكالية يقول الدكتور «سعيد عبدالعظيم» ممثل الجمعية العالمية للطب النفسي، والسكرتير العام للجمعية المصرية للطب النفسي، أصبح الآن في علم النفس ما يطلق عليه إنطوائية الكمبيوتر (computer phyliac) وتوجد هذه الحال عندما يستمر الشخص في الجلوس أمام الحاسوب ساعات طويلة كل يوم بشكل يشبه مدمني القمار، طبعاً مع استثناء الأشخاص الذين يستدعي عملهم ذلك، وقد توجد هذه الحال لدى الأفراد الانعزاليين ذوي الشخصيات الانطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجأون إلى الحاسوب ليفرغوا فيه طاقتهم وهمومهم، فضلاً عن الإجهاد والتوتر النفسي الذي ينتج من استخدام الحاسوب لفترات طويلة..

وظاهرة غرف الدردشة التي صارت منتشرة بشكل يكاد يكون مرضياً يؤدي الى الخلل في العواطف وتوجيه المشاعر في غير وجهتها الطبيعية، مما يقود الأسر إلى علاقات أخرى منحرفة، ولكن ذلك لا يعني إدانة الحاسوب بشكل مطلق وإنما هي دعوة الى ترشيد استعماله وعدم المبالغة في استعماله بشكل يمثل خطراً على أمننا وسلامنا النفسي في المدى البعيد.

فراغ عاطفي!!

ترى الدكتورة هالة سليمان- استاذة علم الاجتماع في المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، أنه إذا كان الكمبيوتر والدخول على شبكة الإنترنت وغرف الدردشة تعبيراً عن صيحة علمية وتكنولوجية باهرة فإنها في وجهها الآخر تعبير عن فراغ عاطفي ونفسي ووجداني لدى المجتمعات وخصوصاً في هذا العصر المادي الذي يفتقد الروحانية، وإقبالنا الشديد على غرف الكمبيوتر والدردشة عبر الانترنت يعبر عن غياب الضبط الأسري والهروب من العلاقات الاجتماعية المباشرة والواضحة إلى علاقات محكومة بالسرية ومحاطة بالكتمان ومأمونة العواقب في ظاهرها الا أنه قد تقود في النهاية إلى مزالق خطيرة وتعصف بحياته ومستقبله.

كارثة اجتماعية!

وتشير الدكتورة سامية الساعاتي- أستاذة علم الاجتماع في جامعة عين شمس إلى الآثار السلبية للتكنولوجيا الحديثة فتقول: «ثار الجدل في الآونة الأخيرة عن التأثير السلبي لغرف الدردشة على العلاقة بين الزوجين داخل الأسرة العربية، وذلك بسبب هروب الأزواج والزوجات وخصوصاً في أثناء حدوث خلافات بينهما إلى البحث عن نوع جديد من العلاقات عبر شبكة الإنترنت، وهذه العلاقات هي أشبه بضربة الحظ قد تخرج منها بعلاقة جديدة ومفيدة على المستوى الاجتماعي، أو بخسارة فادحة عندما تصطدم بأولئك الذين يبحثون عن العلاقات غير الشرعية على شبكة الإنترنت، وبالتالي إمكان حدوث ما لاتحمد عقباه، وهذا ما دعانا إلى محاولة البحث في هذا الشأن والدخول إلى هذا العالم الافتراضي بهدف الوصول إلى واقع هذه القضية الخطيرة وآثارها على الأسرة العربية...!!.

بين الواقع والخيال

من جانبه يقول الدكتور سيدصبحي أستاذ الصحة النفسية: «إن من الأمور الخاطئة التي يقع فيها الكثيرون خلال تعاملهم مع غرف الدردشة عبر الإنترنت، هو عدم تمييزهم بين العلاقات الاجتماعية عبر هذه المحادثات وبين العالم الواقعي، أو بين العالم الافتراضي والعالم الحقيقي، فنحن نفعل ونقول أشياء عبر العالم الافتراضي لا نفعلها ولا نقولها في العالم الواقعي، وعلينا أن نفهم أن الإنترنت عالم حقيقي وتجاهل هذا يؤدي إلى التلاعب فالمستخدم عندما يقوم بعمل محادثة عبر الإنترنت فهو يقوم بها مع أشخاص حقيقيين لهم مشاعر حقيقية، فمستخدم الإنترنت عليه أن يعامل الناس بالاحترام

«شبكة الإنترنت» وراء فتور العلاقات الزوجية والتفكك الأسري

نفسه الذي يعاملهم به وجها لوجه، أو في أثناء الحديث معهم من خلال الهاتف. وعلى الرغم من ذلك هناك بعض الاختلافات فعندما يحادث مستخدم الإنترنت شخصا بشكل مباشر ووجها لوجه فهو يرى جيدا حركات وجهه ولغة جسده بما فيها من حركة وصوت، وخصوصا أن هذه الإشارت تشكل ٦٠ في المئة من الاتصال البشري، أما في المحادثة عبر الإنترنت فهي تتم سرا وهذا يعني أن ٦٠ في المئة من الاتصال مفقود وهو لغة الجسد، وبالتالي فالمستخدم يتخاطب بنسبة ٤٠ في المئة فقط، وهذا ما يسبب سوء تفاهم على الإنترنت.

إيجابيات وسلبيات

من ناحيته يشير المهندس وجدي أمين بالشركة المتحدة للبرمجيات إلى أن المحادثة عبر الإنترنت (الدردشة) تعطي الشخص الفرصة للكلام عن أشياء لا يستطيع قولها مباشرة بسبب الهوايات المزيفة التي يستعملها مستخدم الإنترنت، وبالتالي لا تستطيع الأطراف الأخرى التعرف إلى الشخصية الحقيقية لهم ولا يعرفون في النهاية سوى الاسم المستعار لهم، وبالطبع لهذا الغموض وجه ايجابي وآخر سلبي، ويتمثل الجانب الإيجابي في قيام الناس بالحديث عن شيء يخجلون منه وجها لوجه أو حتى عند الحديث في الهاتف، وهو ما جعل عددا كبيراً من الأشخاص المنطوين يصبحون شخصيات جريئة على الانترنت بعكس الواقع، ومن هنا أصبح الأشخاص الفاشلين اجتماعياً قادرين على إعادة التواصل مع العالم الخارجي عن طريق استخدام الإنترنت، فهناك الكثير من الأشخاص الذين يتميزون بالانطواء الذاتي تفتحت مشاعرهم من خلال الإنترنت وهو ما يظهر في العزلة الاجتماعية وعدم الاتصال الإيجابي بالعالم الخارجي، وهذه النوعية من الأشخاص حصدوا عددا من المنافع من خلال شبكة الإنترنت العالمية، أما الجانب السلبي لهذا الغموض فيتمثل في استغلال بعضهم لعدم القدرة على الكشف عن هوياتهم الحقيقية ليتحدثوا إلى أشخاص يستخدمون ألفاظاً نابية وفظة، لذلك على مستخدم غرف المحادثة أن يكون حذراً في تصديق كل ما يتلقاه عبر هذه المحادثة.

انهيار العلاقات الاجتماعية!

غرف الدردشة بلا شك تؤثر على العلاقات داخل الأسرة والمجتمع وبخاصة العلاقات الزوجية، هذا ما تقوله الدكتورة أمنية علوان أستاذة علم الاجتماع في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر، إن غرف الدردشة والإنترنت بعامة هي المكان الذي يستطيع فيه الإنسان العربي أن يتحدث مع نفسه ومع غيره بصراحة ليقول مالا يستطيع قوله في الاتصال المباشر أما خطورة ذلك فتتمثل في أن العلاقات الزوجية تواجه فتوراً شديداً وذلك بسبب توجه الزوج نحو غرف المحادثة وتفضيل المحادثة لها على الجلوس مع زوجته، والتحدث إليها، والغريب حقاً أن الإنترنت وغرف الدردشة قد تتسبب في حدوث حالات من الطلاق من نوع جديد يعرف باسم الطلاق العاطفي وهذا النوع من الطلاق يحدث عندما يجلس الرجل على شبكة الإنترنت لبلا وبرد على الرسائل الإلكترونية مما يؤدي في النهاية إلى حال من الإدمان الالكتروني وعدم الرغبة في التحدث إلى الزوجة، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى الانفصال العاطفي بين الزوجين وقد يصل الأمر بالزوج إلى السفر إلى الفتيات اللاتي يتحدث إليهن عبر الانترنت لرؤيتهن على الطبيعة ما يؤدي إلى تدبدب العلاقة بين الزوجين وانهيارها في النهاية.

الانهيار الكاذب!

ومن الجدير ذكره أن أحدث الدراسات التي أجراها مركز البحوث الاجتماعية في مصر أكدت أن الوسائط الالكترونية الحديثة ذات تأثير سلبي كبير على العلاقات الحميمية بين الزوجين ما يؤدي إلى نوع من الجفاف وتبلد المشاعر وبالتالي إلى زيادة المشكلات وتفكك العلاقة الزوجية، كما يؤكد البحث عن السبب في حدوث هذه المشكلات على نموذج الإثارة الإلكترونية التي تقدمها الدردشة والإنترنت التي صنعت خصيصا للترفيه وإشباع هوايات البشر.

وعلى الصعيد عينه يشير الدكتور عادل صادق، استشاري الطب النفسي في مصر إلى أن إحدى الدراسات الحديثة أكدت أن نسبة كبيرة من الأزواج فقدوا الرغبة في التواصل مع زوجاتهم بعد أن انبهروا بنماذج من النساء عبر مواقع الدردشة الالكترونية.

الأعراض المرضية!

وحول الآثار السلبية على صحة الإنسان جراء جلوسه الطويل أمام الكمبيوتر يقول د.رشاد فؤاد السيد- مدرس الجراحة في مستشفى الحسين الجامعي، ان أعلى نسبة ضرر على المستخدمين كانت في آلام الظهر وآلت آلام الرقبة في المرتبة الثانية، ثم الكتفين، ثم اليدين، وبعدها الذراعين في حين أقل الإصابات قد لحقت بالقدمين، وقد اتفق معظم الأطباء المعالجين للحالات المصابة التي لجأت إليهم على تشخيص الحالات على مايلي: انزلاق عنقي وقطني، شد عضلي للفقرات، انزلاق غضروفي، رطوبة وبرد في العظم نتيجة التعرض للتكييف العالي، إرهاق شديد نتيجة لطول فترات العمل، أعراض مرضية متعلقة بالمهنة.

الجائز.. والممنوع!

ومن جانبها تقول الكاتبة الإسلامية نوال مهني: «الإسلام لا يدين وسائل الاتصال الحديثة أو يدعو إلى رفضها، فهو في جوهره دعوة إلى العلم والاستفادة بامكاناته في الدعوة، ولكنه ضد الإسراف في كل شيء وضد إهدار الوقت فيما لا يفيد لأن في ذلك إهدارا لقيمة عظيمة في حياتنا وسنحاسب عليه في الآخرة، فالإنسان الذي يضيع وقته وجهده من دون طائل أو فائدة مباحة برجوها إنما ينفق عمره هباء، لذا فالدعوة موجهة أساساً الى تنمية الوعي الديني والاجتماعي لدى الشباب عن طريق العلماء والمجتمع ووسائل الإعلام.

كلمة أخيرة

وفي النهاية نود أن نؤكد أن وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة ومنها الكمبيوتر ليست كلها سلبيات كما أنها، بالطبع، ليست كلها ايجابيات، والمهم هو مدى التقنين في سلوك وأخلاقيات المستخدم الذي يتحتم عليه ان يتمتع بنوع من الأخلاق والمبادئ والموضوعية والاتزان حتى لا تصبح هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة الباب العصري والسري لضياع وانهيار القيم داخل الأسرة العربية.

دراسة حديثة: ٣٧,٥ ٪ من الأسر العربية على وشك الانهيار

لغة الحوار بين الزوجين

منى السعيد الشريف
E. MAIL : monashf@yahoo.com
monashf@al-islam.com

تعتبر قضية التواصل بين الزوجين صمام الأمان الذي يضمن التماسك الداخلي لبنيان الأسرة، ويمثل أواصر علاقات أفرادها بشكل كبير، مما ينعكس إيجابا بالطمأنينة النفسية والسكينة الروحية، ويفعل دورها في بناء الإنسان المتزن انفعاليا ؛ وترتكز قواعد العلاقات التواصلية الأسرية على وشائج متينة من الود والحب والإخلاص والتعلق والثقة المتبادلة... إنها باقة مهمة لبناء أسرة قوية قادرة على لعب دور فاعل في خلق شخصية أفرادها وتطبيعها بقيم ومثل حميدة ؛ ولا يمكن لأي شيء أن يعوض العلاقات العاطفية المتسمة بالود والاحترام في الأسرة، لأنها تعمل على إزالة التوترات وتنفيس الضغوط الانفعالية من جوها.

ماذا يعني الحوار لكل من الزوجين؟ وهل يختلف معنى الحوار والحاجة إليه عند كل منهما؟ وما الفوارق النفسية والفكرية في طريقة استخدام الحوار؟

الزوج

إن الرجل لا يتكلم إلا لهدف معين ، فهو لا يقصد الحوار بذاته، أي لأنه يريد أن يتكلم فقط ، إنما يقصد الحوار لتحقيق غاية معينة مثل إثبات الذات ، جلب المصالح، المنافسة والمنافسة، كسب العلاقات العامة..لذلك ترى الرجل يتكلم خارج المنزل أكثر من داخله، ويستعمل كل أسلحته خارجا للفوز ولتحقيق أهدافه، ولهذا فهو يستهلك الكثير من الكلام ما يجعله يظهر بمظهر المتكلم والثرثار خارجاً، وعند عودته إلى المنزل تراه قليل الكلام لأنه بذل جهداً كبيراً في الخارج ولم تبق لديه الطاقة التي تعينه.

كذلك فإن المنزل بالنسبة لمعظم الرجال هو المكان الذي لا يتوجب عليه الكلام فيه، فهو عائد إلى بيته للراحة ، فالراحة للرجل هي الابتعاد عن المناقشات والمناقشات الطويلة، والراحة بالنسبة للرجل هي عدم التكلم بمضامين الكلام .

كما أن الرجل لا يستخدم الحوار إلا إذا أراد أن يستفسر عن أمور معينة أو يتحقق من واقعة، ونادرا ما يتحدث الرجل عن مشكلاته إلا إذا كان يبحث عن حل عند خبير، لأنه في ذلك يطلب المساعدة فعندما يكون باستطاعتك تنفيذ العمل فعليك مساعدته وهذه علامة ضعف أو عجز .

فالرجال يجدون صعوبة قصوى في التعبير عن مشاعرهم ، وقد يشعر الرجال بأن كيانهم مهدد إن أفصحوا عن ذلك، وهذا ما يدفعهم للتعبير عن مشاعرهم بطرق أخرى مختلفة عن الحوار.

الزوجة

تشعر النساء بضيمتهن الذاتية من خلال المشاعر ونوعية العلاقات التي تقيمها مع الآخرين، ويختبرن الاكتفاء الذاتي من خلال المشاركة والتواصل.. فإن الحوار والتواصل بالنسبة للمرأة يعتبر حاجة ضرورية وملحة، وهي حاجة نفسية فإن لم تشبعها يحدث لديها اضطراب. وقد تلجأ المرأة الى تصريف هذه الحاجة من خلال اقامة علاقات اجتماعية والمشاركة في جلسات حوارية مختلفة خارج المنزل، وبالرغم من ان الحوار يلبي حاجة في نفسها إلا أن الزوجة لا يمكن أن تشعر بقيمتها الذاتية إلا من خلال إشباع حاجة الحوار لديها مع زوجها. فإن كان الزوج من النوع الذي لا يحاور زوجته أو لا يصغي لحديثها ، فإن الزوجة تفسر ذلك بأنه لا يحبها ولا يقدرها، وهذا يؤثر على نفسية الزوجة فتقوم بردات فعل تجاه الزوج مسيئة للعلاقة الزوجية.

كما أن الزوجة داخل المنزل تكثر الكلام وتتكلم في أمور شتى لأن المنزل هو المكان الآمن الذي تشعر فيه بحرية الكلام وعدم خوفها من ملاحظات الآخرين، فتتكلم بأمور كثيرة مهمة وغير مهمة. والحياة بالنسبة للمرأة عبارة عن اتصال ودي ومحاولة خلق جو مليء المحبة والوئام، والكلام هو أفضل وسيلة، فتظهر أنها ثرثارة تختلق الكلام حتى ولو لم يكن هناك شيء مهم.

لغة المرأة مختلفة عن لغة الرجل

لا يختلف الرجل عن المرأة بيولوجيا ونفسيا فقط، بل في طريقة استخدام اللغة، فعندما يتكلم الرجل يختار كلماته بدقة وواقعية، فكل كلمة ينطقها هو يقصدها ويعنيها بذاتها. لذلك نرى كلامه مرتباً متسلسلاً منطقياً، ويبتعد عن استخدام لغة العاطفة في حديثه. بينما المرأة عندما تتحدث تستخدم لغة العاطفة في كلامها. فغالبا ما نراها تستخدم هذه العبارة: « أنا أحس، أشعر..» وعندما تتكلم المرأة فهي تطلق أحكاما عامة شمولية ولا تقصدها لذاتها إنما لتبالغ في التعبير عن شعورها أو ما يزعجها. مثال ذلك تقول للزوج «أنت بحياتك ما أخرجتني.. ألف مرة قلت لك لا تفعل ذلك . إنك لا تشعر بي أبدا ....» هذه العبارات يفهمها الرجل كما هي على الإطلاق وذلك لأنه يفهم كلامها من منظاره هو، أي يفهم هذه العبارات كلمة كلمة، وهذا ما يثير غضب الزوج. وقد نرى في هذه الحال ردة فعل عنيفة له قائلا على سبيل المثال: «كيف لا! ألم نخرج في الأسبوع الماضي يوم كذا؟ الساعة كذا... كلا لم تخبرني سوى ثلاث مرات.... لقد فعلت كذا لأعبر لك عن شعوري معك، ألا تذكرين موقف كذا في يوم وتاريخ كذا؟، قد فعلت لك وقمت وشاركتك متاعرك...» وهذه الأمثلة الصغيرة كثيرا ما تتكرر في الحوار بين الزوجين، وهو حوار سلبي إذا استمر على هذه الحال. فإن الرجل يحكم على حديث المرأة بأنه تافه مقارنة باستخدامه الخاص لتفسير المفردات، كما أن المرأة لا تستوعب ردة فعل زوجها وتظن أنه يحاسبها على ما فعله لأجلها وهو يسرد لها هذه التفاصيل..

اختلافات أخرى في اللغة : تلجأ المرأة لتعبر عن

معاناتها أو ما يؤلمها ويشغل بالها من خلال الحوار. فالمرأة تفكر بصوت عال. وهي توجه الحديث إلى زوجها لأنها تحتاج في هذه اللحظات إلى دعمه العاطفي والمعنوي، على سبيل المثال عندما تقول الزوجة: «آه إن رأسي يؤلمني.. كم تعبت اليوم في العمل لقد واجهت مشكلات كثيرة... لا أدري ماذا افعل غدا مع هذا الموقف؟... إن والدتي مريضة ولدي التزامات كثيرة غدا كيف أوفق بين ذلك كله...؟ تستخدم الزوجة هذه العبارات لتعبر عن ما يجول في خاطرها من أفكار، وعما يختلج في صدرها من مشاعر، لكن ما يزيد من ألم الزوجة هو عدم تفهم الزوج حاجتها لتدعم النفسي والعاطفي وخصوصا عندما يرد عليها بهذه العبارات: «يمكنك أخذ مسكن لوجع الرأس.. اتركي العمل أو خففي من وقت العمل... يمكنك فعل كذا وكذا في هذا الموقف... يمكنك الاعتذار عن بعض الالتزامات وإخبار والدتك بذلك...» الرجل هنا يعتبر أن المرأة عندما تشتكي بهذه الطريقة أنها عاجزة عن ايجاد الحلول وأنها تطرح عليه ذلك للمساعدة، وإن الرجل بطبيعته العملية يصغي لها تقول ويعتبر أنه المسؤول عن إيجاد الحل لمساعدة زوجته في ذلك. لكن المرأة يغضبها رد الرجل وتتهمه في هذه الحال بأنه لا يتفهمها ولا يشاركها شعورها، فبدل أن يخفف عنها معاناتها يزيدها ألما فهي في هذه اللحظات تحتاج لأن يقول لها مثلا «سلامتك حبيبتي.. يعمها ! يقبلها.. ماذا حدث معك في العمل وماذا أنت تعبة؟... آه يا زوجتي، كم أنت حنونة وحساسة أنا فخور بك لأنك تحترمين والدتك وأنك إنسانة فاعلة في المجتمع.. تعالي نتحدث كيف يمكن أن نخرج مما تعانين..» بهذه العبارات يمتلك الرجل المرأة ويشعرها بأنها محظوظة بهذا الزوج الذي يتفهمها ويقدرها.. لهذا على الرجل أن يفهم هذا الاختلاف في التعبير فالمرأة هنا لا تشتكي لعجز عن الحل إنما لتعبر عن مشاعرها أو لأنها تفكر بصوت عال..

ومن الاختلافات أيضا، عندما تطلب المرأة شيئا أو تقترحه على زوجها قد يعتبر الرجل أنها تأمره، فالمرأة تقترح ليناقشها الزوج ولا يعني أنها تبت بهذا الموضوع، على عكس الرجل فعندما يطلب أو يقترح فغالبا ما يكون قد أخذ القرار بذلك..

كذلك في حال الحوار بين الزوجين تنتقل المرأة من موضوع إلى آخر مختلف، من دون أن تنهي الموضوع الذي بدأت به وقد تستدرك ذلك في آخر حديثها فتعود للموضوع الأول وتنهيه، وهكذا دواليك... وهذا يتعب الرجل فهو يحلل في أثناء حديث الزوجة، يشول ما علاقة الموضوع الأول بالثالث أو بهذا الحادث مثلا، فيتضح له أنه لا علاقة! قد يتفاجأ من ذلك فهو بطبيعته يركز على المواضيع أي يناقش موضوعا موضوعا ولا يترك ملفات مفتوحة.. فكأن الرجل يستخدم طريقة عمودية والمرأة تستخدم طريقة أفقية في الحديث..

هذه الاختلافات إن لم يعها الزوجان قد تفجر بركانا من الخلافات الزوجية، وتبدأ الثيران بالاشتعال لمجرد أن يستخدما لغة الحوار النفسي السلبي.

والحوار النفسي السلبي هو الحوار الداخلي الذاتي، أي طريقة الحوار مع النفس فالحوار عند الإنسان ينقسم إلى حوار داخلي أي أفكارك التي تدور في بالك وما تحدث نفسك، وحوار خارجي هو التعبير اللغوي.

في موقف معين بين الزوجين على سبيل المثال، عندما يطلب الزوج من زوجته أن تسهر معه وقتا طويلا وترفض ذلك الزوجة لأنها تشعر بالتعب نتيجة أعمالها الشاقة في ذلك اليوم وتستأذن لتنام. هذا الموقف تختلف فيه ردات فعل الأزواج، وذلك وفقا للحوار النفسي الذي يفعله الرجل. قد يحدث الرجل نفسه في هذا الموقف «إنها لا تحترمني لا تقدر رغباتي لقد احتجت بالتعب لتتهرب مني. إنها تتعمد إغضابي. لا تحبني. إنها أنانية...» هنا استخدم الرجل الحوار النفسي السلبي (وكذلك الحال لو عكسنا المثال على المرأة) ودخل الرجل في دائرة الحوار النفسي وهي : فكرة سلبية. تضخيم هذه الفكرة وإيجاد تفسيرات ذاتية لها. توتر داخلي. تصاعد التوتر. غضب. مشكلة مع الطرف الآخر.

لذلك نلاحظ في كثير من الأحيان أن الزوجين قد يطلبان الطلاق لأسباب ظاهريه «بسيطة» ويكون الدافع وراء ذلك هذا الحوار النفسي السلبي الذي لم يعالج ولم يتم التحدث عنه وتفريغه. فهذا الرجل أو المرأة الذي دخل في هذه الدائرة يفتعل أي مشكلة مع زوجته ويضخمها عقابا لها، وفقا لما يعتقده من أفكار سلبية نحوها لا تمت بأي صلة للواقع إنما هي أفكار سلبية وهمية. والإنسان سواء كان (زوج أم زوجة) تكثر عنده هذه الحالات من الحوار في حال كان يعيش ظروف عدم الأمان وعدم الشعور بالأهمية والتقدير الذاتي. وأفضل نصيحة للذي يعاني من هذه الأفكار ألا يأخذ الأمور مأخذا شخصيا بل يفسر الحدث بواقعيته. وأن يحارب هذه الأفكار السلبية بطرح أفكار نفسية إيجابية، فبدل أن يتهم الزوجة بأفكار سلبية معينة يمكن أن يستبدلها بأفكار إيجابية، يعني أن يخلق لها مبررات إيجابية ويضخم هذه الأفكار في نفسه بحيث يقتنع بها ويعامل زوجته على هذا الأساس الإيجابي، فلا بد من التماس الأعذار الإيجابية للطرف الآخر.

وهناك وصايا عدة للزوجين لتدعيم لغة الحوار بينهما :

الوصية الأولى: أن يكون الزوج محور حياتك وأن تدور حياتك من حوله وهذا يجعل مساحة الحوار تزداد بينكما.

الوصية الثانية: لغة الحوار.. وأي حوار داخل نطاق الحب والزواج لابد أن يكون ودودا ويعكس روحا طيبة سمحة سهلة حتى في أشد الأوقات عصبية وثورة وغضبا.. لا بد أن يمر ببيتكما هواء طيب وتحوم حولكما الأرواح الطيبة.. كما أمر الله.. فالزواج مودة ورحمة.

الوصية الثالثة: إظهار الإعجاب.. قد تحظين بإعجاب كل الناس وقد يظهر كل إنسان إعجابه ولكن إذا افتقدت إعجاب رفيق حياتك فإنك ستفقد إعجابك بنفسك.. ولا بد من ترجمة الإعجاب إلى كلمات رقيقة.

الوصية الرابعة: المرح والكلمة الطيبة.. بحيث يشملني السرور لأني معك فأشعر بالانشراح والتفاؤل والحماس والانطلاق. والأهم أن يسعد كل منهما بجانب الآخر.

الوصية الخامسة: الحياة الاقتصادية.. أي أنه لابد من فصل الحياة الاقتصادية عن المشاعر والأحاسيس بين الزوجين، ولا يخلل معنى الصفقة الحياة الزوجية، أو بمعنى آخر ألا يصبح كل شيء في العلاقة الزوجية مدفوع الثمن والأجر.

الوصية السادسة: المسافة.. فالزواج أن تكونا معا يدك في يدها ونفساكما ممتزجتان طوال الوقت ومع هذا يجب أن تظل هناك مسافة، وفائدة هذه المسافة هي الحنين الجارف المستمر والتوق المتجدد دائما.

الوصية السابعة: احذرا كلمة الطلاق.. المرأة بالذات ترد هذه الكلمة كثيرا وهي أسوأ كلمة.. ولا تقل بشاعة عن كلمة الموت رغم أن الموت حق وأن الطلاق حلال إلا أننا نبغض هاتين الكلمتين والمعنى واحد: الانفصال موت.. والموت انفصال.

الوصية الأخيرة: وهي تعتبر من أهم الوصايا وهي أن كلا منهما يتقي الله في الآخر.. وقد أمرنا بذلك الدين الحنيف فقال الرسول صلى الله عليه وسلم «استوصوا بالنساء خيرا» وقد أوصى النساء أيضا حيث قال: «حسن تبعل المرأة لزوجها يعادل الجهاد في سبيل الله..»●

التدخين عند النساء خطر اجتماعي وإنساني

بقلم: د. نادية محمد السعيد

كان التدخين حتى عام نشر تقرير الجراحين الأمريكيين العام ١٩٦٤م، صفة غالبة عند الرجال، وكان من نتائج هذا التقرير أن أوضح الأخطار الناجمة عن التدخين سواء إحصائيا أو واقعيا، وكان من نتائج هذا التقرير أن تدنت نسبة التدخين بين الرجال من ٦٧٪ الى ٣٢٪. إلا أن هذا التدني في نسبة التدخين عند الرجال زامنه صعود (ارتفاع) في نسبة المدخنين عند النساء - أي أن النساء ابتدأن بالتدخين بعد أن عرف عنه الرجال، وأن تدخين ٥٠ ٦٠ سنه عند الرجال إذا لم يكن ٥٠٠ سنه مند أن عرف الدخان - كان كافيا لإظهار أخطار التدخين بشكل واضح أقنع الرجال بأن عادة التدخين هي عادة مؤذية للإنسان من كل النواحي: سواء الصحية أو المادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية. فهو الخطوة الأولى نحو الانحراف.

وفي هذه المرحلة كانت عادة التدخين قليلة الانتشار بين النساء حتى بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن نسبة المدخنات بين النساء ارتفعت كثيرا في الستينيات وقاربت نسبة المدخنين من الرجال، وذلك بفضل الدعايات الموجهة للنساء وخصوصاً في المجتمعات العربية والإسلامية، تارة بحجة تحرير المرأة وانطلاقها وسيادتها، وتارة بحجة أن التدخين أحد مستلزمات الحياة على الطريقة العصرية، أو أحد دلائل المساواة مع الرجل حتى لو كانت نهايتها الإصابة بالسرطان.

وتواجه الكثير من المجتمعات العالمية خطورة تدخين النساء ومنها المجتمعات العربية والإسلامية ومن ثم نجد على سبيل المثال.

ان في مملكة البحرين تؤكد الدراسات أن إقبال النساء على التدخين في تزايد مستمر ولاسيما إقبال الفتيات على الشيشة باعتبارها موضة جديدة، وتشير الإحصاءات إلى أن ١٠٪ من طالبات المرحلة الإعدادية يدخن الشيشة وترتفع النسبة إلى ٢٥٪ بين الطلاب ويرجع تزايد إقبال الفتيات على التدخين إلى محاكاة الصديقات والهروب من الضغوطات الحياتية والفضاء على الملل والفراغ واعتبار التدخين أحد أشكال ممارسة الحرية(١).

وفي المملكة العربية السعودية نقلت الجريدة الاقتصادية عن دراسة أعدتها عيادات التدخين في السعودية ان ١٥٪ من السعوديات يدخن الشيشة والسجائر وأن معظم المدخنات يعشن في المدن الكبرى، كما أن ٣٥- ٥٠٪ من الطالبات والمعلمات في السعودية وقعن في براثن التدخين وأن المملكة العربية السعودية تحتل المرتبة الرابعة عالميا من حيث عدد المدخنين (مواطنين ومقيمين) الذين بلغ تعدادهم ستة ملايين نسمة ينفقون ١٢ مليار سنويا(٢).

كما أن الدراسات التي أجريت في دول مجلس التعاون الخليجي حول التدخين، أكدت أن معدل انتشار التدخين بين الرجال يتراوح بين ١٩ -٣٠٪ وبين النساء ١٠-٢٠٪، وفي الوقت نفسه تجد أن المعدلات الحقيقية أكبر من هذه الأرقام التي تحتاج إلى مراجعة من خلال دراسات وطنية شاملة(٣).

وفي مصر أكدت دراسة حديثة أعدها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن هناك تراجعاً ملحوظاً في نسبة المدخنين من

تركيز شركات التبغ على المرأة لإيقاعها في حبائل التدخين لم يأت من فراغ

الرجال، وفي المقابل زيادة في عدد النساء المدخنات فقد أوضحت الدراسة ان نسبة المدخنات في مصر وصلت الى نحو ١٥٪(٤).

والطابع الذكوري ما زال غالباً على المدخنين حيث يمارسه ٤٧٪ من الرجال بينما تنخفض النسبة بين النساء إلى ١٢٪، وتمثل النساء ثلث المدخنين في الدول الصناعية، أما في الدول النامية فلا تدخن الا امرأة واحدة من بين كل ثماني نساء، أما في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فيدخن ٥٪ من النساء(٥).

وزارة الصحة البريطانية أجرت دراسة أكدت وجود علاقة إيجابية بين زيادة إنفاق شركات التبغ على إعلانات السجائر من ناحية وازدياد المعدلات الحقيقية للتدخين في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا. واوضحت دراسة أخرى أجريت في نيوزيلندا أن الدول التي تحظر إعلانات التبغ في وسائل إعلامها مثل فنلندا والنرويج وكندا ونيوزيلندا تقل معدلات استهلاك التبغ فيها بصفة ملحوظة عن الدول التي تسمح بإعلانات من هذا النوع مثل اليابان وماليزيا اللتان تشهدان معدلات نمو سنوية أكبر في تعداد المدخنين. كما تؤكد إحصاءات منظمة الصحة العالمية باستمرار على زيادة نسبة المدخنين إلى أن وصلت نسبتها إلى ٧٠٪ بين الذكور و٢٥٪ بين الإناث، وذلك بسبب التأثير القوي للإعلانات التجارية الخاصة على منتجات التبغ بمختلف أنواعه، ولذا تركز شركات التدخين على النساء كهدف ووسيلة في الوقت نفسه، ففي مواجهة القيود الثقافية التي تحول دون انخراط النساء في التدخين تلجأ تلك الشركات الى اساليب خبيثة لإيقاع النساء في حبائل التدخين بربط التدخين بالجمال والتحضر فتنشر صوراً لنساء جميلات يدخن وتنتج بعض الشركات سجائر بأسماء النساء وتربط بين التدخين وقوة شخصية المرأة فتظهر إعلانات لنساء مدخنات يؤكدن ان التدخين حق من الحقوق المدنية

للمرأة(٦).

في العاصمة الفنلندية هلسنكي انعقد المؤتمر الثاني عشر حول (التبغ والصحة) وأصدر تقريرا رصد آليات انتشار التدخين بين النساء، وأكد أن الحملات التسويقية المتصاعدة لشركات التدخين الموجهة للنساء في البلدان النامية رفعت معدلات التدخين التي كانت منخفضة بين النساء.

ففي كمبوديا وماليزيا وبنجلاديش تزداد معدلات التدخين بين النساء، وفي بريطانيا وايطاليا وايرلندا وبلغاريا والنرويج والدانمارك ومالطة يتوقع أن يزداد عدد الفتيات المدخنات بين سن ١٥-١٩ سنة عن عدد الفتيان المدخنين في الفئة العمرية نفسها.

وفي مواجهة القيود الثقافية على التدخين المنتشرة بين النساء تلجأ شركات التبغ إلى اقناع الفتيات بالتدخين من خلال استراتيجيات ترويجية تربط بين التدخين والأنوثة والرقي والتحرر والاستقلالية على النمط الغربي، ورغم أن أعداد النساء المدخنات تقل عن أعداد الرجال المدخنين الا أن أعداداً متزايدة من النساء العاملات المنجذبات نحو نمط الحياة الغربية في استقلال المرأة بدأن يتجهن نحو التدخين، ووجدت شركات التبغ في هؤلاء عوضاً عن المدخنين، فعلى المدى الطويل يتوقع أن يموت ٢٥٪ من المدخنين بسبب التدخين، وهذا يقلل من عدد زبائن شركات التبغ، ولكي تضمن تلك الشركات استمرار ارباحها فإنها لابد أن تجذب ٢,٧ مليون مدخن جديد سنوياً ومن هنا جاء تركيز شركات التبغ على النساء ولاسيما في المجتمعات التي لم تكن تعرف فيها النساء التدخين(٧).

من بين الآليات المتبعة لإيقاع النساء في التدخين إنتاج سجائر مخصصة لهن تدّعي شركات التبغ انها منخفضة القطران، لكن دراسة بريطانية نسفت هذا الادعاء وأكدت ان هذا الادعاء مجرد خدعة وان تلك السجائر لا تقل أضرارها عن الأنواع الأخرى من السجائر. لقد أجريت الدراسة على ٧٨٠ امرأة يدخن سجائر منخفضة القطران وتبين أن ٤٠٪ من هن يعتقدن أن تدخين هذا النوع من السجائر سيكون أقل ضرراً عليهن، لكن الدراسة أكدت أن مدخني السجائر منخفضة القطران يستنشقون معدلات أكبر من النيكوتين والقطران تصل إلى ثمانية اضعاف النسبة المسجلة على علب السجائر، وأن مرضى السجائر بنوعيها مرتفعة أو منخفضة القطران معرضون للوفاة المبكرة ويبلغ تعدادهم ضعفي غير المدخنين، وكشفت الدراسة التي أجريت على جماعة (لندن خالية من التدخين) أن ٥٨٪ من النساء يدخن السجائر الخفيفة مقابل ٥٠٪ من الرجال، كما أصدر المعهد الوطني للسرطان في جنيف تقريراً أكد فيه أن السجائر ذات نسبة القطران الخسيفة لا تحد من المخاطر على صحة المدخنين البتة، وأوضح أنه ليس هناك أي فروق بين السجائر العادية والسجائر الخفيفة فيما يتعلق بالمخاطر على الصحة. وحذر من خطورة الترويج للسجائر الخفيفة القائم على خداع (خفض المخاطر) مؤكداً على أن مستهلكي السجائر ذات النسبة الخفيفة من القطران لا يخفض من خطر الإصابة بسرطان الرئة أو انتفاخ الرئة أو أمراض شرايين القلب وغيرها من الأمراض التي يسببها التدخين، ذلك ان المدخن حين ينتقل من سجائره المعتاد عليها إلى سجائر (خفيفة) كما تسميها الشركات - يضطر تلقائياً لتعويض نسبة النيكوتين التي كان يحصل عليها من دخانه المعتاد بزيادة عدد السجائر المدخنة حتى يحصل على جرعته اليومية المعتادة من النيكوتين، كما أنه يلجأ إلى طرق أخرى منها إحكام شفتيه حول عقب السيجارة حتى لا يتسرب أي دخان الى الخارج ويستنشق الدخان عميقاً ويستهلك السيجارة بسرعة أكبر، وفي مواجهة هذه الخدعة قرر الاتحاد الأوروبي حظر تدوين عبارات (مخفضة القطران) على علب السجائر بدءاً من سبتمبر ٢٠٠٣م(٨).

إن تركيز شركات التبغ على المرأة لإيقاعها في حبائل التدخين لم يأت من فراغ فقد اثبتت الأبحاث العلمية ان إقلاع المرأة عن التدخين أصعب من إقلاع الرجال، إذ قام الدكتور «كنت بيركنز» من «جامعة بتسبرغ» بدراسة له ببحث الأساليب المبتكرة التي وضعت لمساعدة المدخنين والمدخنات للإقلاع عن التدخين فوجد أن الصعوبات التي واجهتها المدخنات تفوق تلك التي واجهها الرجال وأرجع ذلك إلى أن النساء أكثر حساسية لمخدّرات التدخين كشرب القهوة والشعور بالضيق ومشاهدة مدخن يشعل سيجارته، وأكد «بيركنز» ان افضل الطرق للإقلاع عن التدخين المتوافرة حالياً هي تلك التي تجمع بين المعالجة والتداوي بالعقاقير مثل عقار «بروبين» والعلكة الحاوية على القطران.

وتشير دراسات اخرى إلى ان معظم المدخنات لا تتوافر لديهن الأوقات الكافية للانخراط في برامج الإقلاع عن التدخين، وفي البلدان التي انخفضت فيها نسبة المدخنين جراء تطبيق هذه البرامج لوحظ أن انخفاض نسبة المدخنين بين النساء أقل مما هو عليه بين الرجال، فإقلاع المرأة عن التدخين يحتاج إلى جهد أكبر ومداومة أطول، فالمدخنات منهن يحتجن إلى دعم نفسي ومعنوي ومعالجة الظروف التي دفعتهن الى التدخين حتى يقلعن عنه، وربما الظروف تختلف من بلد إلى آخر، ففي البلدان الصناعية يعد الفراغ والمشكلات النفسية والعاطفية أهم ما تعانيه فتيات تلك المجتمعات مما يجعلهن صيداً سهلا للتدخين، أما في المجتمعات النامية فتعد الظروف الحياتية الصعبة والرغبة في التقليد الأعمى والفهم الخاطئ لمفهوم الحرية من أهم أسباب تدخين النساء(٩).

وفي مواجهة محاولات شركات التبغ لتوسيع رقعة التدخين بين النساء تزداد الحقائق الدامغة التي تدفع بها الأبحاث العلمية حول الآثار المدمرة للتدخين على المرأة وهناك نحو ٢٥٪ من المدخنات يتوفين

احتمال تعرض المدخنات للإجهاض يساوي ثلاثة أضعاف احتمال إجهاض غير المدخنات

بسبب أمراض ناجمة عن التدخين وثلث هؤلاء يمان دون ٥٦٠ من أعمارهن. وفي مجتمع المدخنات يعد التدخين مسؤولا عن ٤٠٪ من الوفيات الناجمة عن أمراض القلب وعن ٥٥٪ من الوفيات الناجمة عن السكتة الدماغية وعن ٨٠٪ من الوفيات الناجمة عن سرطان الرئة وعن ٣٠٪ من الوفيات الناجمة عن كل أشكال السرطان في كل من اليابان والنرويج والسويد وبولندا وبريطانيا. كما تضاعفت الوفيات الناجمة عن هذه الأمراض بسبب التدخين ثلاثة أضعاف في كندا والولايات المتحدة وضعفين في استراليا ونيوزيلندا والدانمارك، بل إن وزارة الصحة الأميركية كشفت في تقرير لها عن أن التدخين يقتل ١٦٥ ألف امرأة سنوياً أي بمعدل وفاة واحدة كل ٣,٥ دقيقة في أميركا وحدها التي تضاعفت فيها الوفيات الناجمة عن سرطان الرئة بسبب التدخين ست مرات خلال الفترة من العام ١٩٥٠م إلى العام ٢٠٠٠م. وفي دول شرق آسيا تنتج ٥٨٪ من حالات سرطان الفم عند النساء عن التدخين. وفي أستراليا أجرى فريق طبي دراسة على ١٦٧٩٠ امرأة مدخنة لمعرفة العلاقة بين التدخين وسرطان المبيض فتبين لهم أن المرأة المدخنة معرضة للإصابة بهذا السرطان ضعف المرأة غير المدخنة، وأظهر بحث طبي آخر أن احتمال تعرض المدخنة للإجهاض يساوي ثلاثة أضعاف احتمال إجهاض غير المدخنات، وفي ألمانيا كشفت دراسة طبية أن أمراض سرطان الثدي وسرطان الرئتين تصيب المدخنات بمعدل يفوق مئة مرة عن غير المدخنات. وفي بوسطن في الولايات المتحدة الأميركية أجريت دراسة على مجموعتين من النساء تتألف الأولى من ٢٥ ألف امرأة في مستشفيات بوسطن، والثانية من ٣٢ ألف امرأة في مستشفيات كندا وايطاليا وألمانيا وتبين أن المدخنات يصلن الى سن اليأس في عمر مكبر عن الحدود الطبيعية المعروفة بـ «٥٠» سنوات وأن عدم انتظام حالات الطمث بين المدخنات يصل إلى ضعفي نظيره لدى غير المدخنات، وأن ٣٦٪ من المدخنات يعانين من التهابات في الغدة الدرقية مقابل ٥٪ من غير المدخنات، كما يصاب ٦٥٪ من المدخنات، ويصل ٢٠٪ من المدخنات إلى سن اليأس في سن مبكرة مقابل ١,٥٪ من غير المدخنات، كما تنخفض خصوبة المرأة المدخنة (أي قدرتها على الإنجاب) بمعدل يصل الى ٥٠٪ وتتضاعف احتمالات إسقاط الجنين المتكررة لديها في اثناء الحمل وكذلك تتضاعف احتمالات حدوث الحمل خارج الرحم وانفكاك المشيمة المبكر ثلاثة أضعاف غير المدخنات، كما أن المدخنة تواجه صعوبة في الإقلاع عن التدخين أكثر مما يواجهه المدخن فتواجه كذلك مخاطر صحية أكثر مما يواجهه المدخن، فقد أجريت المفوضية الألمانية لشؤون التدخين دراسة استمرت ٢٢ عاما بينت ان تدخين النساء ولو بكميات قليلة يصيبهن بالجلطة وانسداد الأوعية الدموية بمعدل أكبر مما يصب المدخنين وان تدخينهن لخمسة جرامات من التبغ يوميا يكفي لإصابتهن بأضرار تساوي ما يصيب الرجال من تدخينهم ضعف هذه الكمية يوميا، كما أن المدخنات يعانين من مشكلات في الجهاز التنفسي أكثر من المدخنين، أجرى معهد الصحة العامة في النرويج دراسة مشابهة على ٦٠ ألف من الرجال والنساء وخرج بنتائج تؤكد نتائج البحث الألماني إذ وجد أن معدلات الإصابة بالربو عند المدخنات أكبر مما هي عند المدخنين، وألا يقتصر أثر تدخين المرأة على صحتها بل يمتد إلى أطفالها وهم أجنة في أحشائها حتى يشبوا، ففي السويد توصل باحثون في معهد كارولنسكا للأبحاث إلى وجود علاقة بين تدخين النساء في أثناء فترة الحمل ووفاة أطفالهن في المهد أو ما يسمى «الموت المفاجئ للأطفال» ويقصد به موت الأطفال قبل سن الشهر السادس بلا سبب مرضي معروف إذ تبين أن تدخين الأم قبل الولادة يصيب الطفل بانخفاض ردة فعله عند حدوث نقص في الأكسجين بسبب تأثير النيكوتين سلبا في الدوائر العصبية التي توقظ الطفل من نومه عندما يتوقف عن التنفس. وقد اشارت دراسات أخرى الى أن نسبة الموت في المهد ترتفع لدى أطفال الأمهات المدخنات إلى معدل ٣٠٪ ويزداد ارتفاع هذه النسبة إذا كان الأب والأم مدخنين ولا يشترط ان يكون التدخين قد حدث خلال فترة الحمل، بل إن تعرض الطفل بعد الولادة للتدخين السلبي (تعرضه للدخان الناتج من تدخين الأم بالقرب من الطفل) يؤدي الى هذه الحال وفي الولايات المتحدة الأميركية أظهرت دراسة أجريت على «١١١٧٧» امرأة ان تأخر نمو الجنين داخل الرحم قد يصل الى ١٨٪ إذا كانت المرأة تدخن خلال فترة الحمل كلها وتتراجع نسبة التأخر الى ١٥٪ اذا كانت تدخن خلال الأشهر الستة الأولى من الحمل، كما يؤدي التدخين الى انخفاض نسبة حليب الأم المرضع ما بين ٣٠-٥٠٪، وفي دراسة أجريت على «١٢٧٤٠» طفلا تبين أن الالتهابات التنفسية منذ ولادة الطفل وحتى عمر خمس سنوات مرتبطة بتدخين الأم في أثناء الحمل، وبتحليل «١٣» دراسة حول الموضوع نفسه تبين ان الالتهاب التنفسي من عمر يوم الى خمس سنوات مرتبط بتدخين الأم خلال الحمل وأن نسبة المشكلات التنفسية تصل إلى ٤٥٪ خلال السنة الأولى من العمر لدى أطفال الأمهات

المدخنات. ويتعرض النساء أطفال المدخنات لالتهابات الجهاز التنفسي العلوي فتصل الى خمسة أضعاف، كما تتضاعف إصابة أبناء المدخنات بالمغص واضطرابات النوم، أما أخطر ما كشفته الدراسات في هذا الصدد فهو أن خطر إصابة الطفل بالتأخر العقلي يزداد بنسبة ٦٠٪ عندما تكون أمه مدخنة ويزداد هذا الخطر إلى ٧٥٪ إذا زاد عدد السجائر التي تدخنها عن ٢٠ سيجارة في اليوم. وبعيدا عن الاحتمالات أشارت دراسة علمية إلى أن ٣٥٪ من أطفال الأمهات اللاتي كن يدخن في أثناء الحمل يصابون بدرجة من التأخر العقلي ولا يقل خطورة عن ذلك ما أثبتته الأبحاث من أن تدخين الحامل يزيد نسبة إصابة وليدها بالتشوهات الخلقية كالشفة المشقوقة (الشفة الأرنبية) وبعض المشكلات التركيبية للعين والأذن(١٠).

إن المرأة المدخنة أكثر عرضة للإصابة بأمراض خطيرة ناجمة عن التدخين بسبب قلة مقاومتها مقارنة بالرجل، وأن النساء أكثر عرضة لمضار التدخين وعوارضه مقارنة بالرجال.

ولا تتوقف جناية المرأة المدخنة على طفلها بما يصيبه من أمراض جراء تدخينها بل أن تأثيرها يمتد إلى سلوكه أيضا: ففي جامعة إيموري في أتلانتا الأميركية كشفت دراسة علمية أن أبناء الأمهات المدخنات أكثر ميلا للعنف وأكثر استعدادا لارتكاب الجريمة وأكدت الدراسة أنه كلما كثرت النساء من التدخين خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل ارتفع معدل الاعتقالات الجنائية لأطفالهن الذكور جراء ميلهم إلى السلوك العنيف. قام الباحثون بفحص السجلات الجنائية لأبناء أكثر من ٤٠ ألاف امرأة كن يسجلن يوميات عن عادات التدخين لديهن في أثناء الحمل خلال الفترة من الأعوام ١٩٥٩م إلى ١٩٦١م وبعد ٣٤ عاما أظهرت سجلات الشرطة أن الأبناء المولودين لنساء اعتدن على تدخين ما بين ١٠ الى ٢٠ سيجارة في اليوم كانوا مرشحين لاقتراف جرائم عنف ضعف أبناء المدخنات، وأرجع الباحثون هذه النتائج إلى الضرر الذي يلحقه النيكوتين بالجهاز العصبي المركزي للجنين مما يؤثر بعد ذلك على سلوك الطفل وبروز نزعة عدوانية لديه(١٠).

وكشفت دراسة أخرى عن وجود علاقة بين تدخين المرأة في أثناء الحمل ومستوى النمو النفسي والمعرفي والحركي لطفلها: أجريت الدراسة على ١٧١٥٥، طفلا كانت أمهاتهم يدخن في أثناء الحمل وأظهرت انخفاضاً مهما في مستوى القراءة والرياضيات لديهم في عمر ٧ و ١١ و ١٦ سنة، وانخفاضا في المستوى الاجتماعي المهني لهم عندما يصلون الى ٢٣ سنة؛ ١٢٦٥٠، طفلا مدة ١٥ عاما كانت أمهاتهم يدخن في أثناء الحمل تبين أن هناك ارتفاعاً ملحوظاً في معدل الاضطرابات الحركية لديهم(١١).

فإذا كان الرجال بدأوا في الإقلاع عن التدخين نتيجة الآثار الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والإنسانية عليهم، فمن الأولى أن تقلع النساء عن التدخين للآثار السلبية المترتبة عليهن شخصياً دون الرجال والمترتبة على اجنتهن ومواليدهن ومجتمعاتهن وانسانيتهن أمام أسرهن، حيث ثبت في الشريعة الإسلامية ان التدخين حرام في ضوء ما يلي:

١- إضراره بالصحة العامة، فقد ثبت لدى تقارير لأطباء موثوقين أن التدخين مضر بالصحة، ومسبب للكثير من الأمراض، وكل ما كان ذلك كان محرماً لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» رواه أحمد(١٢).

٢- إنه من المخدرات أو المفترات، وكل ما كان كذلك فهو حرام، قياساً على الخمرة، ولحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نهى النبي ﷺ عن كل مسكر ومفتر» رواه البخاري(١٣).

٣- كونه كريه الرائحة، وما كان كذلك كان ممنوعا منه لحديث جابر ﷺ: «أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس»، وقول النبي ﷺ: «من آذى مسلماً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» سنن الترمذي(١٤).

٤- ما فيه من الإسراف والتبذير، وهو حرام لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾(الإسراء: ٢٦، ٢٧).

٥- الاحتياط وهو القول بالأشد عند تعارض الأدلة، فإذا سلمنا بتعارض الأدلة فلا أقل من القول بالتحريم احتياطاً.●

الهوامش والمراجع

١- صلاح علي، تقرير جمعية مكافحة التدخين، مملكة البحرين، ٢٠٠٤م، ص١٢ .
٢- سلمان بن محمد العمري، الجريدة الاقتصادية، عدد ذو القعدة، ١٤٢٥هـ، ص٣٢ .
٣- توفيق خوجه، تقرير صادر عن مجلس وزراء الصحة في دول مجلس التعاون الخليجي ١٤٢٥هـ ص٢ .
٤- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، ٢٠٠٤، ص١٦
٥- تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٠٤م، ص١٦ .
٦- المرجع السابق، ص٢٣ .
٧- المرجع السابق، ص٢٣ .
٨- المرجع السابق، ص٢٧ .
٩- المرجع السابق، ص٢٨ .
١٠- المرجع السابق، ٢٩ .
١١- تقرير جامعة إيموري، اتلانتا، أميركا، ٢٠٠٤م، ص١٧ .
١٢- رواه أحمد في مسنده، الجزء الرابع، ص١٢٨ .
١٣- رواه البخاري، الكتاب رقم ٦٤، الباب ٦٠ .
١٤- سنن الترمذي، الكتاب رقم ٢٤، الباب رقم ١-٣

المراهقة .. كيف نتجاوزها بنجاح؟

بقلم: حسام فتحي أبو جبارة - دبي

إن «المراهقة» مرحلة من أخطر المراحل التي يمر بها الإنسان ضمن أطواره المختلفة التي تتسم بالتجدد المستمر، والترقي في معارج الصعود نحو الكمال الإنساني الرشيد، ومكمن الخطر في هذه المرحلة التي تنتقل بالإنسان من الطفولة إلى الرشد، هي التغيرات في مظاهر النمو المختلفة (الجسمية والفسيولوجية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والدينية والخلقية)، ولما يتعرض الإنسان فيها إلى صراعات متعددة، داخلية وخارجية.

● مفهوم المراهقة ومراحلها

ترجع كلمة «المراهقة» إلى الفعل العربي «راهق» الذي يعني الاقتراب من الشيء، فراهق الغلام فهو مراهق: أي قارب الاحتلام، ورهقت الشيء رهقا: أي قربت منه. والمعنى هنا يشير إلى الاقتراب من النضج والرشد.

أما المراهقة في علم النفس فتعني: «الاقتراب من النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي»، ولكنه ليس النضج نفسه، لأن الفرد في هذه المرحلة يبدأ بالنضج العقلي والجسمي والنفسي والاجتماعي ولكنه لا يصل إلى تمام النضج إلا بعد سنوات عدة قد تصل إلى ١٠ سنوات.

وهناك فارق بين المراهقة والبلوغ، فالبلوغ يعني «بلوغ المراهق القدرة على الإنسال، أي اكتمال الوظائف الجنسية عنده، وذلك بنمو الغدد الجنسية، وقدرتها على اداء وظيفتها». أما المراهقة فتشير إلى «التدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي».

وعلى ذلك فالبلوغ ما هو إلا جانب واحد من جوانب المراهقة، كما أنه من الناحية الزمنية يسبقها، فهو أول دلائل دخول الطفل مرحلة المراهقة. ويشير ذلك إلى حقيقة مهمة، وهي أن النمو لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى فجأة، بل يكون تدريجياً ومستمراً ومتصلاً، فالمراهق لا يترك عالم الطفولة ويصبح مراهقا بين عشية وضحاها، ولكنه ينتقل انتقالا تدريجيا، ويتخذ هنا الانتقال شكل نمو وتغير في جسمه وعقله ووجدانه.

والفترة الزمنية التي تسمى «مراهقة» تختلف من مجتمع إلى آخر، ففي بعض المجتمعات تكون قصيرة، وفي بعضها الآخر تكون طويلة، ولذلك فقد قسمها العلماء إلى ثلاث مراحل هي:

١- مرحلة المراهقة الأولى (١١-١٤ عاماً) وتتميز بتغيرات بيولوجية سريعة.

٢- مرحلة المراهقة الوسطى (١٤-١٨ عاما) وهي مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية.

٣- مرحلة المراهقة المتأخرة (١٨-٢١ عاما) حيث يصبح الشاب أو الفتاة إنسانا راشدا بالمظهر والتصرفات.

وواضح من هذا التقسيم أن هذه المرحلة تمتد لتشمل أكثر من عشرة أعوام من عمر الفرد .. ولكن ما علامات بداية مرحلة المراهقة؟ وما أبرز خصائصها وصورها الجسدية والنفسية؟

بصفة عامة، تطرأ ثلاث علامات أو تحولات بيولوجية على المراهق، إشارة لبداية هذه المرحلة عنده وهي:

١- النمو الجسدي: حيث تظهر قفزة سريعة في النمو، طولاً ووزناً، تختلف بين الذكور والإناث، فتبدو الفتاة أطول وأثقل من الشاب خلال مرحلة المراهقة الأولى. وعند الذكور يتسع الكتفان بالنسبة إلى الوركين، وعند الإناث يتسع الوركان بالنسبة للكتفين والخصر، وعند الذكور تكون الساقان طويلتين بالنسبة لبقية الجسد، وتنمو العضلات.

٢- النضوج الجنسي: يتحدد النضوج الجنسي عند الإناث بظهور الدورة الشهرية، ولكنه لا يعني بالضرورة ظهور الخصائص الجنسية الثانوية (مثل: نمو الثديين وظهور الشعر في بعض أنحاء الجسم.

أما عند الذكور، فالعلامة الأولى للنضوج الجنسي، خشونه الصوت وظهور الشعر في بعض اعضاء جسده، وفي حين يحدث النضوج عند الإناث في حدود العام الثالث عشر، ويحصل عند الذكور في العام الخامس عشر تقريبا.

٣- تأثير البلوغ على نفسية الشباب أو الفتاة: ان للتحولات الهرمونية والتغيرات الجسدية في مرحلة المراهقة تأثيرا قويا على الصورة الذاتية والمزاج والعلاقات الاجتماعية، فظهور النضوج عند الإناث، يمكن أن يكون له ردة فعل معقدة، حيث تكون الفترة عبارة عن مزيج من الشعور بالمفاجأة والخوف والانزعاج بل ربما الابتهاج أحيانا.

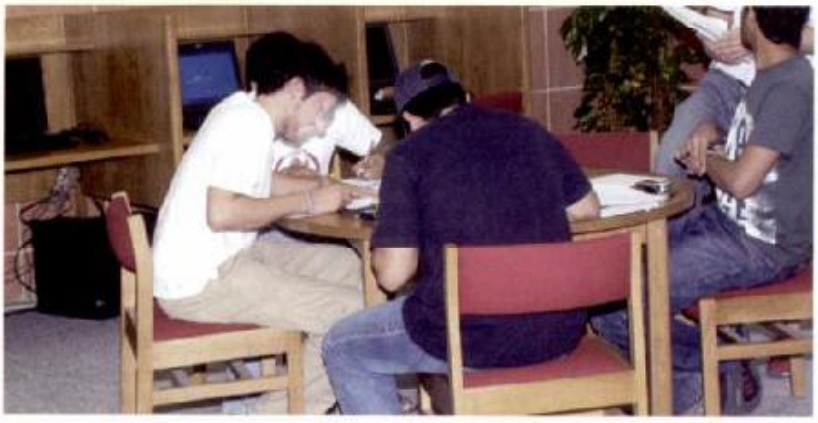

● مراهقة سويه خاليه من المشكلات

● أوقات الفراغ يجب ان يقضيها المراهق في امور مفيدة

والأمر عينه قد يحدث عند الذكور من خلال المشاعر السلبية والإيجابية. ولكن المهم هنا، أن أكثرية الذكور يكون لديهم علم بالأمر قبل حدوثه، في حين ان معظم الإناث يتكلن على أمهاتهن للحصول على المعلومات او يبحثن عنها في المصادر والمراجع المتوافرة لديهن.

● مشكلات المراهقة

يقول الدكتور «عبدالرحمن العيسوي»: إن «المراهقة تختلف من فرد إلى آخر، ومن بيئة جغرافية الى أخرى، ومن سلالة إلى أخرى، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق، فهي في المجتمع البدائي تختلف عنها في المجتمع المتحضر، وكذلك تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي، كما تختلف من المجتمع المتزمت الذي يفرض كثيرا من القيود والأغلال على نشاط المراهق، عنها في المجتمع الحر الذي يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة. كذلك فإن مرحلة المراهقة ليست مستقلة بذاتها استقلالاً تاماً، وإنما هي تتأثر بما مر به الطفل من خبرات في المرحلة السابقة، والنمو عملية مستمرة ومتصلة».

ولأن النمو الجنسي الذي يحدث في سن المراهقة ليس من شأنه أن يؤدي بالضرورة إلى حدوث أزمات للمراهقين، فقد دلت التجارب على أن النظم الاجتماعية الحديثة التي يعيش فيها المراهق هي المسؤولة عن حدوث أزمة المراهقة.

فمشكلات المراهقة في المجتمعات الغربية أكثر كثيراً من نظيراتها في المجتمعات العربية والإسلامية. وهناك أشكال مختلفة للمراهقة منها:

١- مراهقة سوية خالية من المشكلات والصعوبات.

٢- مراهقة انسحابية، حيث ينسحب المراهق من مجتمع الأسرة، ومن مجتمع الأقران، ويفضل الانعزال والانفراد بنفسه حيث يتأمل ذاته ومشكلاته.

٣ مراهقة عدوانية، حيث يتسم سلوك المراهق فيها بالعدوان على نفسه وعلى غيره من الناس والأشياء.

والصراع لدى المراهق ينشأ من التغيرات البيولوجية، الجسدية والنفسية، التي تطرأ عليه في هذه المرحلة، فجسديا حيث يشعر بنمو سريع قد يسبب له قلقاً وإرباكاً، ونفسيا، ويبدأ بالتحرر من سلطة الوالدين ليشعر بالاستقلالية والاعتماد على النفس، وبناء المسؤولية الاجتماعية، وهو في الوقت نفسه لا يستطيع أن يبتعد عن الوالدين، لأنهما مصدر الأمن والطمأنينة ومنبع الجانب المادي لديه. وهذا التعارض بين الحاجة إلى الاستقلال والتحرر والحاجة إلى الاعتماد على الوالدين، وعدم فهم الأهل لطبيعة المرحلة وكيفية التعامل.

مع سلوكات المراهق، يؤدي إلى خلخلة التوازن النفسي للمراهق، ويزيد من حدة المرحلة ومشكلاتها.

ومن أبرز المشكلات والتحديات السلوكية في حياة المراهق ما يلي:

١- الصراع الداخلي: حيث يعاني المراهق من وجود صراعات داخلية عدة ومنها: صراع بين الاستقلال عن الأسرة والاعتماد عليها، وصراع بين مخلفات الطفولة ومتطلبات الرجولة والأنوثة، وصراع بين طموحات المراهق الزائدة وبين تقصيره الواضح في التزاماته، وصراع بين غرائزه الداخلية وبين التقاليد الاجتماعية، والصراع الديني بين ما تعلمه من شعائر ومبادئ ومسلمات وهو صغير وبين تفكيره الناقد الجديد وفلسفته الخاصة للحياة، وصراعه الثقافي بين جيله الذي يعيش فيه بما له من آراء وأفكار والجيل السابق.

٢- الاغتراب والتمرد: فالمراهق يشكو من أن والديه لا يفهمانه، ولذلك يحاول الانسلاخ عن مواقف وثوابت ورغبات الوالدين كوسيلة لتأكيد وإثبات تفرده وتمايزه، وهذا يستلزم معارضة سلطة الأهل، لأنه يعتبر أي سلطة فوقية او توجيه إنما هو استخفاف لا يطاق بقدراته العقلية التي أصبحت موازية جوهريا لقدرات الراشد، واستهانة بالروح النقدية المتيقظة لديه، التي تدفعه إلى تمحيص الأمور كلها، وفقا لمقاييس المنطق، وبالتالي تظهر لديه سلوكات التمرد والمكابرة والعناد والتعصب والعدوانية.

٣- الخجل والانطواء: فالتدليل الزائد والقسوة الزائدة يؤديان إلى شعور المراهق بالاعتماد على الآخرين في حل مشكلاته، لكن طبيعة المرحلة تتطلب منه أن يستقل عن الأسرة ويعتمد على نفسه، فتزداد حدة الصراع لديه، وينجأ الى الانسحاب من العالم الاجتماعي والانطواء والخجل.

٤- السلوك المزعج: وهذا تسببه رغبة المراهق في تحقيق مقاصده الخاصة من دون اعتبار للمصلحة العامة، وبالتالي قد يصرخ، يشتم، يسرق، يركل الأطفال ويتصارع مع الكبار، يتلف الممتلكات، يجازف في أمور تافهة، يتورط في المشكلات، يخرق حق الاستئذان، ولا يهتم بمشاعر غيره.

٥- العصبية وحدة الطباع: فالمراهق يتصرف من خلال عصبيته وعناده، يريد أن يحقق مطالبه بالقوة والعنف الزائد، ويكون متوترا بشكل يسبب إزعاجا كبيرا للمحيطين به.

وتجدر الإشارة هنا الى أن كثيرا من الدراسات العلمية تشير إلى وجود علاقة قوية بين وظيفة الهرمونات الجنسية والتفاعل

العاطفي عند المراهقين، بمعنى أن المستويات الهرمونية المرتفعة خلال هذه المرحلة تؤدي إلى تفاعلات مزاجية كبيرة على شكل غضب وإثارة وحدة طبع عند الذكور، وغضب واكتئاب عند الإناث.

• فهم المرحلة.. تجاوز ناجح لها

إن مشكلات المراهقة، سببها الرئيس هو عدم فهم طبيعة وحاجات هذه المرحلة من جهة الوالدين، وأيضاً عدم تهيئة الطفل أو الطفولة لهذه المرحلة قبل وصولها. ولمساعدة الوالدين على فهم مرحلة المراهقة، فقد حدد بعض العلماء واجبات النمو التي ينبغي أن تحدث في هذه المرحلة للانتقال إلى المرحلة التالية، ومن هذه الواجبات ما يلي:

١- إقامة نوع جديد من العلاقات الناضجة مع زملاء العمر.

٢- اكتساب الدور المذكر أو المؤنث المقبول دينيا اجتماعيا لكل جنس من الجنسين.

٣- قبول الفرد لجسمه أو جسده، واستخدام الجسم استخداما صالحا.

٤- اكتساب الاستقلال الانفعالي عن الوالدين وغيرهم من الكبار.

٥- اختيار مهنة والإعداد اللازم لها.

٦- الاستعداد للزواج وحياة الأسرة.

٧- تنمية المهارات العقلية والمفاهيم الضرورية للكفاءة في الحياة الاجتماعية.

٨- اكتساب مجموعة من القيم الدينية والأخلاقية التي تهديه في سلوكه.

ويرى المراهق أنه بحاجة إلى خمسة عناصر في هذه المرحلة وهي: الحاجة الى الحب والأمان، والحاجة الى الاحترام، والحاجة لإثبات الذات، والحاجة للمكانة الاجتماعية، والحاجة للتوجيه الإيجابي.

ولتحقيق واجبات النمو التي حددها العلماء، وحاجات المراهق في هذه المرحلة، على الأهل تهيئة ابنهم المراهق لدخول هذه المرحلة، وتجاوزها من دون مشكلات، ويمكن أن يتم ذلك بخطوات كثيرة منها:

١- إعلام المراهق أنه ينتقل من مرحلة إلى أخرى، فهو يخرج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة جديدة، تعني أنه كبر وأصبح مسؤولا عن تصرفاته، وأنها تسمى مرحلة التكليف، لأن الإنسان يصبح محاسباً من قبل الله تعالى، لأنه وصل إلى النضج العقلي والنفسي الذي يجعله قادراً على تحمل نتيجة أفعاله واختياراته.

وأنه مثلما زادت مسؤولياته فقد زادت حقوقه، وأصبح عضواً كاملاً في الأسرة يشارك في القرارات، ويؤخذ رأيه، وتوكل له مهام يؤديها للثقة فيه وفي قدراته.

٢- أن هناك تغيرات جسدية، وعاطفية، وعقلية، واجتماعية تحدث في نفسيته وفي بنائه، وأن ذلك نتيجة لثورة تحدث داخله استعدادا أو إعدادا لهذا التغير في مهمته الحياتية، فهو لم يعد طفلاً يلعب ويلهو، بل أصبح له دور في الحياة، لذا فإن إحساسه العاطفي نحو الجنس الآخر أو شعوره بالرغبة يجب ان يوظف لأداء هذا الدور، فالمشاعر العاطفية والجنسية ليست شيئا وضيعا أو مستقذرا، لأن لها دورا مهماً في إعمار الأرض وتحقيق مراد الله في خلافة الإنسان. ولذا فهي مشاعر سامية إذا أحسن توظيفها في هذا الاتجاه، لذا يجب أن يعظم الإنسان منها ويوجهها الاتجاه الصحيح لسمو الغاية التي وضعها الله في الإنسان من أجلها، لذا فنحن عندما نقول: إن هذه العواطف والمشاعر لها طريقها الشرعي من خلال الزواج، فنحن نحدد الجهة الصحيحة لتفريغها وتوجيهها.

● تغيرات جسدية وعاطفية واضحة عند المراهقين

٣- أن يعلم المراهق الأحكام الشرعية الخاصة بالصيام والصلاة والطهارة والاغتسال، ويكون ذلك مدخلا لإعطائه الفرصة للتساؤل حول أي شيء يدور حول هذه المسألة، حتى لا يضطر لأن يستقي معلوماته من جهات خارجية يمكن أن تضره أو ترشده إلى خطأ أو حرام.

٤- التفهم الكامل لما يعاني منه المراهق من قلق وعصبية وتمرد، وامتصاص غضبه، لأن هذه المرحلة هي مرحلة الإحساس المرهف، مما يجعل المراهق شخصا سهل الاستثارة والغضب، ولذلك على الأهل بث الأمان والاطمئنان في نفس ابنهم، وقد يكون من المفيد القول مثلا: «أنا أعرف أن إخوتك يسببون لك بعض المضايقات، وأنا نفسي أحس بالازعاج، لكن على ما يبدو أن هناك أمراً آخر يكدرك ويغضبك، فهل ترغب بالحديث عنه؟».. لأن ذلك يشجع المراهق على الحديث عما يدور في نفسه.

٥ إشاعة روح الشورى في الأسرة، لأن تطبيقها يجعل المراهق يدرك أن هناك رأيا ورأيا آخر معتبراً لا بد أن يحترم، ويعلمه ذلك أيضا كيفية عرض رأية بصورة عقلانية منطقية، ويجعله يدرك أن هناك أموراً استراتيجية لا يمكن المساس بها، منها على سبيل المثال الدين، والتماسك الأسري، والأخلاق والقيم.

وعلى الأهل استثمار هذه المرحلة إيجاباً، وذلك بتوظيف وتوجيه طاقات المراهق لصالحه شخصيا، ولصالح أهله، وبلده، والمجتمع ككل. وهذا لن يتأتى من دون منح المراهق الدعم العاطفي، والحرية ضمن ضوابط الدين والمجتمع، والثقة، وتنمية تفكيره الإبداعي، وتشجيعه على القراءة والاطلاع، وممارسة الرياضة والهوايات المفيدة، وتدريبه على مواجهة التحديات وتحمل المسؤوليات، واستثمار وقت فراغه بما يعود عليه بالنفع.

مَلِكاتٌ لِعَرْشِ الجَمال..!!
قالت سَلِيلَةُ الأَصائِلِ

شعر: علي محمد محاسنه - الأردن

لا للترخُّص لا ولا سقطُ المتاعِ غنيمتي والجائزة
لالا .. ولا عرضُ النقيِّ على الرصيف ذُبابُهُ..
وذبابُهُ مُتصوِّرة
غبتُ من الجيفِ الرخيصِ وتلتهمْ
فغرتْ بأنياب العيونِ ولا ترى
بزكامها لا من يشمُّ فلا أنوف ولا شممْ..!

لا .. لستُ من مقياسهم
بالمترِ .. بالسنتيمِ .. بالكيلو تُسعرُ تشترى
لا .. لستُ من قُطعانه دلالُهمْ
بالسوطِ ينشرُ بينهمْ
مجلوبة..
للسوقِ هذا اليوم عشرُ طرائدٍ
شقراءُ .. وسمراءُ .. والقياسُ .. ووزنُها..!

أنا بنتُ حفصٍ.. بنتُ رملةَ.. بنتُ هندٍ.. والنهى
شهدُ الجمالِ هنا قُطوفٌ طاهرة..
أكمامُها فواحةٌ
ليستْ دهاناً يُشترى
لمساومٍ.. ومتاجرٍ.. قد تُعجبُهْ
قد يشتري..
ملكاتِه يمتصُّها
ونفايةً.. يُلقى بها
لا .. لستُ للسوقِ المُلطِّخِ لُعبةً

أنا عائشةٌ.. أنا عاتكةٌ..
أنا خَوْلةٌ وخُناسُ أينعَ طلعُها
وتخضَّبتْ
من طيبِ يثربَ نشرُها
والدندنهْ
«ماما عُمرْ.. ماما هُدى..
سُبحانهُ منْ أبدعكْ.. والحمدُ لهْ»
«قدْ أفلحَ الـ» و «تباركَ الـ»

هذا أنا ..
في عزةٍ.. تاجي هُنا
من عفةٍ ولآلئِ
مكنونةٌ..
ويُنورُ منْ سكبَ الجمالَ مُسبِّحهْ
ومليكةٌ
شرُفتْ هُدىً في مُلكِها والمملكةْ
من رُوحها شهدُ العطاءِ جداولٌ
تسمُو به..
في ذُروةٍ قد بُوركتْ.. مُتربِّعهْ

عندما تكتئب البراعم

بقلم: إيمان القدوسي

أوراق الورد تتألم: تذبل نضارتها: يخبو شذاها، وتكاد تتساقط بين أيدينا حزناً وشجناً.

وعلى النقيض من تلك الصورة المثالية عن مرحلة الطفولة باعتبارها فترة السعادة والانطلاق والخلو من الهموم فإن المؤشرات تؤكد ازدياد معدل إصابة الأطفال بالاكتئاب.

والاكتئاب الطفل له أعراضه ومظاهره الخاصة، كما أن وسائل علاجه تختلف أيضاً عن الكبار.

يؤكد العلماء أن اكتئاب الصغار ربما يكون وباءً عصرياً ينتشر جنباً إلى جنب في كل أنحاء العالم مع انتشارا أساليب الحياة الحديثة، وهذا الاكتئاب ليس مجرد حزن، بل هتور باعث على الشلل والغم والحسره وفقدان الأمل.

وتبدأ سلسلة هذه النوبات الاكتئابية منذ سنوات العمر المبكرة جداً واكتئاب الطفولة يبزغ اليوم كأحد ثوابت المشهد العصري بعد أن كان الأطفال لا يعرفونه من قبل تقريباً.

ولأن الطفل لايمكنه أن يعبر عن مشاعره الحزينة أو الاكتئابية بشكل مباشر فإن مظاهر الاكتئاب تبقى مقنعة لديه من دون أي ارتباط بالمشاعر الحقيقية التي يحس بها.

هناك مؤشرات يجب أن تلفت نظر الأهل والمربين حين يلاحظونها على الطفل من أهم تلك المؤشرات والأعراض:

أولاً: على مستوى السلوك

١- اضطرابات النوم:

الأرق - التكلم في أثناء النوم - التقلب المستمر والرفس- المشي في أثناء النوم (التجوال الليلي) - الكابوس والفزع الليلي.

٢ اضطرابات الطعام:

رفض تناول الطعام - الإصابة بالقيء الام معويه - فقدان الوزن

٣ التبول الليلي اللا إرادي

٤- التلعثم

٥- العدوانية

٦- الإفراط في الحركه عدم القدره على التركيز وتشتت الانتباه.

٧ اضطرابات سلوكية اخرى مثل الهروب من المدرسة- الكذب- اختلاق القصص السرقة- القسوة على الحيوانات - التلفظ بألفاظ نابيه.

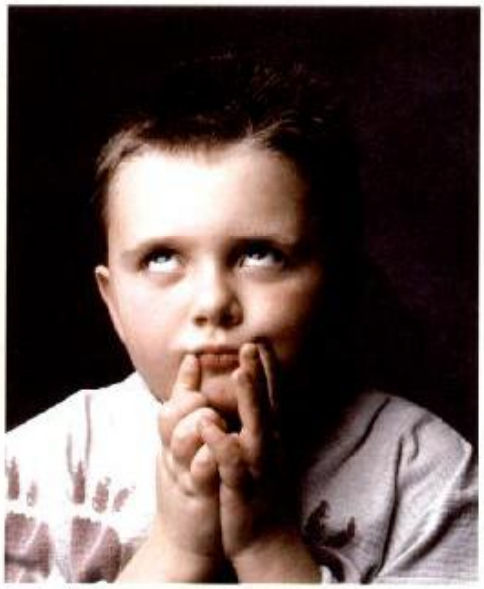

ثانياً: أما على مستوى المشاعر فيمكن ملاحظة ما يلي من الأعراض:

مشاعر سلبية منها: الشعور العميق بفتور الهمة أو الإحباط واليأس - الانصراف عن نشاطات كانت محببة لديه - رغبة عارمه بالبكاء - بطء الحركة - سلبية مفرطة - تعبيرات في الوجه حزينه وغير معبره - فقدان الاهتمام واللذة في ممارسة أي نشاط - انخفاض في مستوى الطاقة الحيوية حتى مع عدم بذل أي جهد - صعوبة التركيز وبطء التفكير وعدم القدرة على اتخاذ القرار مما يؤثر على مستوى التحصيل الدراسي - تفكير بالموت وخوف مبهم منه.

• ما أهم الأسباب التي تؤدي بالطفل للوصول إلى هذه الحال؟

يؤكد خبراء علم النفس: أن أهم المتغيرات في العصر الحديث التي أثرت على النمو النفسي للطفل، أن نواة الأسرة قد تآكلت وتضاءل معدل الطلاق وانخفضت بشدة الأوقات المتاحه للأطفال مع ابائهم نتيجة لكثرة تنقلهم واصبح الطفل ينشب من دون أن يعرف الكثير عن أسرته الكبيرة مما ينتج منه افتقاد لمصادر الهوية الذاتية المستقرة، مما يجعله أكثر عرضة للاكتئاب.

ومن أهم الأسباب التي يرصدها الخبراء فيما يختص بكآبة الأطفال:

١- عدم التوافق بين الوالدين ووجود مشاحنات بينهما على مسمع من أطفالهما.

٢ عندما يدفع الوالدان طفلهما الصغير الى المنافسة والصراع من أجل التفوق، وخصوصا عندما يفوق توقع الأهل قدرات الطفل الحقيقية مما يدفعه الى الإحساس بالعجز والفشل.

٣ معاملة الطفل بحسم وشده على أساس أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لتربيته.

٤- استمرار الطفل في متابعة ما يعرض التلفزيون من جرعات عنف وصراعات تفوق قدرته على التحمل.

نتائج بعيدة المدى للاكتئاب على شخصية الطفل:

إن الثمن الذي يدفعه الأطفال المرضى بالاكتئاب يمتد إلى ما هو أبعد مما يسببه لهم من معاناة. فالأطفال المكتئبون هم المهملون بين الأطفال، وفي المدرسة هم الذين لا يلعب معهم الأطفال كثيراً حيث يؤدي شعور هؤلاء الأطفال بالحزن والكآبه إلى تجنب المبادرة بعمل أي علاقات اجتماعية، أو الابتعاد عن الطفل الذي يحاول الاندماج معهم. هذا السلوك يجعل الطفل الآخر اعتبار ذلك صداً له ينتهي الأمر بالطفل المكتئب إلى أن يظل مهملاً مرفوضا بين أقرانه، هذا الفراغ في خبرتهم الخاصه بالعلاقات بين الناس يعني افتقارهم لما قد يتعلمونه بصورة طبيعية في أثناء العراك والدفاع عن النفس في أثناء اللعب، وبالتالي تبقى قدراتهم الاجتماعية والعاطفية متخلفة متخاذله يحتاجون لتداركها إلى بذل جهود كبيرة بعد ان يزول الاكتئاب عنهم، والواقع أن المقارنة بين الأطفال المكتئبين وأقرانهم تكشف عن عدم تحليهم بالذكاء الاجتماعي وقلة أصدقائهم وابتعاد زملائهم عنهم في أثناء اللعب وأنهم غير محبوبين وعلاقاتهم بغيرهم حافلة بالمشكلات.

ويدفع هؤلاء الأطفال ثمناً آخر للاكتئاب هو ضعف مستواهم الدراسي، فمشاعر الاكتئاب تقتحم ذاكرتهم وتركيزهم وتشتت انتباههم في الفصل، بل تجعل من الصعب حفظ ما تعلموه، فالطفل الذي لا يشعر بالفرحة لأي شيء، لا يستطيع حشد الطاقة التي تمكّنه من استيعاب دروسة ناهيك عن الخبرات التي يتعلمها في أثناء الدرس.

سبل العلاج

يجب على الأهل مراعاة تهيئة الجو النفسي الصحي الملائم لتربية أطفالهم بصفة عامة وليس من الضروري الانتظار حتى يقع الطفل فريسة للاكتئاب حتى نعيد النظر في أساليب معاملتنا معه فدائماً الوقاية خير من العلاج وخصوصاً فيما يتعلق بالمتاعب النفسية فجروح النفس الغائره من الصعب مداواتها ومن اليسير تجنب حدوثها ويقول الخبراء المختصون: إن القوة والحب يستبعد كل منهما الآخر، وبالتالي إذا ادعينا أننا نقسو على الطفل لتأديبه ولمصلحته فإن الرسالة التي تصل إلى وجدانه هي أن أهله يرفضونه ولا يحبونه لأنه غير جدير بالحب لأنه سيء لا يصلح لشيء مما يفقده ثقته بنفسه ويشوه صورته الذاتية مما يترتب عليه الكثير من مظاهر المعاناة.

١- فالمطلوب من الأهل أولاً: العمل على تعزيز احترام الطفل لذاته، وبشكل مواز مساعدته على تجاوز الأفكار السلبية التي يكونها عن نفسه، ومن المهم جداً توحيد رسائل إيجابية تقوم شخصيته، فنذكره بالإيجابيات التي قام بها سابقاً كوسيلة لتعزيز ذاكرة الأحداث الإيجابية عنده وتعزيز ثقته بنفسه.

فنقول مثلاً: أنت شخص ذكي أو يعجبني أسلوبك المهذب في التعامل مع الآخرين كذلك مشاطرته ولو لبضع دقائق في اليوم بعض الأنشطة والاهتمامات وإبداء السعادة بذلك.

٢- من المهم توجيه الانتقاد للسلوك الذي نرفضه لدى الطفل وليس لشخصه.

٣- من المهم أن نتحلى بالصبر ونستمع لمبررات الطفل فربما كان محقاً.

٤- يجب تجنب الملاحظات ذات الطابع النهائي (لن تتغير أبداً) أو الرفض (ضقت ذرعاً بك وبتصرفاتك) أو المثير لمشاعر الذنب لدى الطفل (تجعل حياتنا جحيماً لا يطاق) إذ إن الطفل حساس لآراء الآخرين به وبخاصة الأهل ومن شأن تلك الملاحظات ترسيخ حال اللاستقرار التي يعيشها ويعاني منها.

٥- من الممكن مساعدة هؤلاء الأطفال عن طريق تعليمهم كيف يعدلون أنماط تفكيرهم المرتبط بالاكتئاب لكي يكتسبوا مهارة في تكوين صداقات ويعاملون آباءهم معاملة أفضل وينخرطون في مزيد من الأنشطة الاجتماعية التي يحبونها.

ومن الممكن تدريب الطفل على التصرف بأساليب تعينه على تجاوز مشاعره الكئيبة وتجعله محبوباً وتساعده على اكتساب الأصدقاء.

ومن أهم هذه الأساليب

- عند الاختلاف مع الصديق - بدلاً من الشجار معه - فكر في حلول وسط بديله أو اقتراحات حول قواعد اللعبة.
- تحدث مع الطفل الذي تلعب معه واسأل عنه في أثناء اللعب.
- تعلم الإنصات والنظر الى من تلعب معهم لترى ماذا يفعلون ويمكنك ان تعلق تعليقاً طريفاً عندما يؤدي شخصاً آخر اداءً حسناً.
- ابتسم لأصدقائك وقدم لهم المساعدة.

إن المطلوب ليس فقط علاج الاكتئاب وانما الوقاية منه والسبيل إلى ذلك كما يقول الخبراء المختصون هو تطعيم الذهن سيكلوجياً بأفكار معينة نقيه من المرض، أهم تلك الأفكار هي ما يتعلق بغرس الثقة بالنفس واحترام الذات والإحساس بحب الأهل ومساندتهم والنظرة المتفائلة الإيجابية للواقع والإيمان بأن المستقبل سيكون أفضل.

علينا أن نجعل أطفالنا يتنفسون هواء نقياً مفعماً بالحب والثقة والإيمان بالله والتفاؤل، في ظل أسرة مترابطة ملتزمة متحابة تعطي وتفيض خيرا وحباً ونبلاً لكل من حولها فترتوي نفوس أطفالها الغصه من هذا المعين الطاهر الطيب فتأخذ منه ذخيرة الحب والتقوى ويتفجر في داخلها نبع الحب والحنان الذي برويها وتفيض منه على غيرها في مستقبل الأيام.

أهم المراجع

١- عذابك له علاج د. أحمد عكاشه كتاب اليوم الطبي ١٩٩٢م
٢- الذكاء العاطفي
تأليف: دانييل جولمان عالم المعرفة رقم ٢٦٢
ترجمة: ليلى الجبالي، اكتوبر ٢٠٠٠م الكويت
٣- مجلة العربي مقال عنوانه: كيف نفهم الطفل- العدد ٥٥٣ الكويت
الكويتية المكتئب وتساعده؟ د. كرستين نصار - ديسمبر ٢٠٠٤

الفتق عند الأطفال

أنواعه ..أعراضه ..وعلاجه

إعداد: د.نهلة محمد عبدالهادي إسماعيل

يمكن تعريف الفتق (Hernia) بأنه بروز جزء من أحشاء البطن (وبخاصة الأمعاء الدقيقة) من فتحة ناشئة في تجويف (البريتون) الذي يحوي هذه الأحشاء، ويحدث الفتق -عادة- نتيجة وجود نقطة ضعف في جدار البطن فتنتهز الأمعاء تلك الفرصة وتنساب من خلال هذه النقطة الضعيفة وتبرز تحت الجلد.

ومعروف أن البطن عبارة عن تجويف يحتوي على الأحشاء المتمثلة في الأمعاء والكبد والطحال والمعدة والبنكرياس وكذلك الرحم والمبيضين عند الأنثى.. وهذه الأعضاء محاطة بغلاف رقيق يسمى (البريتون)، فإذا وجدت نقطة ضعف في جدار البطن - لأي سبب من الأسباب - بحدث قطع أو ما نطلق عليه (فتق)، ويخرج منه جزء من هذه الأحشاء، وهناك فتحات طبيعية في جدار البطن كما هو موجود بالمنطقة الإربية، (موضع اتصال أسفل البطن بالفخذ) حيث تمر الأوعية الدموية والحبل المنوي من تجويف البطن إلى الفخذ أو إلى الخصية، كذلك هناك فتحة أخرى خلال الحجاب الحاجز حيث يمر المريء من تجويف الصدر إلى تجويف البطن الخ...، وهنا قد يحدث الفتق إذا خرج جزء من هذه الأحشاء من خلال إحدى هذه الفتحات الطبيعية.

ويظهر الفتق على هيئة انتفاخ تحت الجلد يزداد حجمه عند بذل أي جهد من شأنه أن يرفع الضغط داخل البطن مثل الوقوف أو السعال أو الصراخ أو الحرق، إلخ...

وإذا حدث الفتق في السرة أو حولها سمي (فتقاً سرياً Umbilical Hernia)، وإذا حدث الفتق في المنطقة الواقعة بين أسفل البطن وكيس الخصية سمي (فتقاً إربياً Inguinal Hernia)، وإذا حدث في جدار الحجاب الحاجز سمي (فتق الحجاب الحاجز Diaphragmatic Hernia)وإذا حدث الفتق في أعلى الفخذ سمي (فتقاً فخذياً Femoral Hernia) وهناك (الفتق الجراحي Incisional Hernia) هو الذي يحدث بعد عمليات فتح البطن وخصوصاً إذا تقيح الجرح.

ويتكون الفتق من الكيس البريتوني، ومحتوياته، ويغطي الكيس أنسجة جدار البطن أما محتويات الفتق قد تكون ناتجة من أي عضو من أحشاء البطن إلا أننا لا نجد داخل الكيس في معظم الحالات - إلا الأمعاء الدقيقة.

ينكسر أن الإصابة بالفتق لا تقتصر على أحشاء البطن كما قد يظن بعضنا فقد يصاب العمود الفقري أو المخ أو الرئة أيضا بهذا المرض.

أولاً: الفتق السري

يعد الفتق السري من الأمراض الجراحية الشائعة سواء عند الصغار أو عند الكبار.

ويشيع كثيراً في فترة الرضاعة، ويكثر بشكل خاص بين الأطفال الضعفاء البنية والمبتسرين.

وفي السنوات الأخيرة زادت نسبة حدوث الفتق السري حتى وصلت إلى ان ٢٥ في المئة من المواليد يعانون من هذا الفتق في الشهر الأول، وهو منتشر عند الأولاد أكثر من البنات.

● فتق سري كبير الحجم

أسبابه: لا يوجد سبب محدد يمكن أن يؤدي إلى حدوث الفتق السري، ولكن ثمة بعض العوامل التي قد تؤدي مجتمعة إلى إصابة الطفل بالفتق السري أهمها: التهاب سرة المولود في الأيام الأولى بعد الولادة، أو إصابة الطفل بالإمساك المزمن، أو إصابة الطفل بالتهاب شعبي أو زلوي وما يصاحبهما من سعال مستمر يؤدي إلى رفع الضغط داخل البطن ومن ثم إمكانية حدوث الفتق، وثمة نوع من الفتق السري يحدث نتيجة نقص خلقي في تكوين جدار البطن في منطقة السرة وكذلك ضعف النسيج الضام الذي يسد فتحة السرة، ولذا نطلق عليه (الفتق السري الخلقي) كما ان ثمة أسباب وراثية تمثل ١٠ في المئة.

أعراضه: يظهر الفتق السري عادة بعد سقوط بقية الحبل السري خلال أسبوع أو أسبوعين من الولادة ويظهر على شكل بروز في منطقة السرة، في بادئ الأمر يظهر عندما يبكي الطفل وبعد مدة يكون ظاهراً حتى من دون بكاء، ويزداد حجمه عند أي حرق وإذا ضغطت عليه الأم فإنه يختفي تماماً ليعاود الظهور من جديد عند الوقوف أو البكاء.

ويتراوح حجم الفتق بين حجم الزبيبة وحجم الليمونة او البرتقالة

● طفل عمره (٥) أسابيع مصاب بفتق سري

ويحتوي الفتق في معظم الحالات على أجزاء من الأمعاء الدقيقة مما يسبب للطفل حال سوء هضم مزمنة.

العلاج والوقاية

١- لا يسبب الفتق السري أي مضاعفات ولا يختنق؛ لذلك فليس هناك داع للانزعاج من وجوده، وأكثر حالات الفتق صغيرة الحجم تشفى بلا جراحة.

٢ - الاتجاه العالمي منذ سنوات هو ترك الفتق السري من دون استخدام أي وسيلة حتى السنة الأولى من عمر الطفل، أما إذا اكتمل عمر الطفل سنتين والفتق يقي كما هو فيجب أن يتم إصلاح الفتق جراحياً مع ملاحظة أنه إذا كان حجم الفتق كبيرا من البداية أو أن حجمه يزداد باضطراد، فيجب عندئذ إصلاح الفتق جراحياً حتى قبل سن السنتين.

٣- بعد إجراء عملية الفتق ننصح الأم بتجنب إصابة طفلها بالسعال أو بالإمساك مع سرعة علاجهما، لأن السعال المستمر أو الإمساك المزمن يزيدان من الضغط داخل البطن مما يقلل من فرصة التئام جرح الفتق.

٤ - الاهتمام بتنظيف السرة باستمرار بأي مطهر مثل (البيتادين) أو حتى بالماء والصابون سواء كان الطفل يعاني من الفتق أم لا ولا داعي للخوف الزائد من الاقتراب من سرة المولود!!

٥- لا داعي مطلقا لسماع نصائح الأمهات بخصوص وضع قطعة من العملة فوق الفتق أو وضع حزام السرة..الخ فقد ثبت أن كل هذه الأشياء لا تفيد في علاج الفتق إطلاقا، بل إن حزام فتق السرة الخ... مثلا يؤدي إلى التهاب الجلد وتقيحه وخصوصا في أثناء فصل الصيف، ويحدث ضمورا في منطقة الحوض، ويقيد حركة الطفل ويجعله عصبيا، ومن ناحية أخرى فإنه يرهق الأم نظراً لاستمرار خلعه لتنظيفه كلما تلوث ثم اعادة تركيبه بالطريقة الصحيحة.

ثانياً: الفتق الإربي

● تعريفه: عبارة عن قناة صغيرة

تصل بين الغشاء المبطن لجدار البطن وبين الخصية، ومن المفترض أن هذه القناة تقفل في الشهر الأخير من الحمل، ولكن إذا ظلت مفتوحة حتى بعد الولادة أو نزول الجنين قبل موعد الولادة وقبل إغلاق هذه القناة، فإن هذه القناة تسمح بمرور جزء من الأمعاء الى كيس الخصية (الصفن) ومن ثم إلى حدوث الفتق الإربي.

يعد الفتق الإربي من أشهر وأكثر العلميات شيوعاً في مجال جراحة الأطفال، ولا غرو فهو يشكل نحو ٢٠ في المئة من جراحات الأطفال، ويعاني منه نحو ٤ في المئة من الرضع والأطفال كاملي النمو، وترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٢٥ في المئة عند الأطفال ناقصي النمو أو المبتسرين، ويصيب الذكور غالبا بنسبة تصل إلى ٩٠ في المئة ويحدث في الإناث بنسبة ١٠ في المئة، وغالبا ما يحدث الفتق بالجهة اليمنى في ٦٠ في المئة من الحالات وبالجهة اليسرى في ٣٠ في المئة، أما حدوثه في الجهتين فيظهر في ١٠ في المئة من الحالات، وتزداد نسبة حدوثه بالجهتين عند الأطفال ناقصي النمو.

- قد ثبت في الدراسات الحديثة إن ابتداء ظهور الفتق الإربي أكثر ما يكون عندالمولودين حديثاً وخلال الأشهر الثلاثة الأولى بعد الولادة بنسبة تصل إلى ٨٠ في المئة، وأن أقل فترة يظهر فيها هي فترة الطفولة التي تبتدئ بالعام الثالث وتنتهي بالبلوغ.

- أعراضه: تتلخص أعراض الفتق الإربي في حدوث انتفاخ في المنطقة الإربية في أسفل البطن وقد يصل الى كيس الخصية مع مرور الوقت، وقد تسمع الأم أصوات (كركرة) أو (كركبة) عند نزول الأمعاء إلى كيس الفتق.

- مضاعفاته: من مضاعفات الفتق الإربي، التهاب الفتق، عدم إرتجاع الفتق، انسداد الأمعاء داخل الفتق وهو من أهم عوامل انسداد الأمعاء عند الرضع، أما أهم هذه المضاعفات وأخطرها فهو اختناق الفتق، بمعنى أن الأمعاء لا تتمكن من العودة إلى مكانها الطبيعي داخل البطن، وبعد فترة قصيرة تنتفخ فيزداد الضغط عليها وسرعان ما يعجز الدم عن الوصول إليها فيؤدي ذلك إلى إصابة الأمعاء (بالغرغرينا) مع التهاب بريتوني مما يشكل مضاعفات خطيرة قد تؤدي بحياة الطفل لا قدر الله.

-العلاج: العلاج الوحيد والأكيد للفتق الإربي هو (العلاج الجراحي) لإغلاق هذا الاتصال بين البطن والخصية، ولا عجب ففي حالات الفتق السري يمكن تأخير العملية حتى السنة الثانية من عمر الطفل، أما هنا ونظرا للمضاعفات الخطيرة والمتمثلة في اختناق الفتق فعلاً عن أن الفتق الإربي لا يختفي مطلقا وهذاعكس الفتق السري، فالعملية هنا واجبة وضرورية، وتجرى العملية تحت مخدر كلي بعمل شق جراحي في المنطقة الإربية حيث يتم تشريح كيس الفتق بدقة وعناية من الحبل المنوي والأوعية الدموية المصاحبة له والشرايين المغذية للخصية حتى نهايته.. ويتم استئصال كيس الفتق من بدايته بعد ربطه، ثم تتم خياطة الجرح مرة أخرى، وبعد ساعتين من إجراء العملية -التي لا تستمر أكثر من ربع ساعة - يبدأ الطفل في تناول غذائه الاعتيادي، ويخرج الطفل من المستشفى بعد اربع ساعات من العملية ويعود إلى حياته الطبيعية.

ثالثاً: فتق الحجاب الحاجز

- الحجاب الحاجز: هو العضلة الفاصلة بين تجويف الصدر حيث هناك الرئتان والقلب، وتجويف البطن حيث الأمعاء والكبد والمعدة والطحال، وهو العضلة الرئيسة للتنفس، كما يمتع انتقال أي عضو من أحد التجويفين إلى التجويف الاخر.

-توجد في الحجاب الحاجز ثلاث فتحات رئيسة، الأولى يمر فيها (المريء) قبل اتصاله في المعدة، والثانية يمر فيها الشريان الرئيس بالجسم وهو (الشريان الأورطي)، والثالثة يمر فيها الوريد الرئيس بالجسم وهو (الوريد الأجوف السفلي)

● أنواع فتق الحجاب الحاجز: ثمة نوعان رئيسان من فتق الحجاب الحاجز عند الأطفال:

النوع الأول ينشأ من وجود فتحة غير طبيعية للحجاب الحاجز حيث إن هذه العضلة تتكون من الجنين من أجزاء عدة لتلتحم مع بعضها بعضا، وقد يتحدث أحيانا ألا يكتمل الالتحام وينتج من ذلك ثقب في الحجاب الحاجز تدخل من خلاله الأمعاء أو القولون أو الطحال إلى تجويف الصدر وتضغط على الرئة والقلب وتعرقل وظيفتها، ويحدث هذا الفتق عادة عند الأطفال حديثي الولادة.

● أعراضه: يعاني الطفل بعد ولادته من ضيق في التنفس وزرقة في لونه وكذلك لون شفتيه، وعند فحصه قد يجد الطبيب أن القلب بالجهة اليمنى من الصدر بدلاً من مكانه الطبيعي في الجانب الأيسر من الصدر، ومن أهم النصائح التي يمكن تقديمها في حالات الفتق الذي يعاني منه الطفل من ضيق التنفس والزرقة هو عدم إعطاء الأكسجين عن طريق المسالك التنفسية لأن ذلك يؤدي إلى زيادة ضيق التنفس وبالتالي وفاة الطفل،وهذه هي الحال الوحيدة في الحلب التي يموت فيها الطفل من الأكسجين ولكن إذا أردنا إنقاذ الطفل يجب وضع أنبوب بالقصبة الهوائية ليأخذ منها الطفل الأكسجين وذلك بواساطة الطبيب !

● التشخيص: يقوم الطبيب بعمل اشعة عادية على الصدر يظهر فيها الأمعاء وقد توجد في تجويف الصدر، ثم يطلب أشعة ملونة لتأكيد التشخيص.

● العلاج: يكون بالجراحة فوراً .. حيث يتم إرجاع الأمعاء إلى مكانها الطبيعي وإصلاح الحجاب الحاجز، وفي بعض الحالات تكون الفتحة غير كبيرة فتحتاج إلى ترقيع باستخدام أنسجة صناعية.

النوع الثاني: وهو الذي تنزلق فيه المعدة إلى التجويف الصدري من الفتحة التي يضترض أن ينزل منها المريء الى البطن، ويؤدي ذلك إلى ارتجاع الوسائل والأغذية بعد الأكل.

● الأعراض: نجد الطفل في مثل هذه الحالات يعاني من قيء مستمر ومتكرر بعد الرضعات أو الأكل وارتجاع لمحتويات المعدية وخصوصاً عندما يتم على ظهره كما يعاني الطفل من تأخر في النمو ونقصان في الوزن مع التهابات شعبية متكررة.

● التشخيص: يستطيع الطبيب المعالج تشخيص الحال اكلينكيا، وعادة ما يستعين بعمل اشعة ملونة بالباريوم بالمعدة والمريء ونؤخذ صورا في أوضاع متعددة أهمها الوضع المائل حيث يكون رأس الطفل إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى لإظهار جزء المعدة المنزلق الى اعلى، كما قد يستعين الطبيب بمنظار ضوئي للمريء والمعدة إكمالاً للتشخيص.

● العلاج: يتم العلاج في هذه الحال ببعض الأدوية الخاصة مع ضبط النظام الغذائي في حال الأعراض الخفيفة، أما في الحالات الشديدة وبخاصة التي تتميز بتأخر النمو ونقصان الوزن الشديد والالتهابات الشعبية المتكررة او في حال فشل العلاج الدوائي، فإننا نحتاج إلى الجراحة التي يتم فيها إعادة المعدة إلى البطن، وإصلاح فتحة المريء الموجودة بالحجاب الحاجز وكذلك إصلاح الزاوية بين المريء والمعدة لكي تعود إلى وظيفتها الطبيعية من دون حدوث ارتجاع الى المريء.

أهم المراجع:

1-Pediatrics/ A.S. A bbASSY/Dar.EL-Maaref 1987.

2-A-Companion to surgery/Dr.Mohamed Kadry.M.D /Faculty of Medicine/ Cairo University / 1996 .

3- Current Medical Diagnosis and Treatment

٤- أطفال في حجرة العمليات - د. محمد عبدالباقي فهمي- كتاب اليوم الطبي العدد رقم ٢٠٩ - اغسطس ١٩٩٩م .

٥ - المرجع الطبي للأم العصرية - د. فؤاد نجيب - مؤسسة الأهرام - القاهرة ١٩٩٧ .

٦- علاج مشكلات الجهاز الهضمي - د. سامح لبيب - كتاب اليوم الطبي - العدد فبراير ٢٠٣ - فبراير ١٩٩٩ م.

٧ - مجلة طبيبك الخاص - دار الهلال في مصر - أعداد عدة.

الوعي دوت كوم .COM@

إعداد: وائل عبد الرحمن

نصيحة تقنية

كثيرون يعرفون كيف يختارون أو يظللون النصوص في برنامج «وورد» على سبيل المثال. ولعل من أبسط طرق تحقيق ذلك أن يكون مؤشر «الماوس» وتمريره على النص في أثناء الضغط على زر «الماوس» الأيسر، ومهما كانت الطريقة فإن التظليل سيكون أفقياً فقط، ولكن هل خطر على بال أحدكم إنه كان بإمكانه أن يظلل نصا عموديا، أو لنقل مجموعة من الكلمات أو حتى الأحرف فوق بعضها بعضاً من دون تظليل ما على يمينها أو يسارها من كلمات؟

قد تكون الفكرة غريبة، ولكنها مفيدة عند الحاجة إليها، أما تطبيقها فهو سهل. فكل ما عليكم فعله هو الضغط بإحدى الأصابع على مفتاح «Alt» على لوحة المفاتيح ثم الضغط على مفتاح «الماوس» الأيسر وإبقائه مضغوطاً مع تحريك «الماوس» نفسه فوق النص بشكل عمودي وستكتشفون بأنفسكم ماذا يعني «التظليل العمودي»، ملاحظة قد لا تعمل هذه الطريقة إن كان هناك برنامج قيد العمل في الكمبيوتر يستخدم تشكيلة المفاتيح المذكورة أعلاه نفسها.

مواقع مفيدة

• طب الأعشاب
www.khama.com/ipyb.index.htmi
طبيب الأعشاب في الموقع يساعد في التعرف إلى النباتات الطبية وفوائدها في مكافحة كثير من الأمراض.

• موقع برامج الكمبيوتر http://Sharewaree.cnet .com
موقع شهير جداً يقدم اخر الحلول لأفضل برامج الكمبيوتر الجديدة وما عليك إلا أن تقوم بتحديث برامجك بنفسك لتشاهد آخر تطورات عالم الكمبيوتر.

• أفضل المخدرات
www.geocities.com/sohhaib/
هذا الموقع هو نتاج شخصي لأحد الهواة لحماية الشباب من آفة المخدرات، حيث يقوم بتعريفها وتحديد أنواعها وكشف أضرارها الصحية والاجتماعية.

• موقع (اليونيسكو) www.unesco. org
من خلال هذا الموقع تطلع على ما يتعلق بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة وأهم مطبوعاتها وأخر وثائقها.

• موسوعة الخيول
http://Konouz.com/caballos
هذا الموقع تتوافر فيه تشكيلة كبيرة من أنواع الخيول الأصيلة فإذا كنت تعرف اسماء الخيول فادخل إلى هذا الموقع لتعرف كل شيء عن كل اسم ونوع.

• «ياهوو!» للأطفال
wwwyahooligans.com
موقع خصصتة «ياهوو!» للأطفال مابين ٧و١٢ عاماً، لتتيح لهم أداة بحث آمنة في الانترنت من دون خشية الوصول إلى مواقع لاتناسب الأطفال، حيث تم اختيار وفحص كل وصلة وموقع من المواقع من قبل متخصصين خبراء بالتعليم والتربية في الولايات المتحدة.
وكما هو الحال مع «ياهوو!» الأصلية يقدم هذا الموقع العديد من الخدمات المحمسة للأطفال، من بينها معلومات تعليمية وثقافية متنوعة بالإضافة إلى التسلية.

من أخبار الإنترنت

■ قالت مصادر حكومية صينية إن عدد مستخدمي شبكة الإنترنت في الصين زاد إلى ٩٤ مليون مستخدم في نهاية العام ٢٠٠٤م بارتفاع ٨٪ عن منتصف العام.

■ أطلقت إحدى الشركات أخيراً محركات حرق الأسطوانات الليزرية، وهي التي ينتظر أن تساعد في إنتاج أقراص الـdvd، وأقراص الـ cd..

■ إن الجديد في هذا المجال هو تغير نوع الأشعة المستخدمة في حرق الأسطوانات من أشعة الليزر الحمراء إلى أشعة الليزر الزرقاء، وستحدث هذه التقنية الجديدة عالماً جديداً في زيادة المساحة على القرص الواحد، حيث يصبح بإمكان قرص الـdvd، الذي يسع عادة لـ٨,٥ جيجا أن يتحمل حجم بيانات بمساحة «٢٧» جيجا، وذلك على وجه واحد باستخدام تقنية الحرق بالليزر.

■ أزاحت شركة (انتل) الستار يوم ٢٠٠٥/٣/١٠ عن النسخة العربية من برنامج (سكول) المدرسي من أجل توسعة آفاق التعليم.

■ أعلنت مصر على لسان المدير التنفيذي لهيئة تنمية صناعة تكنولوجيا المعلومات محمد عمران، أنها بصدد زيادة صادراتها من صناعة البرمجيات الى مليار دولار بحلول العام ٢٠٠٩ م

تنظيم البيانات يضمن أمن الجهاز

ينطبق على أجهزة الكمبيوتر الشخصية مقولة «النظافة من الإيمان» وعادة ما يجرى التخلص من الملفات غير الضرورية، إلا انها يمكن أن تتجمع على جهاز الكمبيوتر مسببة حالة من الفوضى مثل تلك التي تصيب سطح المكتب.

ويقول «كريستوف فيندريك» الصحافي في إحدى مجلات الكمبيوتر «ينبغي التخلص من الملفات غير الضرورية بجهاز الكمبيوتر ومن المهم ان يعدل نظام التشغيل وبعض البرامج الأمنية المهمة بشكل دوري لتلائم اسلوب الاستخدام الفعلي للجهاز».

الأولى والأهم

وينبغي أن يكون أمن جهاز الكمبيوتر أحد أهم أوليات المستخدم وتنصح الوكالة الالمانية الاتحادية لأمن تكنولوجيا المعلومات في «برلين» بتحميل برنامج لمكافحة الفيروس والمداومة على تحديثه من خلال تعريفه بمختلف أنواع الفيروسات وتعتمد مدى تكرار عملية التحديث على طبيعة الاستخدام.

ويشير «كريستوف فيندريك» إلى أن «أولئك الذين يكثرون من تحميل البرامج من على شبكة الإنترنت يحتاجون إلى المزيد من سبل الحماية، وعادة ما توفر برامج مكافحة الفيروس فرصة إجراء عمليات تحديث آلية عبر الإنترنت في فترات منتظمة.

ويقول «توماس بومجارتنر» الموظف في شركة «مايكروسوفت» أن نظام التشغيل «ويندوز اكس بي» يحدث نفسه تلقائيا، إذا كان الجهاز متصلا بشبكة الإنترنت وسيجري نظام تشغيل عمليات التحديث بانتظام بعد الحصول على إذن المستخدم.

وتنتج شركة «مايكروسوفت» برامج لتحديث نظم التشغيل شهريا وتوفر المزيد من برامج التحديث في حال وجود بعض المشكلات الأمنية.

وتكمن أهمية برامج تحديث نظام التشغيل «ويندوز اكس بي» في قدرتها على التصدي للثغرات الأمنية، إلا أن لهذه البرامج مهام أخرى، ويقول «بومجارتنر» «توفر الشركات المصنعة للمكونات المادية للكمبيوتر مشغلات جديدة».

إحدى عمليات الصيانة

ومن بين عمليات الصيانة التي يجب أن يجريها الكمبيوتر عملية تنظيم تكدس الملفات في القرص الصلب، ويؤدي تكرار تخزين الملفات ومسحها عن القرص الصلب إلى تكون الفجوات بمرور الوقت.

ونادرا ما تتناسب الملفات الجديدة مع حجم الفجوات بالقرص الصلب ولذلك تقسم البيانات وتخزن في المكان الذي يتناسب مع حجمها، ويشير أحد أجزاء الملف إلى أماكن بقية الأجزاء في الجهاز وتجمع عملية «تنظيم تكدس الملفات» الأجزاء المبعثرة التي ينتمي بعضها إلى بعض في مكان واحد في الجهاز.

ويستبعد «كريستوف فيندريك» احتمالات النطور السريع المتوقع أن ينتج عن عملية تنظيم تكدس الملفات حيث يعتبر أن هذه العملية تتوافر فيها افضل فرصة لاستعادة البيانات عقب توقف جهاز الكمبيوتر.

أهمية النسخ دوريا

ويجب نسخ البيانات بشكل دوري لتجنب ضياعها نهائياً. وينصح «فيندريك» بنسخ نظام التشغيل بالكامل حتى يمكن أن يستخدم الكمبيوتر في حال حدوث توقف.

ويقول «فيندريك»: «هذه هي إحدى الوظائف المهمة للجهاز الذي يتيح التسجيل على اسطوانة «دي في دي» ويمكن نسخ النظام عن طريق برامج مثل «نورتن جوست» التي تنتجها شركة «سيمانتك» أو «كرونيس ترو اميدج».

ويعتقد «توماس بومجارتنر» انه يجب الحد من نسخ الملفات ليقتصر الأمر على نسخ الملفات المهمة فحسب على وسيط تخزين اخر غير جهاز الكمبيوتر.

ويمكن تخزين الصور والملفات الشخصية على أسطوانة «دي في دي» كما يمكن إعادة تشغيل النظام في حالات الطوارئ من خلال اسطوانات إعادة تشغيل وتحميل نظام النوافذ إلا أن هذه الطريقة يمكن أن تؤدي إلى ضياع الملفات الشخصية.

عامل إنقاذ

وتساعد معرفة مكان البيانات المخزّنة في إنقاذها من الضياع عند توقف نظام التشغيل.

ويقول «فيندريك»: «دائما ما يخزن الناس بياناتهم في أي مكان خال قديم بالجهاز، وأحيانا يخزّن المستخدمون ملفاتهم بالفهرس الرئيس للملفات البيانات، وهذا ليس عيباً من الناحية التنظيمية فحسب، ولكنه قد يبطئ في سرعة الكمبيوتر ايضا».

ويفضل تخصيص جزء اخر من القرص الصلب لتخزين ملفات البيانات ولا يمكن الاستغناء عن برنامج «بارتيشين ماجيك» الذي تنتجه شركة «سيمانتيك» لتقسيم الذاكرة لأجزاء عدة أو مسح تلك التقسيمات.

مصطلح العدد

VOLP

هذا المصطلح هو اختصار للكلمات «Voice over I.P» والطريقة الصحيحة لكتابته هي جعل الحرف الثاني منه يظهر بالحجم الصغير، وهو اسم البروتوكول الذي يتيح حمل الإشارة الصوتية من خلال (فوق) شبكة تدعم بروتوكول الإنترنت «Internet Protocol» أو ببساطة التقنية التي تتيح إجراء محادثات صوتية من خلال الإنترنت بدلا من الحاجة إلى خطوط خاصة لنقل الصوت، كما هو الحال مع الهواتف العادية، كما أنها لا تقوم بنقل البيانات الصوتية في اللحظة التي يكون هناك حاجة لذلك، أي عندما يبدأ المتحدث بالكلام، ويرتبط هذا المصطلح عادة بمصطلح آخر هو «LP Telephony أو Lnter- Telphony net» ومن مزاياه توفير تكاليف الاتصالات الصوتية. ويستخدم البنية التحتية بعينها المتوافرة للاتصالات الصوتية بشبكة الإنترنت ومن أهم مزاياه إمكانية استخدامه من خلال الشبكات المحلية في المؤسسات، من دون الحاجة لشبكة الإنترنت العالمية.

برامج

TREND MICYO

يعد هذا البرنامج من أهم برامج مكافحة الفيروسات حيث يستخدمه نحو ١٨٧ مليون شخص وجميع من يستخدم البريد الألكتروني على «Hotmail» ووفق ماورد، ففي حال إنزال ملف من البريد الالكتروني في «الهوتميل» يقوم «Trend Micro» بفحص الملف «Online» قبل تحميله على أجهزة الكمبيوتر الشخصية، وفي حال التأكد من خلو الملف من أي فيروسات، فإنه بإمكان المستخدم عمل «Download» للملف.

ولم يتس مطورو البرنامج إنتاج نسخة لمكافحة الفيروسات التي تهاجم الهواتف المحمولة، حيث يمكنك تحميل جهازك بمضاد للفيروسات من Trend Micro فقط عبر هذا الموقع:

www.trendmicro .com /form /mobile /download.asp

الأدبية

الساحة

إعداد: محمد هاني

يخضور والبيئة

في قالب أدبي يستحضر مقومات أدب الرحلات وعبر رسوم توضيحية تفيض حيوية ورونقاً وفي طباعة أنيقة أصدرت دائرة الإعلام في مؤسسة البترول الكويتية كتاب «يخضور والبيئة».

تأليف د. «زهرة أحمد علي» ورسوم «غادة الكندري».

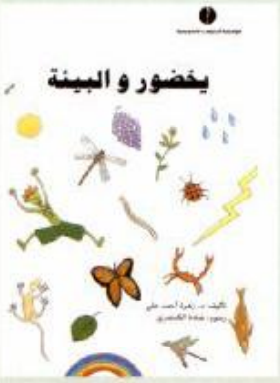

الكتاب يقع في نحو ١٢٠ صفحة من القطع الكبيرة وهو يخاطب الأطفال من سن ٦ - ١٢ سنة ويهدف إلى توسيع المدارك الفكرية للأطفال والناشئة ويحاكي خيالاتهم بأهمية الحفاظ على البيئة ورعايتها وفق التوجه المحلي والعالمي من أجل تعزيز القيم والمفاهيم التربوية المؤدية إلى خلق بيئة صحية للجميع ويزخر نص الكتاب بمعلومات متنوعة ومتضافرة تستهدف ثلاث غايات أولا: تقديم تعريف شامل ومتكامل عن ماهية البيئة الطبيعية.

ثانيا: توعية الطفل المتلقي بفني وتنوع مكونات البيئة الطبيعية والترابط والتوافق الوظيفي بين مكوناتها المختلفة والمتباينة.

ثالثا: تشجيع الطفل على اعتبار نفسه فرداً في البيئة.

معاً..ضد التطرف والإرهاب

صدر أخيراً عن الهيئة العامة للشباب والرياضة كتاب عنوانه: «معا.. ضد التطرف والإرهاب من خلال سماحة الإسلام وحرمة الدماء» للكاتب الشيخ «محمد عامر زكريا» الباحث في القضايا الإسلامية والتربوية، صرح بذلك «توفيق أحمد العيد» مدير إدارة شؤون الإعلام والنشر في الهيئة العامة للشباب والرياضة وذلك انطلاقاً من دور الهيئة العامة للشباب والرياضة في تنمية النشء والشباب في إطار من القيم الدينية والأخلاقية للمجتمع، واسهاماً منها في مختلف الخدمات العامة التي تعود بالنفع على الوطن، ولتنمية شخصية المواطن وتعزيز روح الولاء للوطن وتنمية شعوره القومي، من هذا المنطلق كان لزاما على الهيئة أن تدلي بدلوها وأن تقوم بدورها في تبصير أبناء ومنتسبي الهيئة بجميع قطاعاتها المختلفة، من أندية واتحادات رياضية ومراكز شبابية، ومرافق رياضية، وقد قدم للكتاب الشيخ «فهد الجابر الأحمد الصباح» رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للشباب والرياضة المدير العام، وقد جاء الكتاب في مقدمة وتمهيد شرح فيهما الكاتب السبب والهدف والغاية من كتابة هذا الموضوع المهم، ثم بين حرمة الدماء من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال أهل العلم، ثم تطرق إلى التحذير من فكر التطرف والعنف والإرهاب والتكفير، وان هذا الفكر وهذه الأعمال الإجرامية ليست من الإسلام في شيء وأن الإسلام منها براء، ثم بين الكاتب موقف الإسلام وعلماء المسلمين من هذه الأحداث وأشباهها، كما تطرق الكاتب إلى بيان ما ينبغي على المسلم فعله في زمن الفتن، وأشار المؤلف بعد ذلك إلى ضرورة موقف ورأي وواجب علماء المسلمين في مثل هذه الأزمات، وما طريق الخلاص من هذا الفكر المنحرف المتطرف، وكيف يعصم الشاب نفسه من هذه الظاهرة الغريبة على مجتمعنا المسالم الآمن، ثم ختم الكاتب صفحات الكتاب بفتاوى وأقوال أهل العلم في مثل هذه القضايا المهمة، إلى غير ذلك مما جاء في ثنايا صفحات الكتاب.

أخبار ثقافية

■ أعرب الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف «د.محمد الشريف» عن رغبته في وصول مستوى مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم التي تقيمها الأمانة العامة للأوقاف تحت رعاية كريمة من سمو أمير البلاد إلى العالمية.

■ تم استحداث هذا العام مسابقة جديدة أطلق عليها «مسابقة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم والسنة» للطلاب والطالبات، حيث أصبحت تحمل اسم ولي العهد، وتضيف المسابقة ميداناً آخر للتنافس وهو السنة النبوية، بعد أن كانت طوال الأعوام الماضية متخصصة في مجال القرآن الكريم.

■ ماتت اللغة اللاتينية لغة الأمبراطورية الرومانية في أواخر العصور الوسطى للمرة الأولى عندما ظهرت لغات جديدة مثل الفرنسية والإيطالية والإسبانية، وتوقفت النخبة المثقفة عن استخدام اللاتينية باعتبارها اللغة الأساسية في أوروبا.

ويلوح الموت الثاني للغة اللاتينية الآن فيما تجد الكنيسة الكاثوليكية التي استبدلت اللغات المحلية، باللاتينية في الصلوات اليومية منذ العام ١٩٦٥م كما أن أفضل المتحدثين باللاتينية على وشك التقاعد، وأنه ليس

الحب في القرآن الكريم

كتاب من القطع المتوسط صادر عن «مؤسسة الريان» للكاتب «عمر شاكر الكبيسي». والكتاب يتحدث عن حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحب في الله وحب الله لعباده. لذلك جاء الإهداء من الكاتب إلى القلوب النابضة بحب الله تعالى ورسوله صلى اله عليه وسلم.

ومما جاء في مقدمة الكتاب: «وإني إذ ألقي الضوء على هذا الموضوع لا أدّعي أني قد وصلت إلى حقيقة الأمر ولب الموضوع، ولكني حاولت من خلال جهدي المتواضع أن أجلي صورة لطبيعة الدعوة بين المسلمين في حقيقة حبهم لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وحبهم الغريزي الذي طغى على كل شيء».

والكتاب قسمه الكاتب إلى بابين الباب الأول: «الحب المكتسب معناه وأقسامه» ويندرج تحت هذا الباب خمسة فصول:

الفصل الأول: معنى الحب وأنواعه.
الفصل الثاني: الحب الإلهي.
الفصل الثالث: الحب النبوي.
الفصل الرابع: الحب الأخوي.
الفصل الخامس: الحب المكتسب ضوابطه وآثاره.
ويندرج تحت هذه الفصول مباحث مفصّلة ومطالب لكل مبحث.
وأما الباب الثاني من الكتاب فقد جاء عنوانه «الحب الغريزي وتحت هذا العنوان أربعة فصول:
الفصل الأول: الحب بين الرجال والنساء.
الفصل الثاني: حب الولد والعشيرة.
الفصل الثالث: حب الوطن والرموز والمال.
والفصل الرابع: الحب الغريزي قواعده وآثاره.
كذلك يندرج تحت هذه الأبواب مباحث ومطالب كثيرة عالج فيها الكاتب كل أنواع الحب.

عنوان المراسلة: مؤسسة الريان. بيروت لبنان. هاتف ٧٠٥٩٢٠. فاكس ٦٥٥٣٨٣. ص.ب: ١٤/٥١٣٦.

القرآن الكريم والعلم الحديث

اسم المؤلف:
د.منصور محمد حسب النبي
دار النشر: دار المعارف. القاهرة

قارئ هذا الكتاب لا يحتاج إلى مستوى خاص من المعرفة العلمية بل يحتاج إلى النظرة الموضوعية المحايدة فقط، ومؤلفه قام بإعداده من أجل دعوة غير المسلمين لدين الإسلام وذلك بأسلوب موضوعي قائم على بيان الإعجاز العلمي للقرآن لإثبات صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لمن ينكرونها على اختلاف بواعثهم، وكذلك لمساعدة المسلمين لكي يجدوا جواباً علمياً لكثير من التساؤلات في الآيات الكونية، ولبعلنوا للبشرية أن الإسلام دين علم ولا سيما أن العصر الذي نعيش فيه لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلاً عن الاقتناع، وقد حملت أبواب الكتاب العناوين التالية: كوكب الأرض، الحياة على الأرض، الغلاف الجوي والطقس، القمر وغزو الفضاء، المجموعة الشمسية، الكون.

ثمة من جيل شاب يحمل عنهم الراية.

وقريباً لن يكون لدى الكنيسة من يستطيع أن يقرأ أو يكتب، ناهيك عن التحدث بلغتها الرسمية ويستمتع بتراث حضاري شديد الثراء كتب باللاتينية.

■ أصدر مجمع البحوث الإسلامية برئاسة شيخ الأزهر د. «محمد سيد طنطاوي» قراراً بمنع نشر وتداول كتاب فهم التقاليد الإسلامية والأحاديث النبوية باللغة الانكليزية لمؤلفه «فيل بارشال».

وصرح مصدر مسؤول في المجمع أن قرار المنع جاء لتضمّن الكتاب إساءة إلى الإسلام والصحابة واستناد الكتاب إلى أمور لم ترد في الدين الإسلامي ما يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام بين الناس، مشيراً إلى أن المجمع رفض السماح بإدخال الكتاب إلى مصر وطبعه وتداوله.

من ناحية أخرى يناقش أعضاء لجنة البحوث الفقهية في المجمع كتاب «ورد فك السحر والأعمال التحضيرية» لمؤلفه «محمد عبدالرؤوف» وكتاب «مناقشة عقيدة ابي حاتم الرازي» للمؤلف السعودي «أبو عبدالله محمود بن محمد الحداد» لإصدار قرار بشأنهما.

■ من أجل تشويه قيم الإسلام ومبادئه سلمت جماعة «لاهور الأحمدية» إلى وزير الهجرة الهولندية «ريتا فيردونك» ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم باللغة الهولندية.

الفقه السياسي للمرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنّة

صدر حديثاً عن «دار قرطاس» للنشر في الكويت كتاب «الفقه السياسي للمرأة في ضوء الكتاب والسنة النبوية» للدكتورة «إقبال عبد العزيز المطوع»، ويحتكم الكتاب إلى رفض حقوق المرأة السياسية وترى المؤلفة أن تهميش دور المرأة في المجتمع فيه بخس لحقها ومكانتها، اذ لو نظرنا إلى خطاب الشارع الحكيم لوجدنا انه يشمل الرجل والمرأة معا، قال تعالى في محكم كتابه.. «يأيها الناس» أو «يأيها الذين آمنوا»، وعلى ذلك فالمرأة والرجل في تلبية النداء سيان.

وتضيف الأصل العام أن المرأة كالرجل في التكليف، الا ما أستثني به الرجل لعدم مناسبته لفطرتها أما في ما يتعلق بمسؤولية إصلاح المجتمع فالمرأة والرجل سواء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصدقاً لقوله تعالى في الآي ٧١ من سور التوبة: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم».

وكما ذكر الله عز وجل صفات المؤمنين ذكر كذلك صفات المنافقين بقوله تعالى في الآية ٦٧ من سورة التوبة: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهو عن المعروف» فاذا كانت المنافقات يساندن المنافقين في الإفساد في المجتمع، فإنه من الواجب على المؤمنات أن يقمن بدورهن في إصلاح المجتمع مع الرجال المؤمنين جنبا إلى جنب، كما فعلت المرأة المؤمنة في عهد الرسول ﷺ فقد قامت المرأة بدور مهم في حياة رسولنا الكريم ﷺ فأول من آمن بدعوته امرأة هي السيدة «خديجة بنت خويلد» رضي الله عنها، وأول شهيد في الإسلام امرأة هي السيدة «سمية أم عمار» رضي الله عنها، لهذا فالمرأة تعتبر أصلا من أصول المجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع كله، وهي أساس من أسس رقيه فالرجل الصالح قامت بتربيته امرأة صالحة سواء أكانت زوجة أم أما أم اختا أم غير ذلك، والمرأة بفطنتها وذكائها بل بحسن تدبيرها وحكمتها قد تغير أوضاعا كثيرة في المجتمع وتاريخنا مليء بتلك الصور المشرقة وعلى هذا فإنني هنا لا أطالب أن تتساوى المرأة المسلمة الخليجية والعربية بالمرأة الغربية التي تقوم بكنس الطرقات وتنظيفها وتمتهن الأعمال التي لا تليق بها مساواة بالرجل، ولكن أن تعمل وفق الضوابط الشرعية التي سنتها لها الشريعة الإسلامية. وارتضتها لها فطرتها السليمة، فموضوع انتخابها وترشيحها طال حوله الجدل فكتب فيه الكتاب وأدلوا بدلوهم، بين مؤيد ومعارض ونظراً إلى خصوصية هذا الموضوع الذي يمس حياة المرأة المسلمة في كثير من بلدان عالمنا الإسلامي والعربي، فقد شعرت بمدى حاجة المكتبة الفقهية لدينا إلى كتاب يكون مرجعا لكل المهتمين سواء المعارضون منهم أو المؤيدون، فضلا عن الشريحة الكبرى التي تنتظر رأي الشرع وتفصيل أقوال العلماء في هذه القضية.

أكثر من نصف الفلسطينيين أعمارهم دون الثامنة عشرة

جاء في بيان للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن ٣,٧ ملايين شخص يعيشون في الأراضي الفلسطينية، وأن أكثر من نصفهم دون الثامنة عشرة من العمر.

وبحسب هذا الجهاز الرسمي التابع للسلطة الفلسطينية، فإن أكثر من ١,٩ مليون فلسطيني، أي ٥٢,٨٪ من مجمل سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، كانوا دون الثامنة عشرة في نهاية ٢٠٠٤.

وأضاف الجهاز في بيانه أن هذه الفئة تضم ٩٩٥ ألفا و٤٤٣ ذكرا و٩٥٨ ألف و ٩٢٧ أنثى.

وبحسب الأرقام الرسمية، يعيش في إسرائيل وفي الأراضي الفلسطينية ٥,٢ ملايين يهودي و٤,٩ ملايين عربي ضمنهم عرب إسرائيل.

الإيسيسكو تشيد بتأسيس مجلس الشؤون الإسلامية

أشاد المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الدكتور «عبدالعزيز بن عثمان التويجري» بالقرار الذي اتخذه مجلس الوزراء البحريني بالموافقة على تأسيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من السنة والشيعة.

وقال «التويجري» في رسالة بعثها إلى نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الشؤون الإسلامية البحريني الشيخ «عبدالله بن خالد آل خليفة»، إن هذه المبادرة الحكيمة تصب في اتجاه التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتقوي من وشائج الاخوة بين المسلمين، وتؤكد الإرادة السياسية الواعية للعمل بالتوصيات الصادرة عن الندوة الدولية حول التقريب بين المذاهب الإسلامية التي عقدت في المنامة بدعوة من حكومتها.

إرجاء القمة الإسلامية المقررة في السنغال إلى العام ٢٠٠٧م

أعلن بيان رسمي أن القمة الحادية عشرة لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي كانت مقررة في العام ٢٠٠٦م في السنغال ستعقد «في نهاية ٢٠٠٧م» بسبب اقتراح لعقد قمة استثنائية للمنظمة في نهاية العام الحالي.

وقال مندوبو القمة في بيانهم «تقرر بعد مشاورات مع السلطات العليا لجمهورية السنغال - الدولة المضيفة للقمة الحادية عشرة لمنظمة المؤتمر الاسلامي - تغيير مواعيد هذه القمة العادية إلى نهاية العام ٢٠٠٧م».

وهذه القمة التي تعقد كل ثلاث سنوات، هي الهيئة العليا للقرار في المنظمة.

وأكد الأمين العام للمنظمة التركي «اكمال الدين احسان اوغلو» أن القمة أرجئت «بعد اقتراح تقدم به ولي العهد السعودي الأمير «عبدالله بن عبدالعزيز» لعقد دورة استثنائية في نهاية العام ٢٠٠٥م». وأضاف أن المواعيد الجديدة «ستعلن في الوقت المناسب».

وعهد بتنظيم القمة الى وكالة تابعة للمنظمة الإسلامية، يرأسها «كريم واد» نجل ومستشار الرئيس السنغالي «عبدالله واد».

وكانت السنغال نظمت في ديسمبر العام ١٩٩١م القمة السادسة، وترأس الرئيس - «عبدو ضيوف» - حينذاك - المنظمة مدة ثلاث سنوات.

مشروع بناء مسجد كبير ف

أطلقت مدينة بوردو، الواقعة جنوب غربي فرنسا، رسميا مشرع تشييد مسجدها الكبير الذي سيتم افتتاحه سنة ٢٠٠٩م، وذلك بعد خمسة أعوام من النقاش.

وأشاد «هوغ مارتن»، رئيس بلدية المدينة النائب عن الاتحاد من أجل حركة شعبية، حزب الأغلبية، بالأمر قائلا «انه نتيجة عمل تحضيري استمر وقتا ونقاشا، وكذلك فعل «طارق عمرو»، إمام المسجد الحالي الصغير الحجم، الذي افتتح العام ١٩٨٣م في أحد الشوارع الضيقة في وسط المدينة، حيث بات لا يتسع للمصلين.

من جهته، قال «شرف الدين مسلم»، رئيس المجلس الإقليمي للمسلمين الذي يضم نحو ٥٠ ألف شخص في بوردو وضواحيها، إن «مسجد الهدى لا يستوعب سوى ٥٠٠ شخص في حين يبلغ عددنا كل يوم جمعة ضعف هذا العدد». وأضاف «رغم وجود ثلاثة مساجد في مدينة بوردو وضواحيها فضلا عن المساجد التابعة للأتراك، فإن المسلمين من سكان المدينة ينتظرون هذا المشروع منذ وقت طويل». وأوضح «مارتن» أن مشروع المسجد الجديد الذي يستوعب بين ألف و ١٥٠٠ من المصلين «طرح من دون تسرع». موضحا أن الهدف هو «منح الجالية المسلمة مكانا للصلاة يستحق مكانتها، لكن مع ضمانات». ويخضع هذا المشروع الخاص إلى ثلاثة شروط، أولها وجوب أن تكون عملية التمويل شفافة ومن أموال فرنسية. وأوضح رئيس البلدية «أن يكون هناك تمويل من دول مثل السعودية التي أقدمت على تمويل مساجد تمارس أنشطة للدعوة».

الأوروبيون يرجحون انضمام أوكرانيا وروسيا على تركيا!!

أظهر استطلاع للرأي أجري في ست دول بالاتحاد الأوروبي أن الأوروبيين يحبذون انضمام أوكرانيا وروسيا إلى عضوية الاتحاد أكثر من انضمام عضوية تركيا.

وجاء في الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة «سوفروس» الفرنسية في كل من بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وبولندا وقد نشرت نتائجه صحيفة «لوفيجارو» الباريسية أن ٥٥٪ من المقترعين الأوروبيين أيدوا عضوية أوكرانيا في حال إيفائها بالمعايير الأوروبية المطلوبة، كما صوت ٥٠٪ من الأوروبيين لانضمام روسيا إلى عضوية الاتحاد، بينما لم تتجاوز نسبة المصوتين لصالح عضوية تركيا سوى ٤٥٪ .

وكشف الاستطلاع أن البولنديين من أكثر المؤيدين لانضمام تركيا بنسبة ٥٥٪ يليهم البريطانيون بنسبة ٥٠٪ ثم الإيطاليون والإسبان بنسبة ٤٩٪ والفرنسيون بنسبة ٣٧٪. وكان الألمان من أقل المتحمسين لعضوية تركيا بنسبة ٣٦٪ على الرغم من وجود جالية تركية كبيرة تقيم في ألمانيا يقدر تعدادهم بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة.

ـــي مدينة بوردو الفرنسية

أما الشرط الثاني، فيتعلق بالهندسة المعمارية التي يجب ألا تكون ظاهرة، «أي بكلمة أخرى منع المآذن»، وهذا الأمر لا يشكل ازعاجا للمسؤولين المسلمين، حيث يؤكد «عبرو»: نحن لن نؤذن للصلاة وبالتالي فإن المئذنة لامعنى لها. وفحوى الشرط الثالث، أن تكون الخطبة باللغة الفرنسية. وهنا أيضا لا اعتراض من جانب المسلمين وخصوصا أن مسجد مدينة بوردو المقرب من اتحاد المنظمات الإسلامية «كان أول من بادر في فرنسا إلى إلقاء خطب الجمعة باللغة الفرنسية» وفقا «لمسلم». وقال «عبرو»: نوافق موافقة تامة على شروط البلدية لأننا شاركنا في وضع هذه القواعد.

ويتضمن المشروع مركزا ثقافيا «لكي ينفتح المسلمون على الحياة وعلى المدنية».

طبقا «لمسلم»، وأوضح: «باختصار، نريده أن يكون مسجدا من المدينة وممثلا لإسلام فرنسي». والاعتراض الوحيد على المشروع جاء من أحد أعضاء المجلس البلدي عن الحزب الاشتراكي، معتبرا إنه أمر طبيعي لكنه «سيسفر عن مزيد من التعقيدات الإضافية مع وصول المتجولون واستقبالهم، في الحي حيث سيشاد المسجد».

وقد جرت اتصالات مع مهندس معماري بلجيكي، لكن الموعد الرسمي لبدء أشغال البناء لم يتحدد بعد، رغم أن المسجد سيفتح ابوابه سنة ٢٠٠٩م، يشار إلى أن مشاريع تشييد مساجد كبرى بدأت في مدن ستراسبورغ (شرق) وبوانييه (غرب) وتولوز (جنوب - شرق).

فك شيفرة الكروموسوم(×) يفسر سر اختلاف الرجال عن النساء

فك علماء الشفيرة الجينية للكروموسوم الأنثوي (اكس) الذي يرتبط بأكثر من ٣٠٠ مرض بشري والذي قد يساعد في تفسير سبب الاختلاف الكبير بين النساء والرجال.

ويحتوي الكروموسوم (اكس) على ١١٠٠ جين أو نحو خمسة في المئة من خريطة الوراثة البشرية بالاضافة إلى معلومات قد تفيد في تحسين تشخيص أمراض تتراوح بين نزيف الدم والعمى والانطوائية إلى البدانة وسرطان الدم.

وأظهر الاكتشاف الذي توصلت اليه مجموعة دولية من العلماء أن النساء مختلفات كثيرا عما كان يعتقد من قبل وفيما يتعلق بالجينات فإنهن أكثر تعقيدا من الرجال.

وقال الدكتور «مارك روس» من معهد «ولكم ترست سينجر» في بريطانيا الذي قاد المجموعة إن الكروموسوم (اكس) «هو بالقطع أكثر الكروموسومات غرابة في خريطة الوراثة البشرية من حيث النمط الوراثي وبيولوجيته الفريدة.. ومن حيث ارتباطه بالمرض البشري».

والكروموسومات التي توجد في نواة كل خلية تحتوي على جينات تحدد صفات الشخص. ويوجد لدى النساء اثنان من كروموسوم (اكس) بينما يوجد لدى الرجال كروموسوم (اكس) واحد فقط وكروموسوم (واي) واحد وهو الذي يعطي الرجال شكلهم الرجولي.

وأظهر البحث الذي نشر في «مجلة نيتشر العلمية» أن الكروموسوم (واي) هو نسخة متآكلة من كروموسوم (اكس) وفيه عدد قليل من الجينات. كما أن كروموسوم (اكس) أكبر أيضا من كروموسوم (واي) ولأن لدى النساء نسختين من كروموسوم (اكس) فإن احدهما يكون «مغلقا» أو غير نشط الى حد بعيد.

وقالت «لورا كاريل» المدرسة في كلية الطب «بين استيت» في بنسلفانيا التي نشرت ما توصلت إليه هي أيضا في المجلة: إنه ليس كل الجينات في الكروموسوم غير النشط تكون خاملة مما قد يفسر بعض الاختلافات بين الرجال والنساء.

ويتفاوت خمول كروموسوم (اكس) كثيرا بين النساء.

وأضافت «كاريل» في بيان «تأثيرات هذه الجينات الموجودة في كروموسوم (اكس) غير النشط يمكن أن تفسر بعض الاختلافات بين الرجال والنساء التي لا ترجع إلى هرمونات الجنس».

وتميل الطفرات الجينية والأمراض الجينية مثل عمى الألوان والانطوائية والنزيف المرضي المرتبط بكروموسوم (اكس) الى التأثير على الرجال لأنه ليس لديهم كروموسوم (اكس) اخر يوازن العيوب.

ويوجد في كروموسوم (اكس) أيضا الكثير من الجينات المرتبطة بالتخلف العقلي والمرتبطة بأكبر جين وراثي في خريطة الوراثة البشرية الذي يسمى (دي. إم. دي) والطفرات في هذا الجين تتسبب في أحد انواع مرض سوء التغذية عند الأولاد وتتسبب بالإعاقة والوفاة المبكرة قبل البلوغ.

وقال الدكتور «ديفيد بنتلي» المحاضر في معهد «ولكم ترست سينجر»: «هناك تفاوت في عدد الأمراض المعروفة المجودة على كروموسوم إكس».

وأضاف: «من خلال معرفة الخطأ الذي يحدث يمكننا أن نبدأ في فهم أفضل كثيراً للعمليات البيولوجية في الجسم العادي.

تقارير

إعداد: عبد المنعم احمد

البنك الدولي: دورة النمو العالمية بلغت ذروتها

يوم ٢٠٠٥/٤/٦ أعلن البنك الدولي أن زخم النمو العالمي بلغ ذروته لكن من المتوقع استمرار قوة الظروف الاقتصادية والمالية في معظم الدول النامية التي نمت بمعدلات أسرع من الدول الغنية في العام ٢٠٠٤ .

وقال البنك في تقريره السنوي عن تمويل التنمية العالمية لعام ٢٠٠٥: إنه «في حين يتوقع تراجع النمو فمن المنتظر أن تنمو هذه الاقتصادات بمعدل قوي أعلى من الاتجاه العام (النمو) يبلغ ٥,٧ في المئة في العام ٢٠٠٥م .

وأضاف التقرير انه بفضل النمو السريع في الصين والهند وروسيا تفوقت الدول النامية من حيث النمو على الدول الغنية في العام الماضي إذ سجلت متوسط نمو قياسيا للناتج المحلي الإجمالي بنسبة ٦,٦ في المئة.

وأشار البنك إلى أن من عوامل حفز النمو ملاءمة الظروف العالمية وتطوير السياسات الداخلية على مدى سنوات.

لكنه قال: إن تباطؤ نمو الناتج المحلي الإجمالي في الدول الغنية هذا العام إلى نحو ٢,٥ في المئة مع تراجع الطلب على صادراتها سيؤدي إلى إبطاء النمو في الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط.

كما أنه قال: إن نمو نصيب الدول النامية من السوق العالمية سيقلل من حدة هذا التباطؤ.

وحذر التقرير من أن العجز الضخم في ميزان المعاملات الجارية الأميركي قد يؤدي إلى زيادة مفاجئة في أسعار الفائدة واضطراب أسعار الصرف مما قد يحدث بطئاً أسوأ من المتوقع للنمو العالمي الأمر الذي سيؤثر بدوره على الدول النامية.

وقال «فرانسوا بورجينيو» كبير الاقتصاديين في البنك الدولي: «على الدول النامية أن تعد نفسها للتعديلات، بعضها قد يكون مفاجئا».

وأشار البنك إلى أن العجز الأميركي يعني أن دولاً نامية سجلت فوائض أكبر وتمكنت من زيادة مدخراتها في الاحتياطات الخارجية.

وبالنسبة لمعظم الدول يمثل إدخار الاحتياطات جزءاً من استراتيجية ترمي إلى تحسين الملاءة الائتمانية وتقليل فرص التعرض لصدمات.

لكن البنك الدولي قال: إن الدول التي تتمتع باحتياطات ضخمة مقومة بالدولار قد تواجه ضغوطا حادة وخسائر كبيرة محتملة في استثماراتها إذا انخفضت العملة الأميركية بشدة وذلك رغم أن أعباء ديونها المقومة بالدولار قد تخف حدتها.

وتعتبر القوى الاقتصادية الناشئة عرضة بصفة خاصة للتأثر بتغيرات اسعار الفائدة واسعار الصرف لأن اقتصادها ومؤسساتها غير متطورة لدرجة كافية.

وقال «أوري داوش» مدير وحدة توقعات التنمية في البنك التي أصدرت التقرير: «لقد أثبت التاريخ المرة تلو المرة أن الأزمات المالية غالبا ما تأخذ الأسواق والمسؤولين على حين غرة».

وأضاف أن أسواق المال ومخططي السياسات تفوتهم في معظم الأحيان الإشارات التحذيرية. الأمر الذي يستلزم تعديلات أكبر في النهاية.

وقال البنك: إن التدفقات المالية على الدول النامية في العام ٢٠٠٤ وصلت إلى مستويات لم تشهدها منذ بدء الأزمات المالية التي حدثت في أواخر التسعينيات.

وزاد صافي تدفقات رأس المال الخاص بما فيه الديون والاستثمارات للدول النامية من ٥١٠ بليون دولار إلى ٣٠١,٣ بليون في العام ٢٠٠٤ م حيث بلغت الاستثمارات الأجنبية المباشرة منها ١٦٥,٥ بليون دولار بارتفاع ١٣,٧ بليون.

وقال البنك الدولي: إن الاقتصادات النامية أقوى الآن مما كانت عليه في التسعينيات لكن معدلات الاقتراض من الخارج ومن الأسواق المالية مازالت مرتفعة.

١٠,٦ ملايين طفل يموتون في العالم قبل سن الخامسة

ذكرت منظمة الصحة العالمية أن هناك ١٠,٦ ملايين طفل يموتون في العالم قبل ان يتموا سن الخامسة، وأن ٥٣٠ ألف امرأة يلقين حتفهن في أثناء الحمل والولادة سنويا.

وجاء في التقرير أنه «لا تتاح لمئات الملايين من النساء والأطفال أي وسيلة للحصول على الرعاية التي يمكن أن تنقذ حياتهم الأمر الذي كثيراً ما تترتب عليه نتائج مميتة».

وأشار التقرير إلى أن «بالإمكان الحد بقدر كبير من عدد الوفيات الناجم عن ذلك الوضع بالتوسع في استخدام التدخلات الرئيسة واتباع أسلوب السلسلة المتصلة من الرعاية مع الأمهات والأطفال التي تبدأ قبل الحمل مرورا بالولادة ثم مرحلة الطفولة».

وأضاف التقرير إنه في كل عام «يولد ما يربو على «ثلاثة ملايين» طفل ميتين ويلقى ما يربو على «أربعة ملايين» ولد حتفهم في الأيام أو الأسابيع الأولى من عمرهم وحسب أحدث الأرقام الموجودة لدى المنظمة يلقى ما مجموعه ١٠,٦ ملايين طفل حتفهم سنويا قبل أن يكملوا عامهم الخامس».

وقالت منظمة الصحة: إنه «يمكن تحاشي معظم تلك الوفيات عن طريق التدخلات الموجودة وهي بسيطة ومعقولة الكلفة وفعالة. ومن هذه التدخلات العلاج بتعويض السوائل عن طريق الفم والمضادات الحيوية والأدوية المضادة للملاريا والناموسيات المعالجة بمبيدات الحشرات والفيتامين «أ» وغيره من المغذيات الدقيقة، وتشجيع الرضاعة الطبيعية وتوافر المناعة وتوافر الرعاية الحاذقة في أثناء الحمل والولادة.

الوعي الاقتصادي

عمومية المركز الإسلامي الدولي للمصالحة اجتمعت في دبي

عقد المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية الاجتماع التأسيسي للمركز الإسلامي الدولي للمصالحة والتحكم يوم ٢٠٠٥/٤/٩ التجاري في إمارة دبي.

وقال وزير الدولة للمالية والصناعة في دولة الإمارات العربية المتحدة «محمد خلفان بن خرباش»: إن اجتماع الجمعية التأسيسية للمركز الإسلامي الدولي للمصالحة والتحكم التجاري سيوفر بيئة مثالية لتعريف المؤسسات المالية والمصارف العالمية بالخدمات المالية الإسلامية وماوصلت إليه من تقدم في مجال الخدمات والمنتجات المالية التي تقدمها وكذلك في بناء مؤسسات البنية التحتية اللازمة لنمو الصناعة.

وأشار د. «خرباش» إلى أن الاجتماع التأسيسي ستشارك فيه نخبة من قيادات وخبراء العمل المالي.

وأضاف قائلاً: انه في ظل المشاركة الواسعة من الرسميين وممثلي المؤسسات المالية والدولية وخبراء القطاع المصرفي الإسلامي ومشاركة هيئات متخصصة في مجال توافر الخدمات المصرفية الإسلامية سنتمكن من توضيح مدى اندماج صناعة المال الإسلامية في النسيج المالي والاقتصاد العالمي، وأوضح أن التمويل الإسلامي يعتمد على مبادئ راسخة ترتكز على أحكام الشريعة الغراء تحقق العدالة في المعاملات والتوازن بين الأطراف المتعاقدة.●

«بيتك» يطور موقعه على الإنترنت ويضيف خدمات جديدة

بدأ بيت التمويل الكويتي «بيتك» اعتباراً من ٢٠٠٥/٣/١٢م تقديم خدمات جديدة عبر موقعه على الإنترنت، مثل التحويل المالي المتعدد الأطراف ودفع الفواتير لأكثر من جهة في وقت واحد وعرض حالات الشيكات المودعة والمبالغ المحجوزة مع إطلاق الشكل الجديد للموقع، ويتضمن تحديث وإعادة تصميم خدمة «الأون لاين» المصرفية والموقع الإلكتروني kth.com بمزايا تقنية يتوافر فيها مزيداً من السرعة والشمولية والأمان.

وقال مساعد المدير العام لقطاع تكنولوجيا المعلومات الدكتور «وليد الحساوي»: إن هذا التطوير يأتي في سياق حرص «بيتك» على تعزيز واستخدام وسائل التقنية الحديثة في مختلف الخدمات التي يقدمها وذلك في سبيل تيسير خدماته المتنوعة للعملاء وتلبية طموحاتهم وتدعيم سلة الخدمات الإلكترونية المتاحة لهم عبر وسائل مختلفة تناسب اهتماماتهم وميولهم المتعددة.

وأوضح أنه تم إعادة تصميم الموقع الإلكتروني لـ«بيتك» من حيث الأنظمة الوسيطة Middle ware وكذلك طريقة التنقل بين الصفحات وتحديث وجهة التصميم لها وفق أفضل المستويات والمقاييس المتاحة حالياً في هذا المجال، مع الأخذ في الاعتبار ملاحظات واقتراحات العملاء، علاوة على Demo «العرض المتحرك» كما تم تغيير آلية الربط مع أنظمة «بيتك» باستخدام تقنية الربط «web logic» من شركة «BEA» الأميركية، حيث تساعد هذه التقنية على سرعة المرور إلى المعلومات في أنظمة واستخدام آلية أمينة أقوى وأشمل.

«نقد البحرين» تصدر دليلاً إرشادياً للمؤسسات المالية الإسلامية

أصدرت مؤسسة نقد البحرين (المؤسسة) المجلد الثاني من دليلها الإرشادي الذي يتألف من خمسة أجزاء.

ويختص المجلد الثاني من الدليل الإرشادي بالمصارف الإسلامية، ويحتوي على جميع التشريعات الرقابية المطبقة حالياً في المصارف والوحدات المصرفية الخارجية وبنوك الاستثمار الإسلامية.

ولا يشتمل هذا المجلد على أي تشريعات رقابية جديدة أو اشتراطات، وإنما يجمع بين دفتيه التعميمات الإسلامية الصادرة عن مصدر مرجعي واحد.

ومعروف أن الدليل الإرشادي لمؤسسة نقد البحرين الذي يتألف من خمسة مجلدات هو مشروع رئيس كانت المؤسسة قد أطلقته في العام ٢٠٠٣.

ويحتوي المجلد الأول من دليل المؤسسة الإرشادي الذي صدر في أكتوبر ٢٠٠٤، على جميع التشريعات الرقابية المطبقة على البنوك التجارية والوحدات المصرفية الخارجية وبنوك الاستثمار التقليدية.

شركة منشآت للمشاريع تفوز بجائزة الابتكار

حققت شركة «منشآت للمشاريع العقارية» انجازا جديدا بفوزها بجائزة الابتكار في القطاع المصرفي الإسلامي التي منحها لها المنتدى المالي الإسلامي الدولي الذي عقد يوم ١٣ مارس ٢٠٠٥ في دبي تحت رعاية ولي عهد دبي وزير الدفاع والطيران في دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ «محمد بن راشد آل مكتوم» وبمشاركة الكثير من الشركات من أربع قارات تم ترشيحها لهذه الجائزة التي تعتبر من أرفع الجوائز العالمية في المضمار المصرفي الإسلامي. وتم ذلك في حضور أكثر من ٤٠٠ خبير يمثلون نحو ٥٠ دولة.

وتكونت لجنة التحكيم من فضيلة الدكتور «يوسف طلال ديلارنزو» من الولايات المتحدة الأميركية والباكستاني «فرحان بخاري» مراسل «الفايننشال تايمز» ومجلة «ذي بانكر» و«رشدي صديق» المدير المالي لمؤشرات «داو جونز الإسلامية»، وجاءت معايير اختيار منتج صكوك الانتفاع لجائزة الابتكار للأثر الإيجابي للمنتج على السوق المالي الإسلامي في العالم وللبعد الاستراتيجي للمنتج وأثره على سوق العقار العالمي.

وحصلت منشآت للمشاريع العقارية على هذه الجائزة لأنها أول من طرح منتج صكوك الانتفاع كأداة مالية استثمارية وفق أحكام الشريعة الإسلامية وأن لها الريادة والسبق في تقديم هذا المنتج في العالم، ولهذه الجائزة أهمية خاصة كونها تمنح من لجنة تحكيم، هي الأقدر والأصعب في شروطها لأنها تضم في عضويتها متخصصين إعلاميين بشؤون المال والاستثمار والاقتصاد الإسلامي.

١٠ ملايين طفل عربي «خارج المدرسة»، ونصف النساء العربيات لا يعرفن القراءة والكتابة.

أكد تقرير مشترك صدر يوم ٢٠٠٥/٤/١٢م عن منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) والجامعة العربية أن أكثر من عشرة ملايين طفل خارج المدرسة في العالم العربي، وان أكثر من نصف النساء العربيات لا يعرفن القراءة والكتابة.

وأكد التقرير أن «تعداد السكان العرب يتزايد بصورة سريعة حيث ينتظر أن يصل إلى نحو ٤٠٠ مليون نسمة العام ٢٠١٥ م. مشيراً إلى أن الأطفال «يشكلون نحو من نصف تعداد السكان في بعض بلدان العالم العربي».

وأوضح التقرير أن «أكثر من عشرة ملايين طفل يقدر أنهم خارج المدرسة في العالم العربي ومعظمهم في مصر والعراق والمغرب والسودان.

وأضاف أن «أكثر من نصف النساء في العالم لا يعرفن القراءة والكتابة. الأمر الذي يحول بينهن وبين الوصول إلى مصادر المعلومات والمعرفة التي يمكن أن تؤدي إلى تحسين حياتهن وحياة أطفالهن [...] ويحول دون الحصول على الخدمات الصحية الرئيسة والخدمات الاجتماعية المختلفة..

وقال التقرير: إنه «مع استثناء دولة واحدة فقط (الإمارات العربية المتحدة) فان النسبة المئوية للأميين من الاناث اعلى منها بالنسبة للذكور» في بقية الدول العربية، وتحتاج مصر والعراق وموريتانيا والمغرب واليمن الى جهد خاص لغرس بدور التعليم عند البنات.

واوضح التقرير أن «كثيرين من الشباب يظهرون مستوى مرتفعا من الجهل، وخصوصا في ما يتعلق بالقضايا الصحية»، ففي مصر كشف أحد الاستطلاعات عن أن «٨٥» في المئة من الصبيات أجبن بصورة غير صحيحة على سؤال عن الخصوبة في اثناء الدورة الشهرية،وكشف استطلاع في سورية عن أن «٣٠» في المئة من الفتيات بين ١٥ - ٢٤ سنة لم يسمعن حتى عن نوع واحد من أساليب تنظيم الأسرة.

وأشار التقرير الى أهمية «الالتحاق بصفوف التعليم ما قبل المدرسة، ويؤكد أن «١٦» في المئة فقط من الأطفال في سن ما قبل المدرسة هم الذين تم تسجيلهم خلال العام ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ وحتى بالنسبة لبلدان ذات موارد كبيرة مثل المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان فإن معدلات الالتحاق بالتعليم قبل سن المدرسة مساوية لمثيلاتها في اليمن وجيبوتي حيث وصلت النسبة إلى «٦٠» في المئة.

اتجاهات الجريمة العالمية في استطلاع للأمم المتحدة

كشف استطلاع للأمم المتحدة نشر حديثاً عن اتجاهات الجريمة العالمية وعمليات العدالة الجنائية وأعداد السجناء في العالم بين ١٩٩٠ - ٢٠٠٠م ونسبتهم للسكان وعدد السجناء الأحداث في عدد من دول العالم.

الدولة	عدد السجناء بالآلاف		نسبة السجناء لكل مئة ألف من السكان		مجموع السجناء الأحداث بالآلاف	
	العام ١٩٩٩	العام ٢٠٠٠	العام ١٩٩٩	العام ٢٠٠٠	العام ١٩٩٩	العام ٢٠٠٠
النمسا	٤٣٣٥	٥٣٩٦	٥٦	٦٧	٦١	٠٠٠
بلجيكا	٣٠٤٨	٠٠٠	٣١	٠٠٠	٣	٠٠٠
الدنمارك	٢٣٢٢	٢٤٨٧	٤٥	٤٣	٠٠٠	٦
فنلندا	٢٧٨٩	٢٥٦٥	٥٦	٥٠	١٣٤	٦٧
فرنسا	٠٠٠	٣٢٩٦٨	٠٠٠	٥٦	٠٠٠	١٥٨
المانيا	٣٠٢٦٥	٥٣٤٠٢	٠٠٠	٦٥	٠٠٠	٧٣٩٦
اليونان	٣٤٥٧	٠٠٠	٣٤	٠٠٠	١٣٥	٠٠٠
ايسلندا	١٧٩٦	٣١٦٣	٥١	٨٤	٧٠	٢٥٧
ايطاليا	١٠٩٨٣	٢٩٢٩٣	١٩	٥١	٤٧	٥٤١
لوكسمبورج	٢٦٠	٠٠٠	٦٨	٠٠٠	٥	٠٠٠
هولندا	٤٢٢٢	٧٠٢٨	٢٨	٤٤	٠٠٠	٣٨٤
البرتغال	٦١٠٠	٨٥٤٢	٦٢	٨٥	٤٤٤	٣٧٥
إسبانيا	٢٠٥٧٩	٣٦٠٠٤	٥٣	٩٠	٠٠٠	١٣٩٢
السويد	٤٢٢٠	٣٦٥٤	٤٩	٤١	٥	١٤٥
انكلترا- ويلز	٢٨٤٧١	٤٧٧٢٩	٠٠٠	٩٠	٦٢٨٣	٩٦٦٥
اسكتلندا	٣٢٠١	٤٢٨١	٠٠٠	٠٠٠	٧٠٨	٧٨٧
ايرلندا الشمالية	١٣٨١	١٢١٦	٠٠٠	٠٠٠	١٣	١٠
قبرص	١٥٧	٢٣٤	٢٣	٣١	٣٩	٢٢
ايسلندا	١٠١	٧٩	٤٠	٢٨	٠٠٠	٠٠٠
النرويج	١٨٨١	١٣٢٠	٤٤	٣٠	٠٠٠	٣
سويسرا	٣٧١٨	٣٤٧٤	٥٥	٤٨	٠٠٠	٠٠٠
تركيا	٢٨٧٧١	٢٢٠٧٧	٥١	٣٤	٧٣٥	٢٧٧٨
بلغاريا	٩٣٢٢	٧٩٨٢	١٠٧	٩٨	١٤٢	٥٢
كرواتيا	١٤٨٧	٠٠٠	٣١	٠٠٠	١٣	٠٠٠
جمهورية التشيك	٣٩٥٣	١٥٤٦١	٣٨	١٥٠	١٠٦	١١٠
إستونيا	٣٢١٦	٣١٨٤	٢٠٥	٢٣٣	٨١	٧٨
المجر	٨٣٨٠	١٠٩٠٠	٨١	١٠٩	٤٣٩	٣٠١
لاتفيا	٦٣٦٧	٥٠٠٨	٢٣٨	٢١١	٢١٩	١٦٦
ليتوانيا	٧٢٠٥	٧٥٣٢	١٩٤	٢٠٤	٢٢٦	٦٩
بولندا	٣١١١٥	٠٠٠	٨٢	٠٠٠	٢٨٢٧	٠٠٠
رومانيا	١٣٧٨٨	٣٤٤٧٥	٥٩	١٥٤	٠٠٠	٩٣٧
سلوفاكيا	٢٧٥٩	٤٩٤٧	٥٢	٩٢	١١٥	٩٢
سلوفينيا	٥٠١	٧٣٨	٢٥	٣٧	٥٧	٣٠
يوغسلافيا سابقاً	٧٨٩	١٢٠٠	٤١	٥٩	٨٠	٠٠٠
أرمينيا	١٤٥٧	٢٧٢٥	٤١	٧٢	١٠٠	٨٢
أذربيجان	٠٠٠	٢١٠٦٥	٠٠٠	٢٦٢	٠٠٠	١٥٥٩
روسيا البيضاء	١٥٣٢٧	٥٥٠٣١	١٤٩	٥٥٠	٦٧٧	٢٧
جورجيا	٣٥٠١	٥٨١١	٦٤	١١٦	٣٥	١٠٣٣
كازاخستان	٤٣٩٤٥	٨٣٥٩٣	٢٦٩	٥٤٦	١٥٢٩	٣٠٨
قيرغزستان	٠٠٠	١٣٩٠٠	٠٠٠	٢٨٣	٠٠٠	٨٩
ملدوفيا	٦٨١٨	٧٠٤٢	١٩٨	١٦٤	٣٢٥	١٦٩٨١
روسيا	٧٢٧٣٨٥	٦٧١٠٥٤	٤٨٩	٤٦٠	٣٤٥٦٣	٣٢٦٨
أوكرانيا	٨٨٨٠٠	١٧٢٠٣٩	١٧١	٣٤٨	٤٠٠٠	٠٠٠
كندا	١١٥٢٦٥	٨٦٨٨٥	٤١٦	٢٨٢	٤٢٦	١٠٤٤٢
الولايات المتحدة	٣٥٧٢٦٤	١٣٢١١٣٧	١٤٣	٤٦٨	٠٠٠	١٢١
الكيان الصهيوني	٠٠٠	٨٦٥٢	٠٠٠	١٤٧		

اسألوا الأطباء

صفحة طبية يجيب فيها عدد من الأطباء على أسئلة السادة القراء يقوم بإعدادها د.عبدالحي البهنساوي، اختصاصي طب العائلة وطب الطوارئ ومنسق مشروع الاهتمام بصحة الإمام والمؤذن في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- نحن مجموعة من الأئمة والمؤذنين نعرف الحجامة التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن نريد أن نعرف هل هناك علاقة بين الحجامة والتبرع بالدم، وهل التبرع بالدم له فوائد غير مساعدة الآخرين:

● أجاب الدكتور البهنساوي:

نعم هناك تشابه كبير، حيث يعمل جرح بآلة وبتم خروج الدم ولكن الحجامة لا تشبه التبرع بالدم عند خروج القيح، والتبرع بالدم له فوائد أخرى مثل تجديد الدم وتنشيط النخاع والتخلص من الصداع والتخلص من الحديد الزائد، وخفض ضغط الدم المرتفع، والوقاية من أمراض خطيرة مثل الذبحة الصدرية والمتبرع بالدم يخضع لكشف طبي حيث لابد أن يكون ذا مظهر صحي سليم وحال نفسية مستقرة ونبضه من ٥٠ - ١٠٠ نبضة في الدقيقة، وحرارته لا تزيد عن ٣٧,٥، والهيموغلوبين أكثر من ١٢٪، وضغطه لا يزيد على ١٨٠ - ١٠٠ ملم زئبق ولا تقل الفترة بين التبرعين بالدم عن ثلاثة أشهر، وأماكن التبرع هي بنك الدم الرئيس في الجابرية وخلال حملات التبرع ويبقى أن نقول: إن التبرع بالدم هو زكاة للنفس وشكر لله عن نعمة الصحة.

- أعاني من مرض السكر منذ ١٠ سنوات وعمري الآن ٦٩ سنة، وفي الأيام الأخيرة شعرت بآلام شديدة في أثناء المشي في باطن الساق، علماً بأنني أعاني من ضغط الدم، أفيدونا بالسبب والعلاج وشكراً.

● أجاب الدكتور عامر فواز الفواز - استشاري الجراحة العامة:

آلام القدم والساق غالباً تحدث مع تقدم السن أو في حال معاناة المريض من السكري وضغط الدم تنتج من ضعف ضغط الدم للقدم والساق في أثناء المشي بسبب تصلب وانسداد جزئي للشرايين المغذية للساق، ويحتاج المريض إلى أن يراجع الدكتور المختص لعمل دراسة على أوعية القدمين، وقد يحتاج إلى عمل قسطرة للأوعية الدموية وفي حال وجود ضيق شديد ومحدد فذلك يعالج بالنفخ والدعامة، أما في حال وجود ضيق طويل في الشريان فعادة ما يحتاج ذلك إلى إجراء عملية جراحية ووضع وصلة صناعية لتجاوز الضيق وفي حال الضيق المنتشر في الشرايين قد يستجيب المريض للعلاج التحفظي من أدوية وعلاج طبيعي وخفض في الوزن.

- أعاني من ظهور بعض البقع البيضاء فجأة وهي دائرية بمساحة ربع إلى نصف ملليمتر فوق الأصابع وظهر اليد وأود معرفة السبب إن كان لها علاج مع العلم إن عمري ٥٦ سنة وشكراً.

● أجاب الدكتور: فهد عيسى العثمان، اختصاصي الأمراض الجلدية والتناسلية:

حال المريض هي أنه مصاب ببهاق في اليد وهو غالباً ينتج من تعرض اليد لحرارة الشمس أو النار ويجب على المريض الابتعاد عن مصادر الحرارة وأن يأخذ العلاج اللازم من الطبيب المختص.

- توجد بعض الزوائد الجلدية في أسفل الرقبة بطول «٥» ملليمتر أو أقل وهي لا تؤلمني إلا إذا احتكت بالثياب أريد معرفة السبب، وهل هي خطرة مستقبلاً علماً بأن عمري ٤٥ سنة، وشكراً.

الحال التي يعاني منها المريض تسمى بالزوائد الجلدية وهي تظهر عادة على الجلد الرقيق مثل الرقبة والإبط والفخذين وسببها الوزن الزائد أو الوراثة وهي غير خطيرة وغير مؤلمة، ولكن إذا زاد حجمها يمكن أن تلتهب أو تجرح مما يؤدي إلى الألم وينصح في هذه الحال بإزالتها عن طريق عملية جراحية بسيطة جداً وإن كانت صغيرة تترك من دون علاج.

- أعاني في أثناء قضاء الحاجة من نزول بعض الزوائد اللينة بطول ١ سم ولكنها ترتفع عند التبرز ولا يصاحبها نزول دم، وهي أول مرة تظهر، علماً بأن عمري ٥٣ سنة، ولا أعاني من أي أمراض مزمنة، أفيدونا بالعلاج حتى لا تحدث مضاعفات وشكراً.

● أجاب الدكتور عامر فواز الفواز - استشاري الجراحة العامة:

ما يعاني منه المريض هو نزول البواسير من الدرجة الثانية، وقد تتطور الحال إلى المرحلة الثالثة، وقد يحتاج المريض إلى أن يردها بيده وفي مثل حال هذا المريض ينصح أن يراجع الطبيب المختص لعمل منظار شرجي بعد التأكد من التاريخ المرضي الكامل للمرضى، وفي حال عدم وجود أي مشكلات أخرى يتم علاج الحال بوساطة الأدوية عن طريق التحاميل وتلين خروجه وفي حال عدم الاستجابة إما أن تستأصل هذه الزوائد عن طريق المنظار بالربط أو بالكي بالأشعة تحت الحمراء أو بالدباسة الجراحية، ولا يتوجب على المريض أن يقلق بشأنها بل يجب عليه التوجه إلى الطبيب المختص حتى لا تحدث التهابات أو تجلط أو نزيف، ونتمنى لجميع المرضى الشفاء العاجل بإذن الله.

تتلقى أسئلتكم واستفساراتكم على موقع المجلة الإلكتروني أو على موقع د.عبد الحي البهنساوي:

abd alhy 2100 @hotmaail.com

خلوف الأمة

اعداد:
أحمد عبد الجبار

من هدي كتاب الله

﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾(المجادلة ٢٠-٢٢).

من هدي رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد» أخرجه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد لا بأس به إلا أنه قال: فله أجر شهيد

قل ولا تقل

يقولون: فلان غارق في الملذات والصواب في الملذات لأن جمع لذة (لذات) أو قل في الملاذ جمع ملذ وهو مصدر ميمي من لذ.

الجلساء ثلاثة

جليس تستفيد منه فلازمه، وجليس تفيده وجليس لا يفيد ولا يستفيد فابتعد عنه.

وصية أب

على الرغم من أن الوصية التالية هي من وصايا البخلاء التي أوردها الجاحظ إلا أن فيها حكمة وصدقاً:

يا بني كل مما يليك، واعلم أنه اذا كان في الطعام لقمة كريمة أو شيء مستطرف فإنما ذلك للشيخ المعظَّم أو للصبي المدلل ولست بواحد منهما، يا بني عوِّد نفسك على مجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البغال، ولا تلقم لقم الجمال، فإن الله جعلك إنساناً، فلا تجعل نفسك بهيمة، يا بني لقد بلغت تسعين عاما وما نقص لي سن ولا انتشر لي عصب ولا عرفت ذئين أنف ولا سيلان عين، ولا سلس بول، وما لذلك علة إلا التخفف من الزاد، فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحب سبيل الموت فتلك سبيل الموت ولا أبعد الله غيرك.

قالوا في النوم

تقول العرب في ترتيب النوم:
- أول النوم النعاس: وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم
- ثم الوسن: وهو ثقل النعاس
- ثم الترنيق: وهو مخالطة النعاس العين
- ثم الكرى والغمض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان
- ثم التغفيق: وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم
- ثم الإغفاء: وهو النوم الخفيف
- ثم التهويم: والغرار والتهجاع وهو النوم القليل
- ثم الرقاء: وهو النوم الطويل
- ثم الهجود والهجوع والهيوع: وهو النوم الغرق
- ثم التسبيخ: وهو أشد النوم

قالوا في المال شعراً

يا جامع المال في الدنيا لوارثه
هل أنت بالمال قبل الموت منتفع
قدم لنفسك قبل الموت في مهل
فإن حظك بعد الموت منقطع

أجناس الفضائل

الفضائل أربعة أجناس: أولها: الحكمة وقوامها في الفكرة، وثانيها العفة وقوامها في الشهوة، وثالثها القوة وقوامها في الغضب، ورابعها العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس.

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

سأل ابراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر والياس وانهما باقيان ويريان ويروى عنهما فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان وسئل البخاري يرحمه الله عن الخضر والياس، هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو على ظهرها اليوم أحد وقال ابن الجوزي (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد)(الأنبياء ٣٤) المغنى فيما لا يصح فيه شيء من الأحاديث للإمام عمر بن بدر الموصلي.

من يعظ يخلف الله عليه

قال عبدالملك بن مروان لبنيه: كفوا الأذى وابذلوا المعروف واعفوا إذا قدرتم ولا تبخلوا إذا سئلتم ولا تلحفوا إذا سألتم، فإنه من ضيق ضيّق عليه ومن أعطى أخلف الله عليه.

علامة الانصراف

كان محمد بن الجهم بخيلاً، قال له أصحابه مرة: إننا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت انصرافنا فأجابهم: علامة ذلك أن أقول: يا غلام هات الغداء!!

فيما علا وسبق؟

عن أبي مالك الأشجعي قال قلت لـ«ابن الحنفيه»: أبو بكر أول القوم إسلاما؟ قال لا قلت فيما علا وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر؟ قال كان أفضلهم إسلاما حتى لحق بالله عز وجل.

الليله والبارحه

قال الزجاج في كتاب الأنواء وثعلب في مجالسه: اذا أخبرت عن الليله التي أنت في صبيحتها قلت أكلت الليلة كذا ورأيت الليلة في المنام كذا. تقول ذلك من أول النهار إلى نصفه ثم تقول من نصف النهار إلى آخره فعلت البارحة ولا تقول فعلت الليلة

نوادر من الشعر

ورد على الحجاج أبو يوسف سليمان بن سلكة فقال: أصلح الله الأمير، أعرني سمعك، وأغمض عني بصرك، واكفف عني غريك، فإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة قال: قل. فقال: عصى عاصٍ من عرض العشيرة فحلّق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي قال: هيهات! أو ما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد
تُعدى الصحاح مبارك الجُرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة
ونجا المقارف صاحب الذنب

ويروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: انشدوني لأشعر شعرائكم قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حواشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، وهو القائل:

إذا ابتدرت بي علياء غاية
من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز
سبوق إلى الغايات غير مخلد

الكلمات المتقاطعة

اعداد: محمد ابودية

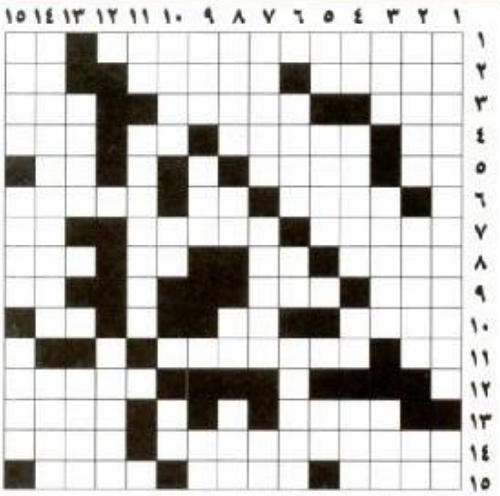

أفقياً وراسياً

١- سيدا شباب أهل الجنة - عودة
٢- ضد أيام - جمع تسلية - سور مانع
٣- من أبناء نوح عليه السلام - كانوا «مبعثرة، اشهر مشروب في العالم غير الماء
٤- مرض صدري كفانا الله شره - أشهر بخيل في العالم ورد اسمه في سورة القصص - نصف سماع - متشابهات
٥- غير ناضج - محضن الأطفال الطبيعي - والد
٦- الفعل الماضي من يكرران - ثلثي «جمع» - فرنجة
٧- ضريبة فيها شيء من الظلم - مساكن أو بيوت - فعل الأمر من يَنْأى
٨- أداة الكلام في الفم - حرف جر - من أعضاء الإنسان - لقب لحكام تونس قبل الاستقلال
٩- الفعل الماضي من يحين - ثلاثة أرباع سعاد - حبوب القهوة
١٠- استأنوا مبدوءة بحرف السين - لباس - شبكة (بالانجليزية)
١١- متشابهان - الاسم الأول للشيخ الشهيد المجاهد القسام
١٢- إقليم شهير بالقمح في سوريا
١٣- نوع من الطيور الجبلية يشبه الدجاج - اسم ولد مشتق من الرماية
١٤- شاعر الرسول ﷺ مؤتمن
١٥- سمين - من المدن الصامدة في فلسطين - اشتياق ممتزج بحزن

حل العدد السابق ٤٧٥

رأي الدين

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

هاتف مباشر
خدمة الفتوى داخل الكويت
149

من خارج دولة الكويت
المفتاح الدولي 00965
244 44 05
242 29 34
246 69 14

فاكس:
245 25 30

حكم التيمم من الجنابة إذا كان في الاغتسال ضرر

• أنا إنسان مريض، لا أستطيع الاستحمام والاغتسال من الجنابة إلا مرة واحدة في الشهر، لأن الاستحمام المتواصل يجلب لي الضرر والمشقة.

فهل يجوز لي التيمم لأداء الصلاة؟ وإذا كان كذلك، فهل أتيمم بنية الاغتسال ثم أتوضأ وضوء الصلاة؟

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

- ما دام المستفتي يستطيع الاغتسال كل شهر - كما يقول في استفتائه- فهذا يدل على أن الماء لا يضره، ولذلك يطلب منه الاغتسال كلما أصابته جنابة. وإذا كانت كثرة الماء تضره فيقلل من كمية الماء في اثناء الغسل ويستخدم ما يلزمه على قدر الحاجة. وإذا كان الاغتسال بالماء يضره ضررا بالغا في جسمه بالتجربة أو بشهادة الطبيب العدل دائما، فله التيمم لازالة الجنابة، ثم التيمم والوضوء كلما انتقض وضوؤه احتياطا وخروجا من اختلاف الفقهاء.

الاحتفال بالمولد النبوي والمناسبات الإسلامية الأخرى

دأبت إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف على إقامة الندوات والمحاضرات في المناسبات الدينية مثل ذكرى الهجرة النبوية، والمولد النبوي، والإسراء والمعراج في كل عام.

١. فما حكم المشاركة في هذه المناسبات الدينية والقاء المحاضرات فيها.

٢. وما حكم تخصيص هذه المحاضرات في يوم الذكرى نفسه من كل عام.

٣. وهل الحكم في تخصيص المحاضرات في يوم المولد النبوي يختلف عنه في باقي أيام المناسبات الدينية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع شرعاً من المشاركة في إحياء مناسبة الهجرة النبوية، والمولد النبوي والإسراء والمعراج، وذلك بإلقاء المحاضرات الخاصة بموضوعاتها، ولا مانع من تخصيص أيامها في كل عام، ولا يختلف المولد النبوي في هذا عن سائر المناسبات الأخرى، شرط عدم الاعتقاد بسنية إحيائها أو التعبد بها، وإلا كانت من البدع المستحدثة وحينئذ لا تجوز، وإنما يجوز إحياء هذه المناسبات لتذكير الناس بما فيها من أحداث عظيمة عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

حكم الاشتراط في عقد الزواج

• تقدم لخطبة ابنتي شاب أصغر منها لذلك أرجو من فضيلتكم إفادتي هل يصح أن يتضمن عقد القران بعض الشروط

والبكم الشروط المطلوبة مع العلم بان الشاب المذكور يقبل بها.

أولاً: هل يصح ان تشترط أن يكون لها الحق في تطليق نفسها متى شاءت وهل في حال حدوث الطلاق يكون لها الحق في مؤخر الصداق؟

ثانياً: ألا يتزوج عليها وألا يخرجها من بيتها وألا يفرق بينها وبين أولادها أو بينها وبين أبويها؟

شاكرين لكم تفضلكم بالإجابة.

وجزاكم الله الخير والثواب

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

١- أجاز كثير من الفقهاء للزوجة أن تشترط في عقد الزواج أن يكون طلاقها بيدها (وهو ما اصطلح على تسميته بالعصمة)، ولها أن تشترط طلقة واحدة رجعية، أو بائنة بينونة صغرى، أو كبرى، فإذا قبل الزوج بذلك في العقد، كان لها حق طلاق نفسها بالإنابة عنه بحسب الشرط، وليس للزوج بعد ذلك أن يعزلها عن ذلك ما دام الزواج بينهما قائماً، وللزوج في هذه الحال حق طلاقها أيضاً ولا يحرم منه بهذا الشرط، فإذا طلقت الزوجة نفسها بعد ذلك بحسب الشرط، فإن لها من الحقوق مثلما إذا طلقها زوجها تماماً لأن طلاقها كان بالانابة عنه، فكان كطلاقه هو.

٢- اشتراط الزوجة في الزواج ألا يتزوج عليها زوجها، أو ألا يخرجها من بيتها، أو ألا يفرق بينها وبين أولادها أو أبويها، فهذه الشروط كلها شروط غير ملزمة للزوج، والعقد صحيح.

حكم محلات التسلية والترفيه

• نتقدم إليكم بهذا السؤال، طامعين بالحصول على إجابة شافية له، ويتعلق سؤالنا بظاهرة غير أخلاقية خطيرة انتشرت أخيرا، وتتمثل في وجود محلات ترفيه وتسلية (بلياردو - سنوكر - إنترنت) تقوم بالخدمة فيها نساء من جنسيات مختلفة، أغلبهن في سن الشباب، وبلباس فيه تعرٍ، بحيث يوجدون مع الشباب المراهق في مكان واحد الى ما بعد منتصف الليل، وبما أن اغلب مرتادي هذه المحلات هم من الشباب المراهق، فقد حصل بسبب ذلك شر عظيم، وفساد عريض، كما شهد بذلك جمع من أهل الثقة والغيرة، وبناء على ما تقدم نوجه إليكم هذين السؤالين:

١- هل يجوز لأصحاب المحلات أن يقوموا باستئجار النساء لتقديم الخدمة في هذه المحلات؟

٢- هل يجوز لأصحاب العمارات والمجمعات أن يؤجروا عقاراتهم إلى أصحاب المحلات، والحال ما ذكر؟

نرجو إفادتنا عن الواجب على ولي الأمر بأجهزته المختلفة تجاه هذه الظاهرة الخطيرة.

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

١- تأجير المحال بغرض مزاولة هذه الألعاب المسؤول عنها (البلياردو - والسنوكر - والإنترنت) إذا كانت هذه الألعاب يصاحبها محرم كالقمار والاختلاط غير المشروع، وكان المؤجر عالماً بما يحيط بها من محرمات، فإنه لا يجوز تأجيرها لذلك.

٢- وتشغيل الفتيات - على الصفة الواردة في الاستفتاء - في هذه المحلات التي يرتادها المراهقون والشباب ممنوع شرعاً.

وتوصي اللجنة الجهات المختصة في الدولة أن تراقب هذه المحلات بعناية دفعاً للفتنة، وحماية لأخلاق الشباب وأمن المجتمع.

حكم قراءة الأبراج

• ما حكم الشرع في ما ينشر بالصحف من الأبراج (أبراج الحظ) التي يعتقد بعض الناس فيها وفي صحتها، مع العلم بأن هذه الأبراج يذكر فيها امور غيبية سوف تحصل لصاحب البرج؟

وهل يعتبر من يقوم بكتابة وإعداد هذه الابراج بحكم العرافين والكهنة؟

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

- إن الاستدلال بمواقع النجوم والأبراج على معرفة الحظ والأمور المغيبة منهي عنه شرعاً، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب، كما روي عن النبي ﷺ قوله (من اتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) رواه الإمام أحمد، ولحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) متفق عليه.

واعتقاد صحة التنبؤات عن طريق الأبراج محرم شرعاً وكفر، وأما قراءة الأبراج من دون الاعتقاد بصحتها فإنها تكره، لأنه لا فائدة فيها، ومضيعة للوقت، وقد تؤثر في اعتقاد الشخص إذا ما وافقت الواقع أحياناً.

رسم الأئمة والعلماء

نود أن نعرض عليكم مشروع (قصص الأطفال) وذلك لمعرفة الحكم الشرعي فيها حيث إننا نقوم بإنتاج قصص للأطفال (للأئمة والعلماء) مثل الإمام البخاري ومسلم، وأئمة الفقة الأربعة، وأبي حامد الغزالي، وابن تيمية، وغيرهم من العلماء، وتكون القصة لتاريخ حياتهم، والمواقف التي مرت عليهم، ولهذا فإننا نحتاج الى رسوم صور تجسد هؤلاء العلماء، والأئمة، وذلك تيسيراً لتعلم الأطفال القراءة، والتعلق بعلماء الأمة، وتود معرفة الحكم الشرعي في هذه الصور، وأخيرا فإن القصص تهدف إلى مخاطبة الأطفال من سن (٣-٨) سنوات.

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

إن تصوير ورسم الأئمة، والعلماء في الكتب، والمواد التعليمية جائز شرعاً، على أن يلاحظ سلامة المضمون من الناحية الدينية، وأن تكون الصورة مقاربة لحال صاحبها قدر الامكان، وأن يتجنب تصوير أو رسم الأنبياء والملائكة والخلفاء الراشدين الأربعة وزوجات النبي ﷺ وبناته رضي الله عنهم.

حكم التلفظ بكلمات غير لائقة

• كنت فيما مضى تصدر مني بعض العبارات، كأن أقول مثلاً: (أبعث مع الكفار لو فعلت كذا) ثم يمر الوقت، وأفعل ما عزمت على عدم فعله.

فما حكم الشرع في هذا وما كفارة ذلك؟

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

- اتفق الفقهاء على أن استعمال هذه الصيغة حرام، ويأثم قائلها، وعليه التوبة والاستغفار، وإن قصد بها الكفر فعلا عد كافراً، وعليه تجديد إيمانه، وإن قصد بها الحلف، لا تكون يميناً عند جمهور الفقهاء، وهي حرام، وهو أثم بها، وذهب الحنيفة والحنبيلة في قول إلى أنها كاليمين بالله تعالى، ويلزمه للحنث فيها كفارة يمين، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام، وعليه ألا يعود لمثل ذلك.

مسك الختام

طوفان العصر الحديث!!

بقلم: عبد الستار خليف

هل رأيتم الطوفان؟!

في الزمن القديم، كان طوفان نوح، الطوفان العظيم، الذي أغرق الكفرة والفاسقين والمفسدين في الأرض.. وجاء ذكره في القرآن الكريم.

في زمننا هذا، أي في العصر الحديث، جاء الطوفان.. فأغرق المدن والقرى والبشر، وأهلك الزرع والضرع والحرث والنسل، لقد شاهدناه وهو يجتاح الديار في قوة وعنف، يقتلع الزرع ويكتسح الحواجز والسدود. ومع ذلك لم نتعظ، أو نتذكر أو نرجع عن الفساد في الأرض.

هذا الطوفان الأخير، حدث أمام أعيننا وشاهدناه على شاشات التلفاز، وقرأنا عنه في الصحف والمجلات، لم تحدثنا عنه الكتب المقدسة، لأنه طوفان مادي محسوس ومشاهد لكل البشر، ولا يحتاج إلى دليل أو حجة على حدوثه.

هناك طوفان آخر.. طوفان جديد، لا نراه، لا نعترف به، وإن كنا نحس بوجوده، وآثاره المدمرة على الأخلاق والقيم والمثل العليا.. إنه طوفان معنوي. طوفان يختلف عن طوفان نوح، طوفان عصر العولمة والإنترنت والفضائيات، بدأ يسري في صمت، وينتشر داخل نفوس البشر، النفوس الخراب.. إنه طوفان الفساد!! لقد استشرى وزاد قوة وعتوا، سرى سريان النار في الهشيم داخل النفوس المريضة، وعم مختلف أرجاء العالم المتحضرا!! كالطاعون في قسوته وجبروته، عندما لم يجد من يقف أمامه، وكالإيدز عندما يقف الأطباء حيارى أمام حصاره وانتشاره المذهل، ولا أمل في الشفاء، أو بارقة أمل في أن يجدوا له حلاً أو علاجاً ناجعاً حتى الآن!!

الفساد ..هذا الوباء الذي بدأ يجتاح دول العالم أجمع، النامية والمتقدمة، المتخلفة والمتحضرة، في الجمهوريات الصغيرة والدول الكبرى، العظمى !! لا فرق بين صغير أو كبير، رجل أو امرأة، حاكم أو محكوم. الكل - أصبح وأمسى - أمام الفساد سواء، لا فرق بين كبار المسؤولين وصغارهم !! وشعار الجميع: أنا ومن بعدي الطوفان!!.

هذا الوباء، أصبح، من الخطورة بمكان، لأنه يسري في أعماق البشر، في المنطقة المجهولة من النفس البشرية، الأرض الخراب، أو الأرض اليباب، النفس المعطوبة التي أصابها الداء العضال في مقتل، ومحال الفرار أو النجاة ، لأنه مختف، غير واضح أو ظاهر أمام العيان، فكيف يتم الإصلاح؟! كيف يستقيم الظل إذا كان العود أعوج؟!

الفساد طوفان العصر الحديث .. ثوت الأخلاق والقيم والدمم !!، ولا يعرف الحدود بين الدول أو الأسلاك الشائكة حتى يتوقف عندها ، ولا حيلة لنا أو وسيلة لإيقافه، لأن الفساد أصبح ظاهرة عالمية، كالتلوث.. تلوث الهواء والماء والأرض، وهو نقيض الإصلاح. ومن مظاهر الفساد الجدب والقحط، أي الهلاك والخراب، فالفساد هو خراب العمران وبوار الأرض المطمئنة، وكذلك مفسدة الإنسان، والله لا يحب الفساد ولا يحب المفسدين: (ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) (القصص:٧٧). وقد أهلك الله قوم نوح من قبل، انهم كانوا قوما فاسقين. وقد (ظهرالفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم :٤١).

والفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم والبغي، والفساد في البر والبحر هو الجدب والقحط والموت في الناس والدواب، وقلة المنافع وكثرة المضار، وأن المراد بالبحر: مدن البحر وقُراه التي على شاطئه، وظهر الفساد بما كسبت أيدي الناس، بسبب معاصيهم وذنوبهم، والأمثلة لا تحصى ولا تعد، بدأت من صغار الموظفين وارتفعت حتى طالت الحكام والرؤساء.

إنه الطوفان .. مقبل، كالسيل العرم.. ولا سبيل للتصدي له، أو مواجهته أوالوقوف في طريقه.

الربح أكيد معنا

عند الإشتراك او تجديد اشتراكك بـ 7.500 د.ك في :

الوعي الإسلامي براعم الإيمان

احصل على هديتك فوراً

مجلتان في آن واحد

العديد من الجوائز القيمة

اتصل بنا الآن
844 044
يصلك مندوبنا

الجابرية - قطعة ٩ - شارع ٢٠ - منزل ١١
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع
الصحف والمطبوعات هاتف: ٤٨١٦٨٨٥

لا مكافاة أفضل من الفوز بتسع جوائز جديدة

لخدماتها
على
الطائرة

اليوبيل الذهبي

مبروك

50

اليوبيل الذهبي
GOLDEN JUBILEE
1954 - 2004

الخطوط الجوية الكويتية